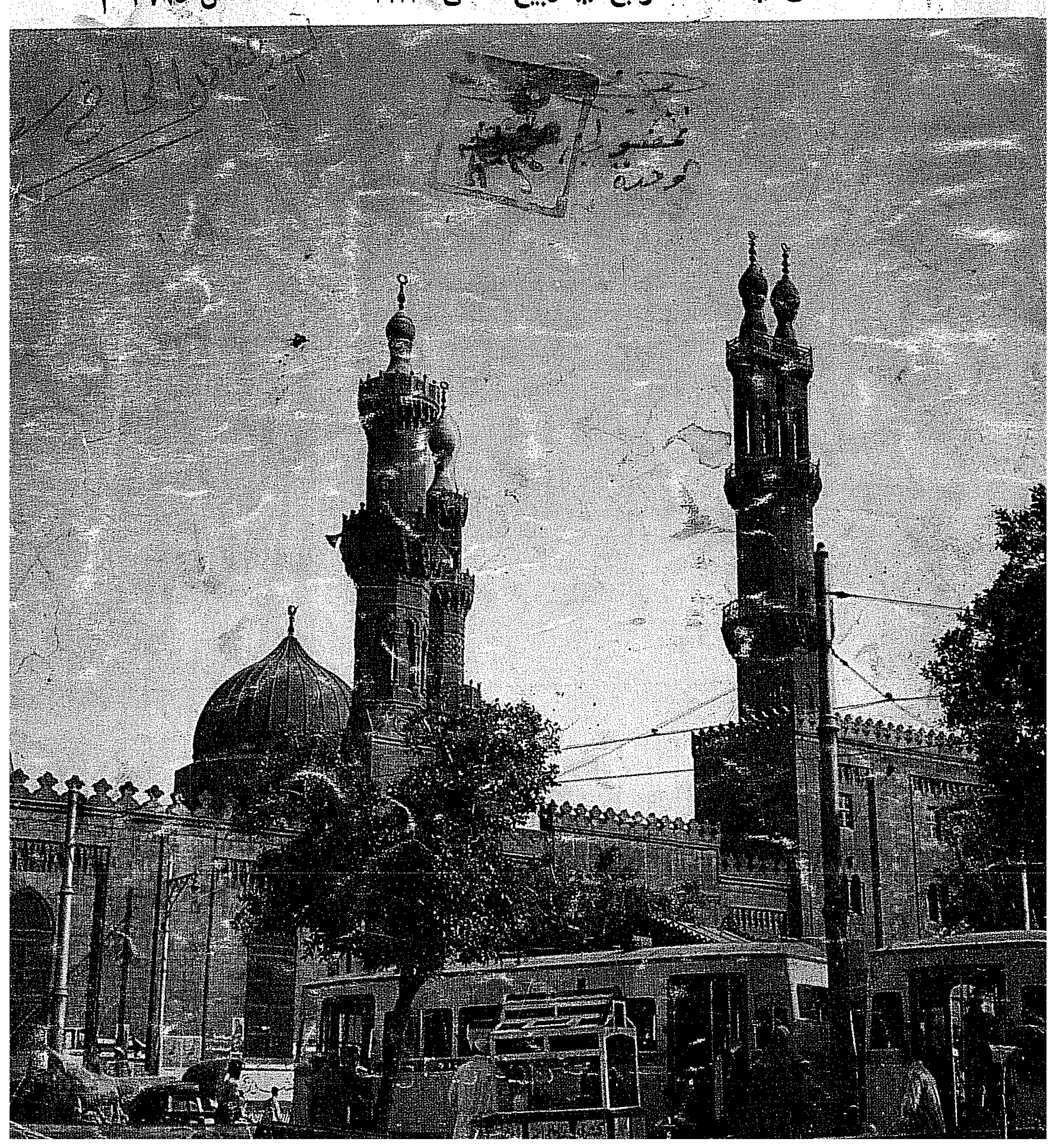
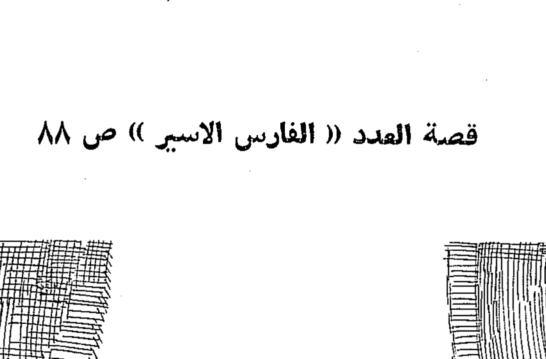
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الاولى * العدد الرابع * ربيع الثانى ١٣٨٥ هـ - أغسطس ١٩٦٥ م



قصة العدد ((الفارس الاسير)) ص ٨٨



صلاح الدين الايوبى محطم الصليبيين

عقب الجيش ... بالجنائب

اقرأ في هذا العدد

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

تصدرها وزارة الاوقاف بالكويت
في غرة كل شهر عربي

المجلة حرة ، والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

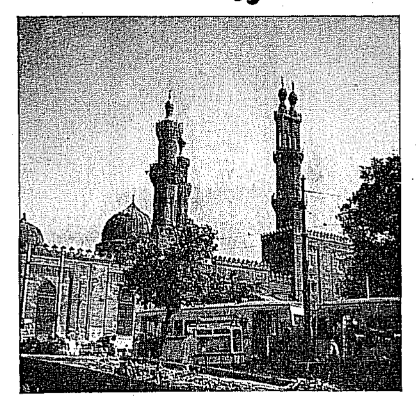
المشرف العام
عبد الرحمن المحجم

رئيس التحرير
عبد المنعم النمر

مدير التحرير
علي عبد المنعم

سكرتير التحرير
رضوان البيلي

صورة الغلاف



الجامع الازهر
قبلة العلماء وطلاب المعرفة والعلم
من اقطار العالم الاسلامي

الثمن

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلساً
ليبيا	١٠ قروش
المغرب	١ درهم
الخليج العربي	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما
تونس والجزائر	١٠٠ مليم

الاشتراك السنوى

في الكويت ١ دينار للهيئات ، ٧٥٠ فلسا للافراد
وما يعادل ذلك في البلاد الاخرى
مع اضافة اجرة البريد
او بالاتفاق مع الموزع مباشرة .

عنوان المراسلات : مجلة الوعي الاسلامي ـ وزارة الاوقاف
الكويت ص . ب ١٣ ـ هاتف ٢٣٢٢٧

معالى
وزيـر
الأوقاف



يتحدث
فى ذكرى
المولد النبوي
الشريف

الكلمة التى القاها معالى عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف :

أيها الاخوة الكرام . احييكم اكرم تحيـــة . واهنىء المســـلمين فى مشارق الارض ومغاربها بذكرى ميلاد سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذى اصطفاه ربه سبحانه وتعالى ليحمل اعظم رسالة وافضل هداية واحسن توجيه الى الناس كافة . « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » فحمل الرسالة ، وادى الامانة ، وبلغ كما امره الله ان يبلغ .

كان صلى الله عليه وسلم المثل الاعلى للانسانية الكاملة الفاضلة . والقدوة المثالية فى كل خير . « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » .

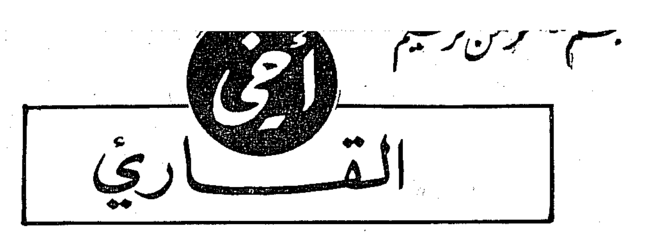
حققت تعاليم الاسلام التى بلغها رسول الله فى الارض العدل بـين الناس والتراحم بين العبـاد وحسن الصلة بقيـوم السموات والارض ، وكانت تعاليمه بردا وسلاما وراحة وامنا فى الحياة الاولى ودرجات عالية ورضوانا من الله فى الدار الآخرة .

والمسلمون فى كل عام يحتفلون بمولد رسول الله ، ويحيون ذكراه ونسأل الله ان يوفقنا جميعا للسير على سنته صلى الله عليه وسلم ، وان يعيد هذا اليوم المبارك الكريم على امة محمد وهى مطبقة لاحكام شريعته عاملة بتوجيهه سائرة على نهجه . وحينئذ نكون قد اعطينا هذه الذكرى حقها من الاحتفال بها على اكمل وجه .

كما نسأله سبحانه وتعالى ان يديم لبلادنا التوفيق والخير ، ويحفظ لها قائدها ورائد نهضتها صاحب السمو امير البلاد المعظم .

ويسعدنى ان اكرر التهانى لكم جميعا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتـه .

بسم الله الرحمن الرحيم



السلام عليكم

شخصية الامة لا تكتمل بمجرد استقلالها السياسي ، بل لا بد لها مع هذا من الغاء تبعيتها لغيرها فى مجال الثقافة والتشريع ، حتى تكون كل مقوماتها أصيلة غير مستوردة .

ولقد بهرنا – نحن الامم الاسلامية التي بليت بالاستعمار – أننا نجحنا فى الحصول على استقلالنا السياسي ، واعتبرنا ذلك غاية النصر ، فعكفنا على التغني به ، وشغلنا عن مخلفات الاستعمار الأخرى التي تعيش بيننا ، وتتحكم فينا ، غافلين عن ضرورة التخلص منها ، حتى يكون لنا كياننا القائم على الأسس الأصيلة من ديننا وتقاليدنا ..

من هذه المخلفات التي لا تزال تتمتع بسيطرتها علينا : بعض القوانين المستوردة التي نبتت فى جو غير جونا ، وأملتها تقاليد غير تقاليدنا ، ونظرة فى الجريمة والعقاب تخالف نظرتنا المستمدة من ديننا .. ومن هنا كانت الفجوة العميقة بينها وبيننا .. لأن القانون – أى قانون – يجب أن يكون نابعا من ضمير الأمة ، وملائما لتقاليدها ، ومتسقا مع روحها حتى يتحقق له الاحترام والهيمنة على النفوس ..

ذلك امر نحسه ونلمسه من واقعنا ، ونرى حتى مفكرى الغرب كذلك يقررونه ، فيقول الفيلسوف نبتام ((متى صارت الأمة من حزب القانون قل أمل المجرمين فى الهرب من العقاب)) وذلك لأن الأمة فى هذه الحالة ستكون حارسة للقانون بروحها وتحملها يقظتها واخلاصها على متابعة المجرم وتضييق فرص النجاة من العقاب أمامه . ويقول ايضا : ((ان ميل الأمة او نفورها ربما كان أعظم الأشياء التي تجب مراعاتها عند وضع القوانين)) وذلك ليكون للقوانين احترامها والخضوع لها ..

ولذلك كان من فضل الله على هذه الأمة ، أن الاسلام لم يقتصر على تقرير العقيدة السليمة ، والوصايا الخلقية لها ، بل أقام على العقيدة تشريعا كاملا لتنظيم الحياة وضبط سلوك الفرد والجماعة فيها ، ووضع العلاج المناسب لأمراضها ، وجعل ذلك من مقومات الايمان فى المسلم ((فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)) .

ولم يكن ذلك الا لحكمة عليا هي ضمان الاستقرار للأمة الاسلامية وتوفير الأمن والهدوء لها عن طريق احترام القانون الذى يحكمها ، فان المسلم كلما أحس أن هذا القانون انما هو قانون الله الذى يعلم السر والنجوى ، واليه المرجع والمصير ، وأنه لا مفر من العقاب على مخالفته ان لم يكن فى الدنيا ففي الآخرة حمله احساسه هذا على احترام القانون والالتزام به وذلك على العكس من القوانين التي تنبعث من رأى الفرد ولا تتلاقى مع حكم الله ، ويترك أمر حراستها لرجال الشرطة .. فان للانسان ألف حيلة وحيلة في التخلص منها ، والتمرد عليها .

ومن هنا كان من مصلحة الحاكم الذى يرغب جادا فى توفير الأمن والاستقرار لأمته أن يربط بين قوانينها ودينها ، حتى تحظى القوانين بالاحترام الذى يضمن لها السيادة والنفوذ .. وحتى يكون العقاب على المخالفين هو حكم الله العادل الذى لا مفر من التسليم به ..

ذلك كلام نقوله بصدد القوانين عامة .

ثم نقترب من الهدف الذى نرمي اليه بكلمتنا ، وهو تلك المواد التي جاءت فى باب هتك العرض والزنى وصدر بتنفيذها قرار من الحكام المسلمين !!

في هذه المواد مفارقات وتناقضات أو فجوات عميقة بينها وبين دين الأمة وتقاليدها وروحها الاسلامية الأصيلة . وهذه المفارقات ضرورية لأنها مواد مستجلبة نبتت فى جو غير جونا ، وما كان لها أن تعيش بيننا طويلا لكنها ـ مع الأسف ـ عاشت فى جو مصطنع ولا زالت تعيش بين الغفلة منا والتدليس ..

قامت هذه المواد أصلا على أساس أن الزنى وهتك العرض مجرد اعتداء شخصي على حق الفرد دون اعتبار لحق الله وحق المجتمع ..

ولهذا كان لا عقاب فى قوانين بعض الدول الاسلامية على من يهتك عرض انثى برضاها اذا تجاوزت الثامنة عشرة ، أى سن الرشـد لأنه تم برضا الاثنـين !! فان كانت أقل مـن ذلـك وكان برضاها عوقب الرجل لمجرد أنه غرر بفتاة قاصرة !!!

أما الزوجة فتعاقب بالسجن اذا زنت في أى مكان .. ولا يعاقب الزوج الا اذا زنى فى منزل الزوجية ولا يجوز له فى هذه الحالة ان يرفع دعوى الزنى على زوجته .. لأنها فعلت كما فعل !!!

والزوجة لا تعاقب الا اذا رفع الزوج دعوى عليها .. لأنه الذى وقع عليه الاعتداء وهو حر يرفع الدعوى أو يقبل ويسكت .

وبمقتضى هذا يجوز له أن يوقف الدعوى أثناء نظرها ، او يوقف تنفيذ العقوبة لأنه ـ كما قلنا أو قال القانون الفرنسي ـ صاحب الحق وحده ، أما حق الله ، حق المجتمع ، ما يترتب على ذلك من شيوع الفساد واختلاط الأنساب وفتح باب الفرص لكل « ديوث » متهاون في عرضه أو متكسب به .. أما ذلك كله فلا اعتبار له في نظر القانون الذى استوردناه !!!

ومن العجب ـ غاية العجب ـ ان نجد لهذا القانون سدنة وحماة يدافعون عنه ويعملون على ذيوعه وانتشاره في بلاد اسلامية . ولم نجد مع الأسف الشديد من يحمل لواء الهجوم عليه والعمل الجـاد لتغييره ، اللهم الا أصوات فردية حملها اخلاصها لدينها ومجتمعها على المناداة بالغائه ، ولكن ضاعت هذه الأصوات فى زحمة الأصوات المتحمسة له ..

بل اننا ـ مع الألم المرير ـ نسمع حملات واعتراضات عنيفة على فكرة الأخذ بالشريعة الاسلامية فى قوانيننا ولا نسمع مثل هذه الحملات والاعتراضات على هذا القانون المستورد المتنافر مع روحنا وتقاليدنا والذى يعتبر وصمة عار في جبيننا !!

فالى متى يستمر هذا الوضع الشاذ ؟! الى متى تبقى هذه الوصمة ومن المسئول عن بقائها ؟ ! بصراحة أرجو أن يتقبلها الجميع : ان المسئولين من حكام المسلمين وأعضاء المجالس النيابية ، هم الذين يتحملون أولا تبعة بقاء هذه القوانين بيننا ..

ولا عذر لهم يبيح السكوت عليها فان روح المجتمع الاسلامي فى كل بلد تمقتها ولا تعترف بها ، وعلى الشعب المسلم في كل مكان أن يقوم كذلك بمسئوليته ، ويسلك كل الطرق المشروعة لتغييرها ..

من هدى القرآن

العبرة الكبرى

اذا قلبت الكتاب الكريم ظهرا لبطن ، وتتبعت آياته طردا وعكسا ، ورجعت البصر كرتين بعد كرتين ، متأملا متبصرا ، فانك لا تجد من بين الامم كلها ، قديمها وحديثها ، الا امة واحدة شغلت جزءا كبيرا من القرآن الكريم ، لم تشغله امة غيرها من الغابرين والحاضرين ، وكذا لا تجد نبيا من انبياء الله الكثيرين ، شغل جزءا كبيرا من القرآن ، مثل نبي هذه الامة ، فقد حظى من العناية بما لم يحظ به نبى غيره ، وخصه الله بمزية لم يشاركه فيها سواه .

ولعلك ادركت ان هذهالامة هي امةبني اسرائيل، وان نبيها المراد هو كليم الله موسى عليه السلام . هذه الامة تعرض القرآن لها منمبدأ تكوينها ، وأخذ يقص علينا احداثها ، من اول يوم تكونت ، الى مبعث خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام .

نشأة موسى

وكذلك شرح القرآن أحوال رسولها من يوم مولده ، الى وفاته فى صحراء التيه ، وكيف دبر له العليم الخبير المراضع ، فى بيت عدوه الذى اشتد فتكه ببنى جنسه (بنى اسرائيل) ، يقتل أبناءهم ، ويستحيى نساءهم أقرأ قوله تعالى « وأوحينا الى ام موسى أن أرضعيه ... » آية (٧) الى آخر آية (١٣) من سورة القصص . وكيف فر موسى من مصر الى مدين خائفا يترقب ، فزعا من ان يناله فرعون بسوء ، واقرأ فى هذا قوله تعالى « وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى .. » (آيتي ٢٠ و ٢١) من سورة القصص .

ثم بين كيف استأجره رجل مؤمن من آل مدين، على رعي غنمه عشر سنين ، على ان يزوجه احدى ابنتيه ، واقرأ الآيات (٢٣) الى آخر (٢٨) من سورة القصص .

وبعد أن أتم مدة السنين العشر قفل راجعا الى مسقط رأسه ، يسوقه الحنين الى عشيرته عله يتنسم ريحها ، ويطرب لاخبارها ، اذا لم يستطع ان يلقاها فى الخفاء وهو آمن ، فأزمع الرجوع الى مصر .

وكيف حاول معالجة قسوة البرد ، ومتاهة ظلمة صحراء سيناء ، حين اوشك ان يضل الطريق ، او يهلك هو واهله من زمهرير الجبال ، واخذ يتلمس الهادى الى سواء السبيل (١) ، ويتحسس جذوة نار يصطلى بها (٢) .

بعثته

ثم كيف فاجأته العناية الالهية بالنعمة العظمى ، والمنزلة الرفيعة ، التى اختص بها سبحانه قلة من خلقه الذين اصطفاهم ، واعدهم لها ، تلك هى منزلة السفارة بين الله وخلقه ، هذه المنزلة هى الوحيدة التى لا تنال بجد ، ولا تعب ، ولا بكثرة الضراعة ، ولا مشقة العبادة ، كما قال الله تعالى : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » آية ١٢٤ من سورة الانعام ، وكما قال المرحوم اللقانى فى جوهرته :

ولم تكن نبوة مكتسبة
ولو رقى فى الخير أعلى درجة

---

(١) « أو أجد على النار هدى » آية (١٠) من سورة طه .

(٢) « أو جذوة من النار لعلكم تصطلون » آية٢٩)من سورة القصص ، اى تستدفئون لدفع البرد .

لفضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى

كليم الله

ولم يكتف القرآن بهذا الاجمال ، بل بين كيف كان وحى الله سبحانه لنبيه موسى نوعا خاصا به لم يشاركه فيه احد من اخوانه الانبياء ، ذلك انه كلمه مباشرة من وراء حجاب بدون واسطة من ملك ، او ايحاء يلقى فى القلب او رؤيا صادقة ، كما فعل مع خليله ابراهيم عليه السلام حين امره بذبح ولده اسماعيل ، اقرأ قوله تعالى : ((وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا)) آية ٥١ من سورة الشورى ، وقوله تعالى : ((يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى)) آية ١٤٤ من سورة الاعراف .

وكذلك لم يحدثنا القرآن عن معجزات كثيرة لنبى من الانبياء ، وكرر ذكرها فى القرآن كما حدثنا عن معجزات رسول بني اسرائيل ، قال سبحانه : ((ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات)) آية ١٠١ من سورة الاسراء ، وقال : ((ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين (١) ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون)) آية ١٣٠ من سورة الاعراف ، وقال : ((فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل(٢) والضفادع والدم آيات مفصلات)) آية ١٣٣ من سورة الاعراف .

موسى يواجه فرعون

وايضا نراه سبحانه لم يترك موسى يواجه فرعون وقومه اعزل من سلاح حجته ، منتظرا ان يطلبوا منه دليل صدقه فيقدمه اليهم كما فعل سبحانه مع كل الرسل قبله ، لم يفعل سبحانه ذلك مع موسى ، بل سلحه ببرهان صدقه من اول لحظة ارسلهفيها ، فأراه ما يفعل حتى تصير عصاه حية تسعى ، انظر قوله تعالى : ((وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ..)) آية ٣١ من سورة القصص .

موسى وهارون

ولم يكتف سبحانه بذلك بل قص علينا ما ظهر من خوف موسى عند تشريفه بهذه الرسالة ، وكيف طمأنه سبحانه فقال : ((واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتقون . قال رب انى أخاف أن يكذبون . ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هارون ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون)) الآيات من ١٠ وما بعدها من سورة الشعراء .

وايضا لم يكتف سبحانه بذلك ، بل قص علينا كيف علم موسى ما يقوله لفرعون لفظا ، وكيفية ، فقال : ((فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين . أن أرسل معنا بني اسرائيل)) آيتي ١٦ و ١٧ من سورة الشعراء ، وقال : ((اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا فى ذكرى . اذهبا الى فرعون انه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى)) آيات ٤٢ و ٤٣ و ٤٤ من سورة طه ، وقال : ((هل أتاك حديث موسى . أذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى . اذهب الى فرعون انه طغى . فقل هل لك الى ان تزكى . واهديك الى ربك فتخشى)) آيات ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ من سورة النازعات .

ثم تابعه القرآن من اوللحظة واجه فيها فرعون، واقام حجة المعجزة المفحمة على صدقه ، مفصلا كل ما دار بينهما من نقاش سلك فرعون فيه القسوة على موسى تارة ، والاستهزاء به تارة اخرى ، من ذلك قوله : ((قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين . قال لمن حوله الا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الاولين. قال انرسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون . قال لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين)) آيات ٢٣ الى ٢٨ من سورة الشعراء .

---

(١) المراد بها القحط .

(٢) جمع مفرده قملة بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة وهى حشرة صغيرة تتلف الزرع .

وقال : « ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون . أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين . فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين . فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين » آيات من ٥١ الى ٥٤ من سورة الزخرف ، وقال : « وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الارض الفساد » آية ٢٦ من سورة غافر .

ثم بين القرآن بعد ذلك كيف لج فرعون فى العناد والغرور حينما خشى ان يفلت من يده زمام الامور، فطفق يجمع كبار قومه عارضا عليهم طريق التخلص من هذا الكاذب الساحر ، كما زعم ، وكيف ارسل فى المدائن حاشرين يدعون له كبار السحرة فى دولته، ثم رتب كيفية لقاء هؤلاء السحرة بموسى على مشهد من قومه أجمعين ، اقرأ ان شئت من اول آية ٥٦ الى آخر ٦٩ من سورة طه ، ثم بين سبحانه كيف ركب فرعون متن التضليل والتمويه عندما هزت كيانه سطوة الدليل ، وبطل سحر الساحرين، الذين آمنوا فى الحال برب موسى وهارون ، اقرأ من آية ٧٠ الى ٧٣ من سورة طه .

ركب فرعون متن التضليل ، فتوارى تحت ستار التعمية والتمويه بعد تهديد السحرة بالقتل ، فنادى مظهرا السخرية بهذا الاله الذى يزعمه موسى فقال : « يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى يا هامان (١) على الطين (٢) فاجعل لى صرحا (٣) لعلى اطلع الى اله موسى وانى لاظنه من الكاذبين . واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق » آيتي ٣٨ و ٣٩ من سورة القصص .

ملاحظة هامة

يعلم كل من اطلع على جبروت فرعون هذا انه كان صاحب صولة وقوة ، وانه سبق ان اثخن بني اسرائيل قبل مجيء موسى وبعده تقتيلا وتعذيبا ، وانه كان يملك من السلطان ما يمكنه من الفتك بموسى الذى يقف امامه اعزل من كل سلاح معروف عند الناس ، فما هو الذى غل يديه عن ذلك وألجم فمه عن الامر بقتل موسى ، وجعله يلجأ الى المداورة والمحاورة الكلامية عله يستر بهما ضعفه ، وحقيقة أمره أمام قومه .

فرعون يرهب موسى

نقول : السر فى ذلك واضح جاءت الاشارة اليه فى القرآن نفسه ، ذلك هو أن فرعون اذعن من صميم قلبه ان موسى رسول الله حقا ، وان ما جاء به من المعجزة الكبرى يستحيل ان تكون من صنع البشر ، لانها ليست مما عهدوه من السحر الذى يعتمد على التعليم والتعلم ككل الصناعات التي يستعان بها على التمويه والتخييل مما كان معروفا عند فرعون ، انظر قوله لسحرته عندما آمنوا بموسى : « انه لكبيركم الذى علمكم السحر » آية ٧١ من سورة طه ، وقول الله سبحانه : « فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى » آية ٦٦ من سورة طه .

وايضا كان فرعون يعلم انه من المستحيل ان تدخل جميع تلك الاجسام الضخام من الحبال والعصى التى اعدها سحرته فى حيز جسم صغير كعصى موسى مع بقائها على حجمها ، اقرأ فى كل ذلك قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » الى قوله : « فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا . قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض » آيتي ١٠١ ، ١٠٢ من سورة الاسراء ، وقوله تعالى : « فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين . وجحدوا (٤) بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا » آيتي ١٣ و ١٤ من سورة النمل .

---

(١) هامان كبير وزراء فرعون

(٢) المراد بالطين هنا القوالب التى تصنع من الطين فاذا جفت بفعل الشمس توقد عليها النار فتصير آجرا احمر .

(٣) الصرح هو البناء العالى .

(٤) الجحود هو انكار الشيء مكابرة مع اليقين به فى قرارة النفس كما قال سبحانه لنبينا صلى الله عليه وسلم : « قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون » آية ٣٣ من سورة الانعام .

من كل هذا نعلم ان فرعون كان موقنا انه لو حاول ان يمس موسى بسوء فانه يهلك لساعته ، كما حصل للجبابرة قبله من قوم عاد وثمود وغيرهم ..

ليته فعل

ولا يظن ان خروجه هو وجنوده وراء موسى وبني اسرائيل كما سيأتي كان لقصد قتل موسى ، كلا ، بل كان لأمور أخرى منها منع بني اسرائيل من الخروج من سلطانه حتى يقضى عليهم خوف ان يكثروا ويستعينوا عليه بقوم آخرين ، فينتزعوا منه ملكه . ومنها انه اراد ان يسترد اموال المصريين التى استولى عليها بنو اسرائيل بطرقهم المعروفة ، وترى ذلك واضحا فى ضخامة اموال قارون الذى هو من قوم موسى كما قال سبحانه : « ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه (١) لتنوء (٢) بالعصبة اولى القوة » آية ٧٦ من سورة القصص .

غرق فرعون

ثم تابع القرآن بعد ذلك الحديث عن موسى فأشار الى فراره وقومه من فرعون على غفلة منه ، ولم يدركهم فرعون الا وسط البحر فاندفع خلفهم، وكان فى ذلك هلاكه ، فقال سبحانه فى ذلك : « ولقد اوحينا الى موسى أن أسر(٣) بعبادى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى . فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم » آيتي ٧٧ و ٧٨ من سورة طه ، وقال فى ذلك ايضا : « وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون » الى ان قال : « فأتبعوهم مشرقين . (٤) فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون . قال كلا ان معى ربى سيهدين . فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم. وأزلفنا(٥) ثم(٦) الآخرين(٧) وأنجينا موسى ومن معه اجمعين . ثم أغرقنا الآخرين » آيات من ٥٢ الى ٦٦ من سورة الشعراء .

والى هنا انتهى الحديث عن موسى وما حصل له مع فرعون وبقى ما حصل له مع قومه وهو لا يقل غرابة عما حصل مع فرعون ان لم يكن اغرب كما ستعلمه بعد ، ولا تعجب ايها القارىء الكريم من اختيارنا هذا الموضوع فى هذا الوقت بالذات ، فانا اردنا قطع ألسنة قوم يتشدقون بأنهم شعب الله المختار ، وانهم وحدهم هم أولياء الله واحباؤه ، ويوهمون بسطاء المسلمين بأن القرآن مليء بالتنويه بشأنهم ، وتفضيلهم على العالمين ، وقد يخفى على كثير ممن يقع تحت تضليلهم ان الله سبحانه لم يغدق عليهم تلك النعم حبا فيهم بل ليزدادوا طغيانا وكفرا فيزيدهم غضبا ونكالا الى يوم الدين .

هذا ما سيمر بك فيما يأتى ، ومنها تعلم علم اليقين ان ما ظنوه خيرا لهم انما هو وبال عليهم كما قال سبحانه : « ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين . نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون » آيتي ٥٥ ، ٥٦ سورة المؤمنون . وقال : « ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين » آية ١٧٨ آل عمران .

وستعلم ان ما مر عليهم من فترات رفعوا فيها رءوسهم بعد هذا الوعيد مدة تطول نسبيا وقد لا تطول فما هي فى قياس الزمن الا صحوات محموم ، لا يكادون يتمتعون بها حتى تلاحقهم صواعق غضب جبار السموات والارض ، وهكذا دواليك حتى امسوا فى يد القدر كالكرة يتقاذفها الولدان لا يتركونها تستقر حتى تلاحقها ضرباتهم ...

والى اللقاء ان شاء الله .

---

(١) المفتاح جمع مفتح ، بفتح الميم وسكون الفاء ، بوزن مرصد ، وهو المخزون ، قال ابن عباس — مفاتح قارون هى خزائن امواله واوعيتها .

(٢) تنوء بالعصبة اى تثقل عليهم اذا أرادوا حملها يقول العربي : ناء بفلان الحمل اذا أثقله حتى أمال ظهره .

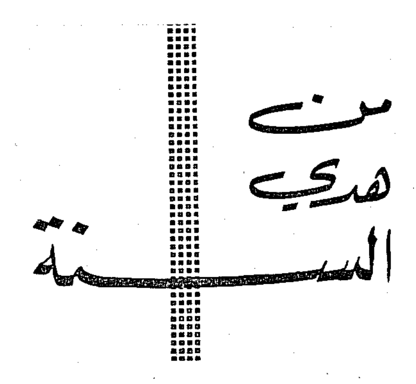
(٣) أسر أى سر فى الليل .

(٤) المشرق هو الداخل فى وقت الشروق .

(٥) اى قربنا الى وسط البحر .

(٦) ثم أى هناك فى وسط البحر .

(٧) الآخرين هم فرعون وجنوده .



لفضيلة الشيخ
علي عبد المنعم عبد الحميد

حقوق وواجبات بين الآباء والأبناء

تمهيد

الأولاد هم أشهى ثمرات الحياة ، يدرك ذلك من وهبه الله اياهم ومن ابتلاه بالحرمان منهم ، عليهم عمارة الدنيا ، وبهم سيادة الأمم قال تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وقال صلى الله عليه وسلم (الولد ثمرة القلب) ، وحب الولد كامن فى طبيعة الانسان كمون النار فى الحجر الصلد ، علت درجته فى الانسانية أو هبطت ، يستوى فى ذلك صفوة الله من خلقه وهم الانبياء والمرسلون ، ومن عداهم من سائر البشر ، فقد تضرع سيدنا ابراهيم عليه السلام الى ربه أن يهب له ذرية صالحة « ... رب هب لي من الصالحين . فبشرناه بغلام حليم » (١) ونادى زكريا ربه نداء خفيا « ... واني خفت الموالى من ورائي وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا . يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا .. » (٢) .

وقد قرر الاسلام حقوقا تقابلها واجبات لكل من الوالد والمولود قبل الآخر تضمن استمرار حسن العلاقات بينهما ، كما تقيم أسرة قوية متماسكة تبني مجتمعا فاضلا ، يشيد أمة عزيز صالحة للقيادة والسيادة ، وسأحاول ــ مستعينا بالله ــ رسم الخطوط العريضة لما يجب أن تقوم عليه الصلة بين الوالدين والمولودين مستمدة من كتاب الله تعالى وهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أولا : ــ حقوق الأبناء على الآباء

١ ــ أول ما يجب على الوالد حيال أولاده قبل أن يوجدوا ، هو أن يختار أمهم ذات خلق ودين وعفة ومروءة ، قال عليه الصلاة والسلام (حق الولد على والده أن يحسن موضعه(٣) وأن يحسن

(١) الآيتان ١٠٠ ، ١٠١ من سورة الصافات .
(٢) الآيتان ٥ ، ٦ من سورة مريم .
(٣) أى يختار والدته من اصل طيب .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((اعدلوا بين أولادكم في النحل(١) كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر والعطف)) (٢) .

اسمه وأدبه) وقال عليه السلام : (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) وقال رجل يمن على أولاده :

وأول احساني اليكم تخيري
لماجدة الأعراق باد عفافها

٢ : ـ فاذا برز الولد الى الوجود وهبط من مستقره في بطن أمه الى الأرض بدت حقوقه على والديه قوية واضحة فهو في مهده محتاج الى عطف والديه وحنانهم ، وعندما يدرج على البسيطة يستحق الرعاية والتوجيه الى الآداب المحمودة ، روى ابن ماجة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (اكرموا اولادكم واحسنوا أدبهم) وروى الشيخان(٣) ((.. أن أناسا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوا : هل تقبلون صبيانكم ؟ فقال : نعم . فقالوا : لكنا والله ما نقبل . فقال النبي صلي الله عليه وسلم : أوأملك ان كان الله قد نزع الرحمة من قلوبكم ..))

٣ : ـ ومن حسن رعاية الولد العناية بطعامه وشرابه ، روى البخارى (.. يقول الولد أطعمني. الى من تدعني ؟) وروى أبو داود والحاكم واحمد في مسنده (... كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت) .. واذا تعدد الأولاد وجب العدل بينهم في العطف والعطاء ، روى الطبراني قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (اعدلوا بين اولادكم في النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر والعطف) وفي قصة يوسف عليه السلام مثال واضح لما أثاره الشعور بتفضيل يوسف على اخوته من شقاق ونفار بينه وبينهم ، ولننصت الى القرآن الكريم وهو يحكي طرفا مما كان من أمرهم (... اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين . اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين ..) الآيات الكريمة . ومنعا لأسباب الشنآن والعداوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ولو في القبلة) . وأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم التمييز بين البنين والبنات في المعاملة حتى لا يحملهم التمايز على عقوق الآباء وجفوتهم فقال عليه السلام (ساووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء) . وكان صلى الله عليه وسلم اذا رآى فاطمة الزهراء رضي الله عنها مقبلة قام لها عن مجلسه وأخذ بيدها فقبلها ، وعن أم خالد بنت خالد بن سعيد رضي الله عنها قالت ، (أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي وعلي قميص أخضر فقال صلى الله عليه وسلم (حسنة حسنة(٤) . قالت فذهبت ألعب بخاتم النبوة ، فنهاني أبي ، فقال رسول الله : دعها ، ثم قال : أبلي وأخلقي ، أبلي وأخلقي) (٥) .

٤ : ـ ومن الواجب على الوالدين أن يوجهوا أبناءهم الى باريء الكون سبحانه ويغرسوا فيهم الايمان بقدرته وقيوميته ، ايمانا مبنيا على الاستدلال لا مجرد التلقين ، وقد رسم القرآن الكريم الطريق الواضح في وصية لقمان لابنه حيث يقول (واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم) (٦) ثم يمضي

---

(١) النحل بضم النون المشددة وسكون الحاء المهملة ـ العطاء ، مصدر نحله ينحله نحلا أى أعطاه والنحلى بوزن الحبلى العطية .

(٢) رواه الطبراني .

(٣) البخارى ومسلم .

(٤) يمتدح ثوبها وهى يومئذ طفلة .

(٥) دعاء لها بطول العمر والسعادة

(٦) الآية ١٣ من سورة لقمان .

معه مستدلا على قدرة اللـه بالبرهان العقلي (يا بني أنها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بهـا الله ان الله لطيف خبير) (١) ثم يأمره بعبادة الله وحده والتجرد له والتفاعل الكريم مع المجتمع الذى يعيش فيه وتحمل الآلام فى سبيل الله نشرا للفضيلة واجتثاثا للرذيلة (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور) (٢) ثم يدله على الخلق الكريم الذى يمكن له فى قلوب الناس ويجعل منه القدوة الممتازة الصالحة فى السلوك القويم (ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحا ان الله لا يحب كل مختال فخور . واقصد فى مشـيك واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصـوت الحمير (٣) .

٥ : ــ كما يجب أن يتناول الوالدان طعامهما مع أولادهما فى مواعيد منتظمة ايناسا لهم وقياما بحق رعايتهم وتمكينا للآداب الاجتماعية الاسلامية فيهم ، فعن سفيان رضى الله عنه بلغنا أن الله وملائكته يصلون على أهل بيت يأكلون جماعة ، ويجمـع الفضل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما نحل والد ولده من نحل أفضل من خلق حسن) وقال حكيم عربي : (لاعب ولدك سبعا وأدبه سبعا وصاحبه سبعا ثم اجعل الحبل على غاربـه) .

٦ : ــ وحب الأولاد يغرى الانسان بالحيـاة ، ويحمله على القيام بواجباته حيالهم ميله الغريزي اليهم ، قال الأحنف لمعاوية وقد غضب يومـا على ابنه يزيد فهجره « يا أمير المؤمنين ، انما أولادنا ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورها ونحن لهم سـماء ظليلة ، وأرض ذليلة ، وبهم نصول عند كل جليلة، ان غضبوا فأرضهم ، وان سألوك فأعطهم ، وان لم يسألوك فابتدئهم يمنحوك ودهم ، ويحبـوك دهرهم ، ولا تنظر اليهم شزرا ، ولا تكن عليهـم ثقيلا فيتمنوا موتـك ، ويكرهوا قربـك ، ويملوا حياتك » .. وقال ابو تمام :

وانمـا أولادنـا بيننـا
أكبادنا تمشـي على الارض
لو هبت الريـح على بعضهم
لامتنعت عيني عـن الغمض

ثانيا : ــ حقوق الآباء على الأبناء

١ : ــ اكد القرآن الكريم حقوق الوالدين على أولادهم تأكيدا قاطعا حيث قرن الله سـبحانه طاعته بطاعتهم ، والايمان به بالاحسان اليهـم ، فقال تبارك وتعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا » (٤) وقال عز من قائل « وقضى ربـك ألا تعبـدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقـل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا (٥) .

٢ : ــ وأوجب لهما حق الطاعة ولو كانا كافرين مالم يأمرا بما يخالف قواعد الاسلام « وانجاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا » (٦) فقد تحملا كثيرا من المشقات والآلام فى سبيل ولدهما ، وتبرز بعض الآيات الكريمة فضل الأم وتبين مقدار ما تحملت وحدها من متاعب وما لاقت مـن صعاب فى حمل الولد جنينا فى بطنها وما تكبدته فى ولادته وارضاعه مما يوجب لها حقا زائدا على حق الوالد وان كانا حقيقـين ببر الولد ومعروفه جـزاء وفاقا على

(١) الآية ١٦ من سورة لقمان .
(٢) الآية ١٧ من سورة لقمان .
(٣) الآيتان ١٨ ، ١٩ من سورة لقمان .
(٤) من الآية ٣٦ من سورة النساء
(٥) الآيتان (٢٣ ، ٢٤) من سورة الاسراء
(٦) الآية (١٥) من سورة لقمان .

ما أسلفا له من خير ، قال تعالى ((ووصينا الانسان بوالديه احسانا حملته أمه كرها ووضعته كرهـا وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي اني تبت اليك واني من المسلمين)) (١) وقد استجاب الله دعاء مـن فعل هذا مع والديه وأعد له الثواب العظيم عنده وهيـأ له المكان اللائق في الجنة فقال جل شـأنه ((اولئك الـذين نتقبل عنهم أحسن مـا عملـوا ونتجاوز عن سيآتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون)) (٢) .

٣ : ـ ثم حذر الله تبارك وتعالى مـن عقوق الوالدين وأنذر من أساء اليهما بالعذاب الأليم ، وخسران أعماله ، واستحقاقه لغضب الله وعقابه قـال تعالى ((والـذى قـال لوالديه أف لكمـا أتعدانني أن أخـرج وقد خلت القرون مـن قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الأولين . أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين . ولكل درجات ممـا عملـوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون)) (٣) ومنع رسول الله صلى الله عليه وسلم مـن كل قول أو عمل يجر الاهانة والايـذاء اليهمـا ولـو بسبب بعيد لا يكونان فيه الهدف المباشر فقـال عليه الصلاة والسـلام ((ان مـن اكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه ، قيل يا رسول الله وكيف يلعن الرجل والديـه ؟ قـال يسب الرجل أبـا الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه)) .

٤ : ـ وهكذا نجـد الاسـلام السـمح الكريم يحافظ كل المحافظة على علاقة الآباء مع الأبناء في صـورة نقية طاهرة عفـة توثـق روابط الأسرة ، ويحكمها أحكاما تاما لا يتسرب اليه الخلل أبدا ، لينشأ فتيان الاسلام وفتياته في ظل أبوة رحيمة حانية وأسرة قوية مترابطـة ، فيشـبوا متزنين يقودون أمتهم الى العزة والمجد، ويفقهون دورهم القيـادى على الأرض في ارشـاد العالم الى الله تعالى، وبالتالى الى السعادة الدائمة في الدارين والسلام الحقيقي في الدنيا، وليكونوا في الآخرة (اخوانا على سرر متقابلين) فالدار الآخـرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون . فاللهم فقهنا في دينك ووفقنا لاتباع سنة نبيك وهدى حبيبك المصطفى ، وخـذ بأيدينا الى ما يرضـيك انك أنت وحدك الهادى الى سواء السبيل (وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) .

فاصنع ما أحب الله :

تغيظ عبد الملك بن مـروان عـلى رجاء بن حيوة فقال :

((والله لئن أمكنني الله منه لأفعلن به كذا وكذا))

فلما صار بين يديه قال له رجاء ابن حيوة :

((يا أمير المؤمنين ، قد صنع الله ما أحببت ، فاصنع ما أحب اللـه))

فعفا عنه ، وأمر له بصلة .

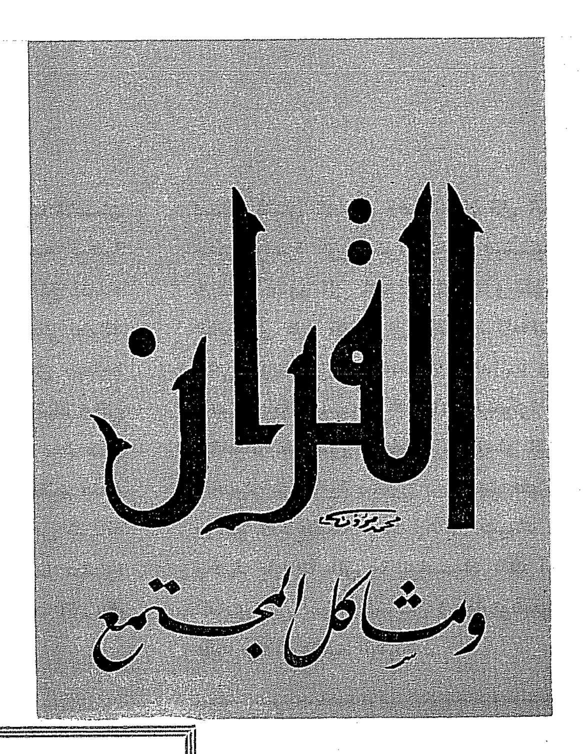


عن شـداد بـن أوس ـ رضـي اللـه عنه ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ألا أدلك على سيد الاستغفار

(اللهم أنت ربي لا اله الا أنت .
خلقتني ، وأنا عبدك .
وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت .
أعوذ بك من شر ما صنعت .
أبوء لك بنعمتك عليّ
وأبوء بذنبي ، فاغفر لي ، فانه لا يغفـر الذنوب الا أنت ، وارحمني فانك أنت الغفور الرحيم) .

((أخرجه البخارى))

(١ ، ٢ ، ٣) الآيات (١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩) من سورة الاحقاف .



للدكتور : محمد بيصار

استاذ مساعد بكلية اصول الدين جامعة الأزهر ووكيل كلية اللغة العربية بالجامعة الاسلامية فى ليبيا

فى أسعد ساعة من ساعات التاريخ ، وعلى أطهر بقعة من بقاع الأرض ، وفى أشد أوقات الانسانية احتياجا الى اصلاح ما فسد من شؤونها ، وتقويم ما اعوج من أمورها ، وتصحيح ما زاغ من عقائدها وآرائها ، بعث محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة مبلغا عن ربه رسالة السماء .

وكانت كلمة الله الجامعة التي خاطب بها رسوله عليه السلام وضمنها كل مقومات هذه الرسالة وما اشتملت عليه من تصحيح عقائد الناس ، ثم تنظيم علاقاتهم بخالقهم أولا وعلاقات بعضهم ببعض ثانيا ، هي (القرآن الكريم) ثم ما أوحاه الله اليه أو وجهه به من تفسير للقرآن وبيان لمغلقه وتوضيح لمتشابهه مما تمثل فى سنته عليه السلام ، قولية كانت أو عملية أو تقريرية .

مهام القرآن

وحيث كان من مهام القرآن الكبرى ووظائفه الضرورية تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض أفرادا كانوا أو جماعات ، بجانب ما رسمه من قوانين وقواعد لتنظيم علاقاتهم بربهم ، كان من الطبيعي أن يواجه مشاكل الاجتماع الانساني ، وأن يضع لها الحلول والحدود ، وأن يعرض لمعالجتها فى محيط المبادىء الانسانية التي رسمها ، وعلى ضوء التوجيه الآلهي الصادر من لدن الحكيم العليم بأمراض النفوس البشرية ونزواتها الطبيعية ، الخبير بأدوائها وعلاجاتها .

ولما كان من أهم ما يحرص عليه الناس فى حياتهم الاجتماعية انما هو :

١ ــ العقيدة ٢ ــ والنفس ٣ ــ والعرض ٤ ــ والملكية ٥ ــ وبناء الأسرة .

فقد اعتنى القرآن بوضع الأسس والتشريعات التي تضمن لهم حرية الاعتقاد بعد أن صححه لهم . والمحافظة على حق الحياة وحرمتها ، وصيانة العرض والعفاف ، واحترام الملكيات المشروعة

بعد أن نظم شؤونها ، وبين حدودها ، وسلامة الوطن والدولة ووضع النظام للأسرة الى غير ذلك من مشاكل تتصل بهذا أو ذاك من قريب أو من بعيد .

قواعد كلية

والقرآن وان لم يعرض لكل التفاصيل الجزئية المتعلقة بذلك عالج هذه المشاكل على وجه كلي . وبقواعد عامة ، تاركا للمشرعين والمجتهدين والمصلحين استعمال عقولهم فى تطبيقها على مختلف المجتمعات ، كل بما يناسبه ويتلاءم مع مقتضيات حاجاته الضرورية وظروفه الخاصة ما دام ذلك التطبيق لا يتنافى مع أصل من أصول الاسلام ، أو نص قاطع من نصوص القرآن ، أو يقضي على فوائد أهم ، أو مصالح أنفع للجماعة الاسلامية .

ولم يقتصر القرآن فى تشريعاته بهذا الصدد على الأحوال والمشاكل التي تطرأ على العلاقات بين المسلم والمسلم ، أو تعترى صلات أفراد المجتمع الاسلامي أو طوائفه بعضها ببعض فحسب ، وانما بجانب ذلك تناول العلاقات الانسانية كلها بالتنظيم والتهذيب على أساس من الاخاء العام ، والحب الاكيد ، والتعاون المتبادل على حفظ الحقوق المتقدمة ومراعاة حرماتها بصرف النظر عن فوارق اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين ، أو الموقع الجغرافي ، وما شاكل ذلك من حدود مصطنعة وفواصل طارئة من شأنها أن تصرف عن التعاون ، وأن تحد من التعارف الانساني والألفة الطبيعية ، التي هي فى الحقيقة مفتاح كل تعاون ، وباب كل تفاهم بل هي الطريق الأوحد لأن يفهم الناس بعضهم بعضا ، وأن يتبادلوا فيما بينهم المعارف والمنافع والآراء ، لينتفع جاهلهم من عالمهم ، ومتأخرهم من متقدمهم ، وغبيهم من ذكيهم ، فيكمل الناس بعضهم بعضا ، ويستعيض كل عمّا فيه من نقص ، بما قد يكون عند الآخر من كمال .

وهذا هو الذى عناه القرآن الكريم بقوله :

... (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) فأصل الناس جميعا واحد هو آدم وحواء ، ولهذا كانت المساواة فى النشأة والاشتراك فى الأصل ، فلا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى **(كلكم لآدم وآدم من تراب)** .

ولكن طبيعة الحياة تقضي بأن يختلف الناس ، وأن تتكون مجتمعاتهم ، وتنمو وتتطور طبقا لبيئاتهم ، وتبعا لعوامل متعددة ، بحيث تكون كل جماعة صورة ناطقة للعوامل التي أثرت فيها ، والبيئة التي نشأت بها ، طبيعية كانت هذه البيئة أو غير طبيعية ، وراثية كانت هذه العوامل أو مكتسبة .

ولكن ذلك كله لا ينبغي — فى نظر القرآن — أن يضع الحدود والفواصل بين الانسان وأخيه الانسان ، وانما يجب أن يعمل الناس على تحقيق وحدة الأصل فى نهايتهم ، فيلتقوا معا كذلك على أصول واحدة ، كما نشأوا معا من أصل واحد ، على أن يكون ذلك اللقاء وهذه الوحدة فى الهدف لخير الانسانية جمعاء ، ولتبادل المنافع بين الانسان والانسان ، وقد أوضح الرسول صلى الله عليه وسلم ما عناه القرآن الكريم فى آيته المتقدمة بقوله عليه السلام : **(المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف ، وخير الناس أنفعهم للناس)** .

١ — مشكلة التدين

وقد عالج القرآن المشكلة العقدية والدينية ، وما ذهب اليه الناس من انحرافات فى شؤون العقيدة عند مختلف المذاهب ومتعدد المعتقدات .

فمن الناس من تصور الاله على صورة مجسمة وأضاف اليه بعض صفات المخلوقين . ومنهم من جرده تجريداً كليا حتى عن الصفات الايجابية التى لا بد منها لكماله وجلاله ، ومنهم من كذلك من ألحد فأنكر الالوهية مطلقا وفكرة التدين كلية .

ولكن القرآن الكريم لكي يرد الناس جميعا الى العقيدة الحقة ، عقيدة الايمان بوجود الله وبوحدانيته ، واثبات صفات الكمال لذاته الأقدس نبههم أولا الى فطرتهم ، وذكرهم بأن التدين مركوز فى طباعهم ، ناشىء من أصل خلقتهم ، لا يمكن أن يتخلى عنه انسان كامل الانسانية أو ناقصها .

فالدين فى الانسان كوجوده وحقيقته ، ذاتي له لا يستطيع مهما كابر وجحد أن ينفك عن الاحساس به ، والشعور بهاتفه فى نفسه والائتناس بقوة عليا ، وأصل أساسي لكل ما فى هذا الوجود من

حركات وسكنات وتصرفات . **(فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها) (١) .**

وبعد أن يقنع القرآن الناس بضرورة الديـــن للمجتمعات البشرية يتدرج بهم شيئا فشيئا ويرقى بهم سلما سلما من دركات الحس والمادة الى سمو العقل والوجدان ، متخذا من آثار قدرة الله فى الكون المحسوس ، ودلائل رحمته بخلقه ، دليلا على وجود خالق لهذا الكون ، اليه يستند فى أصل نشأته ، وفى احكام تدبيره ، واتقان تسييره . وفى ذلك قوله جل وعلا :

((ان فى خلــق الســـموات والارض واختلاف الليل والنهــار لآيــات لأولى الألبــاب . الذيــن يذكرون الله قيامــا وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هــذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار)) (٢) .

وقولــه تعالى ((ان فى الســـموات والأرض لآيات للمؤمنين)) (٣) .

وقوله تعالى ((أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله مــن شيء)) (٤) .

وقوله تعالى ((ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الــذى خلقهــن ان كنتم اياه تعبدون)) (٥) .

ولا نطيل الاستطراد من ذكر الشواهد مــن القرآن الكريم على تصحيح عقائد المجتمع الانساني بدعوتهم الى عبادة اله واحد قادر مدبر للكون ، محيط به ، خبير بأسراره وخالق لكل ما فيه من نواميس وقوانين ونظم .

ولكن الذى يسترعى الانتباه أن القرآن الكريم لم يكتف بتصحيح عقائــد المجتمعات الانسانية المنحرفة فى تدينها ، وانما وضع نفســه موضــع الحكم بين عقائدها المختلفة ودياناتها المتصارعة ، فخاطب اليهود والنصارى طالبا اليهم أن يتركوا النزاع والتنابذ ، وأن يرجع كل منهم الى دينه الحق ، الى التوراة كما أوحى بها الى موسى ، والى الانجيل كما أوحى به الى عيسى . وهذا هــو نداء القرآن الكريم فى هذا الصدد .

(وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليســت اليهــود على شيء وهم يتلون الكتاب) (٦) ثــم يقول ((قل يا أهل الكتاب لســتم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل ومــا أنزل اليكم من ربكم)) (٧) .

وهكذا يقرر القرآن الكريم للمجتمعات الانسانية العقيدة الحقــة والدين القويــم المتضمن لكــل مقومات الحياة الانسانية عقدية كانت أو تشريعية أو أخلاقية أو سياسية أو اقتصادية .. (ذلك الدين القيم) وهو دين الاسلام ((ان الدين عند الله الاسلام)) وقد صدق الله تعالى حين قال فى محكم كتابه . ((ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقــوم)) (٨) .

٢ ـ مشكلة حق الحياة

أما مشكلة حق الحياة فقد عالجها القرآن بما يهيء لكل فرد من أفراد البشر حيــاة الأمــن والسلام ، وبما يوقر فى نفسه أن حياته ودمــه وكل أعضائه الظاهرة والباطنة مصونة من الاعتداء، محفوظة حرماتها من الانتهاك ، فقد سنّ القرآن الحدود الزاجرة والعقوبات الرادعة على مختلف الجرائم ، ولكنه كان أكثر صراحة وأعنف تشددا فى تحديد العقاب على جريمة القتل لما يترتب عليها من انتشار الفزع فى المجتمع وارتفاع الثقة من بين أفراده ، مما يؤدى لا محالة الى انهياره

---

(١) ٣٠ سورة الروم (٢) ١٩٠ ، ١٩١ سورة آل عمران (٣) ٣ سورة الجاثية
(٤) ١٨٤ الاعراف (٥) ٣٧ : سورة فصلت .
(٦) ١١٣ سورة البقرة (٧) ٦٨ : المائدة (٨) ٩ : الاسراء .

وتحلله وذهاب سطوته وبأسه ، وقد جاءت النظرية القرآنية فى تحديد العقوبات عامة ، وفى العقوبة على جريمة القتل خاصة ، متفقة مع طبائع البشر ، ملائمة لأسمى ما وصلت اليه القوانين الوضعية الحديثة ، بل تجاوزتها سموا وتقديرا للأمور وعمقا فى معرفة الأسرار والدوافع والكشف عن البواعث النفسية التي تدفع الى الجريمة ، روعي ذلك وأكثر منه فى دستور القرآن وشريعته منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام .

هذه المبادىء التي راعتها شريعة القرآن فى علاج مشكلة حق الحياة هي :

أولا : ــ أن الجريمة مرض ينتاب المجرم ، وعلى هذا فالعقوبة قصد بها أحد أمرين أو هما معا . (١) علاج المجرم من مرض الاجرام (٢) حماية المجتمع من أضراره وما يترتب عليه من مفاسد .

وثانيا : ــ أن القصاص مصلحة اجتماعية .

وثالثا : ــ اذا تطرق الشك الى أدلة اثبات للجريمة لا يدان المتهم بل تسقط عنه العقوبة

ورابعا : ــ مصلحة المجتمع مقدمة على مصلحة الفرد ، حين تتعارض المصلحتان .

وعلى ضوء هذه المبادىء وضع القرآن الكريم العقوبة على جريمة القتل وعلى جريمة الاعتداء على أى عضو من أعضاء البدن ، وتعطيل أى جهاز من أجهزة الفرد الضرورية حسيا كان أو معنويا .

وقد رهن القرآن حياة المجتمع كله ، وأوقفها على تنفيذ العقوبات المفروضة على هذه الجرائم بدقة ، ولهذا قرر أن يضحي بحياة فرد من أفراد المجتمع فى سبيل الابقاء على حياة المجتمع وصيانة سلامته كله .

يعبر القرآن عن هذا المعنى تعبيرا واضحا فى الآيتين الكريمتين ، وهما قوله تعالى :

((ولكم فى القصاص حياة يا أولي الالباب لعلكم تتقون (١) .

وقوله ((من أجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا)) (٢) .

وتحريا للعدالة فى تطبيق العقوبة وتفريقا بين القتل الناشىء عن قصد وروية وبين القتل الناشىء عن خطأ ، ومن غير قصد اليه أو ارادة له ، قسم القرآن القتل الى هذين النوعين ، وشدد فى عقوبة النوع الأول ، فجعلها القتل لقوله **((يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى))** . بينما جعل عقوبة النوع الثاني دفع الدية من القاتل أو أوليائه الى أولياء المقتول ، ما دام القاتل لم يصدر فى تصرفه عن حب للجريمة أو ميل اليها بل لم يقصد اليها . وانما جاء ذلك منه عفوا وبغير قصد . فكانت الدية بمثابة تطييب لخاطر أولياء الدم أو تعويض لهم عن بعض ما فقدوا بفقد عائلهم من مورد رزق أو ايناس بصحبه.

أما العقوبات التي حمى بها أعضاء أفراد المجتمع وحافظ بها على كمالهم الجسماني ليظل كل فرد عاملا حيا وعضوا نافعا ليس معطل الحركة ولا مشلول النشاط فلم يهملها القرآن ، وانما شرعها وميّز بين انواعها المختلفة فى تكييف الجريمة والحكم عليها وتحديد العقوبة لها . وقد جمعت العقوبة على تعطيل حاسّة من حواس الجسم أو وظيفة من وظائفه الظاهرة أو الباطنة فى قوله تعالى ((وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له)) . (٣) كان ذلك مكتوبا فى التوراة وأقره القرآن فصار شريعة لنا كذلك .

---

(١) ١٧٩ سورة البقرة (٢) ٣٢ : المائدة . (٣) ٤٥ سورة المائدة

ولما كان ايقاع القصاص بقتل القاتل أو قطع عضو من أعضاء الجاني نظير ما قطع أو عطل من أعضاء غيره ، قد تترتب عليه أضرار اجتماعية أو يلزمه ارتكاب خطيئة أكبر فى حق الغير ، فتح القرآن لصاحب الحق فى العقوبة باب العفو ان رأى ذلك وفضله لاعتبارات اجتماعية ، ولتفادى أضرار قد تلحق بالجماعة كلها أو ببعض أفرادها اذا ما استمسك بحقه فى تنفيذ القصاص . ومن أجل أمثال هذه الحالات لم يوجب القرآن عقوبة القتل كما لم يوجب القصاص بالمثل فى غيره وانما جعل ولي الحق مخيرا بين القصاص وبين العفو فى مقابل دية من القاتل او القاطع يدفعها لأولياء المقتول أو المقطوع وفى هذا يقول القرآن الكريم

((فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة)) (١) . ثم يزيد ما عناه فى تلك الآية السابقة ايضاحا فيقول ((فمن تصدق به فهو كفارة له)) .

هذه هي عقوبة القرآن فى دنيا الناس ، وعلى أساس الأحكام الظاهرة التي يجريها القضاء ، أو يقضي بها الحاكم طبقا لما ظهر من شواهد ، وما اتضح عنده من بينات . فقد يهتدى الحاكم فى قضائه الى الحق ، وقد يجانبه ذلك بسبب ما يضلّل به من شواهد ، أو يزيف عليه من بينات يضلّل به من شواهد، أو يزيف عليه من بينات وأدلة، ولذلك يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم : « أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر »

وهذه الولاية من الله سبحانه لسرائر الناس قضت بأن يلحقهم العقاب فى الآخرة ، مهما أفلتوا منه فى الدنيا ، ولهذا سن القرآن العقوبات الأخروية بجانب الدنيوية أو بدلا منها على الخلاف فيما اذا كانت الحدود زواجر أو جوابر . فقال جل من قائل .

((ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما)) (٢) .

هذا هو موقف القرآن الكريم من مشكلة حق الحياة . عالجها بحكمة وواجهها بصرامة وصراحة ووضوح فأحاطها بما يحول بين الناس وبين اهدارها أو الاستهانة بها ، وكان فى كل حكم شرعه أو عقوبة سنها أو تحذير وجهه لا يراعى الا مصلحة الجماعة والحفاظ على ترابطها وقوة تماسكها وسلامتها من الأمراض الفتاكة والعلل المهلكة ، والآفات الاجتماعية التي تهدد حياة المجتمعات الانسانية وتزلزل كيانها وتجعل مصائرها فى متناول الأنواء ومهب الأعاصير .

أما حق الملكية فله حديث آخر .

نغمة العفو

قال الاصمعي :

سمعت أعرابيا يقول فى دعائه وابتهاله: « آلهي . ما توهمت سعة رحمتك الا كانت نغمة عفوك تقرع مسامعي ، أن قد غفرت لك ، فصدق ظني بك ، وحقق رجائي فيك ، يا الهي » .

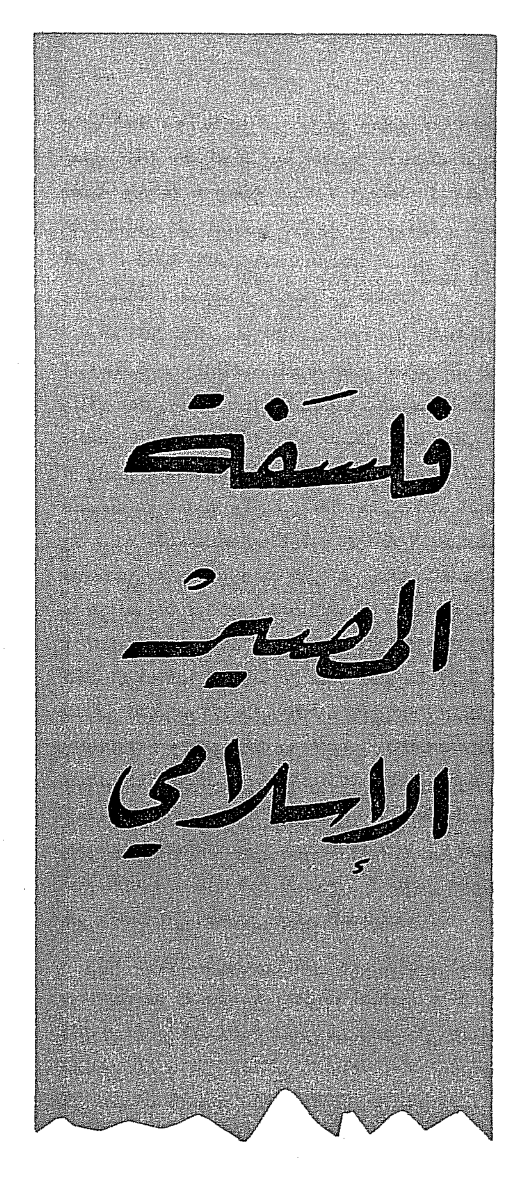


كم صديقا لك ؟

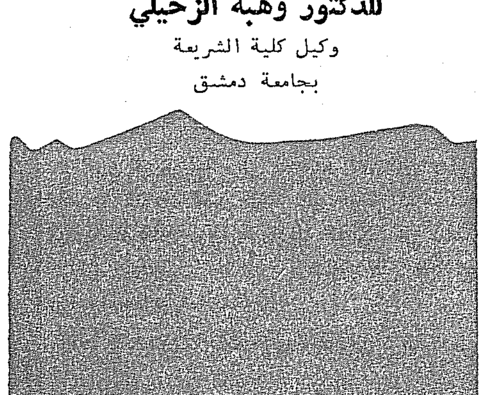
قيل لبعض الولاة : كم صديقا لك ؟ قال لا أدرى . الدنيا مقبلة علي والناس كلهم أصدقائي ، وانما أعرف ذلك اذا أدبرت عني .

---

(١) ١٧٨ سورة البقرة (٢) ٩٣ سورة النساء .



للدكتور وهبه الزحيلي
وكيل كلية الشريعة
بجامعة دمشق



يتساءل رجال الفكر الاسلامي اليوم : كيف ، ومتى ، والى أين يسير المسلمون فى ركب الحياة المعاصرة ، وما هو طريق الاصلاح المنشود ، وما هي الدعائم التي تحقق الأمل المرتجى ، وما هي الوسائل التي يستطيع بها المسلمون السير وفق خطة موضوعية متكاملة شاملة لجميع مرافق الحياة ؟

هذه أسئلة تجول فى أذهان الناس ، وعلى لسان كل مسلم غيور على دينه ، متطلع الى مستقبل أفضل لهذا الدين ، بحيث يصبح الرائد الأول لجميع الاتجاهات ، والحاكم الفاصل فى كل القضايا وشؤون الحياة .

وفى رأيي أن الطريق واضحة وأنه يمكن للمسلمين القيام بدور ايجابي فى معالجة أوضاع المجتمع الحديث ، على أساس من الاتزان والاعتدال ، وفى روح متجردة ، وفى اطار تربوي سليم يتلاءم فى نهجه وهدفه مع تغير الزمان والمكان ، وأحوال المدنية الجديدة ، ويمكن تحقيق ذلك من جانبين :

الجانب الأول : ـ

تأصيل وتقرير الفكرة الاسلامية وابراز القانون الاسلامي واثارة الوعي الديني الصحيح ، عن طريق نشر الثقافة الاسلامية ، وتركيز أهدافها من قبل أولئكم الرجال المخلصين ((المحايدين)) الذين لم يقعوا فى أسر فئة معينة أو حزب معروف ، او ممالأة السلطات الحاكمة .

الجانب الثاني : ـ

مساندة السلطات الاسلامية لرجال الفكر الاسلامي الناضج ، بتشجيعهم ، وتبني آرائهم ، وتنفيذ مخططاتهم ، وتكليفهم فى ظل دولة ـ كدولة الكويت الفتية الفنية ـ بوضع نظام اسلامي شامل لجميع نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية .

وبهذين الجانبين يمكن السير قدما الى الأمام ، اذ لا يكفي الاعتماد على العواطف المجردة ، والتفكير السطحي ، والذهاب مع الخيال ، وترديد

مثل قوله‌تعالى: ((ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)) أو قوله صلى الله عليه وسلم ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله)).

والى أن يتم تحقيق مثل هذا الحلم أبين شيئا عن الخطوط العامة لتفاعل الاسلام مع الحياة .

الاسلام أساس المجتمع الفاضل

الدين الاسلامي باعتباره دين الفطرة يعتبر نظاما قائما بذاته وشاملا لجميع ميادين الحياة ، بل هو عصب الحياة ، وأساس كل مجتمع انساني سليم ، فليس الدين قاصرا على الفرد ، ودور العبادة أو الزوايا أو التكايا ، وانما هو طريق السعادة الاجتماعية ، والحارس الأمين على مصالح المجتمع ، وتنظيم العلاقات بين الأفراد فى معاملاتهم وسلوكهم وفاعلياتهم المادية أو الاقتصادية .

والسر فى تأثير الدين ـ فضلا عن أنه من لدن حكيم خبير ـ هو ما ينطوى عليه من مثالية وقوة روحية وسلطان قلبي ، ودافع ذاتي ، يدفع الناس الى التزام جادة الأخلاق ، والخشية من الله وحده ، وطهارة القلب ، وعلو النفس ، ويقظة الضمير ، والشعور بالواجب .

الدين والضمير

واذا انحسر الدين عن الحياة ـ لا سيما فى أوساطنا العربية ـ اضطربت الجماعة ، وسادت الفوضى ، وانتشر الفساد والقلق بين العباد ، وهذا هو تعليل الضعف الذى ندركه فى مجال القوانين والتشريعات الوضعية ، التي يسارع الناس فى كل فرصة للخروج على مقتضياتها وأحكامها بكل جرأة وصراحة وعلانية ، وسبب ذلك هو أن القوانين تنظم فقط العلاقات‌الاجتماعية بين الأفراد ، وتترك علاقة الفرد بربه ، وعلاقته بنفسه ، فكان الاسلام ـ دون تعصب ـ هو الدرع الواقي من كل انحلال خلقي ، أو تعثر مسلكي وسياسي ، بما تجسد فى مبادئه ومقدساته من ضوابط عامة ، ورقابة متلازمة نابعة من الضمير ، وخشية الله وحده وبما تهيأ فى تشريعه الخالد من تنظيم لعلاقات الانسان الثلاث : علاقته بربه ، وعلاقته بنفسه ، وعلاقته بمجتمعه .

كما أن الاسلام ليس دينا روحيا فقط ، ولا دينا ماديا فقط ، وانما هو دين روحي ومادى معا ، فهو يعني عناية أصيلة بتربية الفرد ، بحيث تقوى نفسه وروحه ، وتعلو همته ، وتحفظ كرامته ، فاذا انطلق الى المجتمع كان عضوا صالحا ، نفاعا لغيره ، قائما بالخيرات ، مبتعدا عن الشرور والسيئات ، متفانيا فى القيام بواجبه .

وقد كان توفيق الاسلام بين الحاجات الروحانية ، والمطالب المادية على أساس شريف مثالي عملي ، فلم يهمل الاسلام فى تشريعه المطالبة بالعمل من أجل الحياة ، قال الله تعالى : ((وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ان الله لا يحب المفسدين)) وقد ورد فى الأثر عن بعض الصحابة ما هو معروف من قول سيدنا علي كرم الله وجهه : ((اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا)) ، كما أن هناك نصوصا كثيرة فى مصادر التشريع الاسلامي تطالب بالزراعة والتجارة والصناعة ، وتعتبر ذلك من فروض الكفايات ، لأن المجتمعات تكون قوية بقوة أفرادها العاملين ، وغنى المجتمع يؤدى بدوره الى توفير الغنى للدولة وتقويتها والحفاظ على هيبتها ومنعتها وكرامتها أمام الأعداء ، قال عليه السلام : ((المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف)) .

واذا كان‌الانسان‌مفطورا على حب‌الذات،والسعى وراء مطامعه الشخصية وأهوائه الخاصة ، الا أن ذلك فى تقدير الاسلام لا ينبغي أن يؤدى الى طغيان مصالح الفرد على مصالح الجماعة ، أو تحقيقها على حساب المجتمع ، لأنه اذا كان من حق الفرد توفير حريته وكرامته وانسانيته ، فان وظيفة التشريع : أن يوازن بميزان دقيق بين مصالح الأفراد : وأن ينظم علاقات الناس بحيث يهيء لكل موهبة فردية أو طاقة انتاجية سبيل الازدهار والنمو فى اطار المصلحة العامة ، حتى انه يعتبر الاعتداء على الجماعة بمثابة الاعتداء على كل فرد بعينه ، وهذا ما سلكه الاسلام .

والدين ليس عبئا على المجتمع كما يظن بعض الناس ، كما أنه ليس قيدا على حرية الفرد كما يظن بعضهم الآخر ، وانما وظيفة الدين : هي صقل النفوس وتهذيب الأخلاق ، للحفاظ على مصالح الفرد والجماعة كما بينا .

ومما يثبت أن الاسلام دين اجتماعى : أنه جعل

الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر باعثا على الفضائل ، ورقيبا على الاعمال ، ومذكرا بالخيرات ، فمن راقب الله وخشي بطشه وعقابه أقبل على فعل المعروف والنفع العام ، وأحجم عن الشر والمنكر وارتكاب القبائح ، وكان فى عمله ومهنته رحيما بغيره ، محبا لأبناء وطنه وجنسه ، متعاونا مع بني قومه : لأن الخلق كلهم عيال الله ، وأحبهم الى الله أنفعهم لعياله .

وكذلك العبادات فى الاسلام تجعل من الدين مظهرا اجتماعيا ، فالحج فى أساسه وجوهره أمر اجتماعي ، ولا يصح أن يكون بشكل فردى خاص ، وهو أكبر مؤتمر اسلامي يجتمع فيه المسلمون على صعيد واحد ، تتوحد فيه مشاعرهم ، وتاتلف قلوبهم ، ويتذاكرون فى مصالحهم ، وينظمون فيه جهودهم وجهادهم نحو العدو .

والصوم ايضا ظاهرة اجتماعية، يصوم المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها فى يوم واحد ، وشهر واحد ، ولهم عيد واحد ، وهو ليس عبادة فقط ، وانما فيه جانب تربوى عظيم ، بحيث يعتبر مدرسة لتعليم الفضائل ، وتنمية المثل العليا، اذ انه منهاج أصيل فى تهذيب النفس ، وترقية الغرائز ، وضبط الهوى والشهوة ، وحفظ اللسان وصيانة السمع والابصار ، وقال صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

وبالصوم يصفو الفكر ، وتقوى الارادة ، وتشحذ العزيمة ، ويتغلب حكم العقل على حكم الهوى ، لأن شهر الصوم شهر الصبر ، وما أحوج المسلمين والعرب اليوم الى تقوية عزائمهم واحكام ارادتهم ، لتطهير بلادهم من العدو الدخيل .

وفى شهر الصوم باعتباره شهر المواساة : تنمو عواطف الخير ، وتزداد الأحاسيس والمشاعر ، ويشعر الناس بضرورة العطف على الفقراء والمساكين ، ومسح دموع الأرامل والمحتاجين ، وكأن الصوم محطة لتعبئة القوى الروحية طيلة أيام السنة .

والزكاة أيضا ظاهرة اجتماعية كما هو واضح ، لانها تشرك الفقراء فى أموال الاغنياء ، وتقيم التوازن بين مختلف فئات الناس ، وتخفف من حدة تكديس الأموال والثروات الضخمة بيد طبقة معينة .

وما أجدرنا أن نذكر اليوم قوله تعالى « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » .

أسباب التخلف

واذا كنا نشاهد فى وقتنا الحاضر بعض التهاون فى أحكام الدين ، فذلك يرجع لعوامل كثيرة منها : عامل تاريخي : وهو أن الناس يعشقون بطبيعتهم كل جديد ، وينفرون من كل قديم ، غير أنهم فى هذا بالنسبة لأمر التدين آثمون مخطئون ، لأن التدين فطرى أيضا فى النفوس ، ودين الاسلام لا تبلى جدته ، لأنه تنزيل من حكيم حميد .

ومنها : الاستعمار : فقد حاول المستعمرون اضعاف الدين عند الناس ، وأغروهم بالخروج على شعائره ومقدساته باسم المدنية والحضارة وتطور الزمان .

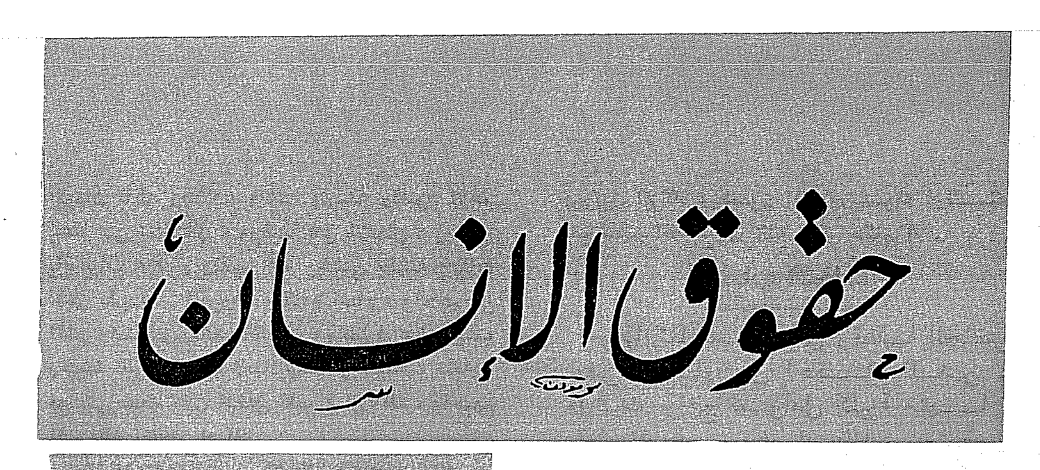
ومنها : تأثير الثقافة الغربية : وهذا واضح فى مدارسنا وأفكار الكثير من شبابنا ورجال التعليم فينا ، فقد غزانا الغرب بثقافاته وأفكاره ، وشوهوا لنا جمال صورة الاسلام النقية ، عن طريق الدعايات ، والمستشرقين ، والتأثير فى طلاب البعثات الى أوروبا ، فكانت النتيجة اقتناع المثقفين والناشئة بزخرف الحياة الغربية وهجران تعاليم الاسلام .

ومعالم الاصلاح واضحة أولا ــ فى مجال القوانين والتشريعات الوضعية ، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

وثانيا : ــ مجال التوجيه الصحيح ونشر الثقافة الاسلامية الناضجة ، وافهام الناس بحقيقة الاسلام ، وتصحيح مفاهيمهم ، واصلاح اخطائهم وتصوراتهم عن منهج الاسلام ، وذلك فى دور التعليم والتربية والمدارس والجامعات .

وثالثا : ــ يجب تغيير ما بالنفوس ، وتقوية الايمان ، وارساخ العقيدة ، والايمان برسالة الاسلام عن بينة وحجة وبرهان . وصدق الله تعالى حيث يقول :

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال » .



للشيخ عبد الحميد السائح

كل سنة تحتفى دول العالم فى ١٠ ديسمبر ، استجابة لقرار الامم المتحدة بيوم حقوق الانسان .

والامم المتحدة نشأت وتكونت سنة ١٩٤٥ ، وفى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ، أقرت الجمعية العامة للامم المتحدة وثيقة حقوق الانسان ، وفى سنة ١٩٥٠ تقرر ذلك اليوم ميعادا لاحتفال عالمي .

وتلك الوثيقة التي كانت نتيجة عصارة اكبر ادمغة فى هذا العالم ، تمثل معظم تلك الدول التي كانت اذ ذاك ممثلة فى هيئة الامم ، احتوت على ثلاثين مادة ، تدور حول الحريةبانواعها ، والمساواة فى الحقوق والواجبات ، والعدل فى المعاملة ، وان يكون قوام الحكم مشيئة الشعب .

وانا لا اريد ان اكون متجنيا ولا متزمتا ، ولا متحيزا ، وانما اريد ان اكون منصفا الانصاف كله ، متخليا من كل ميل او عاطفة ، تجرني الى رأى غير سديد ، او قول يجافي الحقيقة .

ان وضع تلك الحقوق ، بقرار اجماعي ، يصدر عن دول تمثل معظم شعوب العالم ، خطوة ايجابية محمودة ، ومرحلة اجتماعية هامة .

ولكن الذى اريد ان اتعرض له هنا نقطتين ، اولاهما : اى الدول اشد حاجة الى تطبيق تلك المبادىء ، وتنفيذ روح تلك الحقوق ؟ واخراهما : هل سبق الامم المتحدة غيرها فى اقرار هذه الحقوق او لا ؟ .

اما الجواب عن النقطة الاولى ، فواضح وضوح الشمس فى رابعة النهار ، ذلك ان جميع الامم مهما كانت انظمة الحكم فيها ، تحتاج الى تقنين او تعارف ، يحول دون الظلم فيها ، او منها على غيرها ، ولكن هذه الحاجة فى الدول الكبرى ذات البطش الشديد والقوة والبأس ، أشد واكثر ضرورة .

الحاجة الى التطبيق

ودليلنا على ذلك ، ان الظلم بانواعه يقع فى تلك الدول ويصدر عنها اكثر من الدول الصغيرة ، فان اميركا مثلا ، وهي من اعظم دول العالم قوة وثراء ، وبسطة فى النفوذ ، لا يزال حتى الآن والى الغد ، فيها تمييز بين اسود وابيض ، وفيها ظلم من الابيض على الاسود ، وفيها اعتداء صارخ على ابسط الحقوق البشرية ، ومنها يتكرر الظلم باساليبه وانواعه ، بتأييد الاستعمار والعدوان ، ودعم الطغيان ، سواء فى اسرائيل التي خلقوها على ارض عربية اسلامية ، وأيدوا طرد اهلها من ارضهم التي ولدوا وعاشوا عليها ، وحرمانهم من معابدهمالتيحرصوا علىالتردد اليها ، وأمدوها بالسلاح والاموال للامعان فى عدوانها ، وتأييد باطلها وتسليح ظلمها ، أما فى غير اسرائيل من البلاد التي فيها بعض الخلافات والنزاعات ، فان اميركا وتسندها احيانا انكلترا والمانيا وغيرهما من دول الاستعمار ، ينحازون لفريق دون آخر ، ويحرضون فريقا ضد آخر ، ويمدون فريقا بالاعتدة والسلاح ليعتدى على الفريق الآخر .

وقل مثل ذلك بالنسبة لسائر الدول الكبرى ، مهما كان نظام الحكم القائم فيها ، اذن فهذه الحقوق التي اقرتها الوثيقة ، تشتد حاجة الدول الكبرى الى تطبيقها ، لا لمصلحتها وحسب ، بل لمصلحة السلم العالمي ، ولمصلحة سائر الدول

الصغرى ، ولمصلحة المنطق الانساني والحق الانساني المحض .

والواقع المشاهد ان الدول الكبرى في هيئة الامم ، لا تترك للدول الصغرى حريتها في ابداء الرأى الذى تريد ، ولا تدعها تدعم العدل المطلق الذى تعتقده ، بل تستعمل معها وسائل الاغراء والتهديد ، لحملها على رأى معين ولو خالف رأيها ، وحملها على دعم ما تعتقده ظلما وعدوانا !!

فما هذه الحقوق المدونة على ورقة بيضاء او صفراء او زرقاء أو حمراء ؟ وما قيمة هذه الوثيقة اذا لم يصن حقوقها اكابر واضعيها ، وهم القوة المحركة الفعالة فى هيئة الامم وفى معظم لجانها وتشكيلاتها ؟

وهنا يتضاعف واجب الدول الصغرى ، فى ضرورة تماسكها لمحاربة هذا الظلم ، ومقاومة هذا الطغيان ، حتى تحمي نفسها ، وخير للامم الصغيرة ان تغلب لبعضها فى بعض الحقوق والحدود غير الجوهرية ، من ان تترك للكبار حق التسلط والنفوذ ، فان ما يضيع منها فى الحالة الاولى قد تعوضه فى مناسبة او اخرى ، واما فى الحالة الثانية فان ما يضيع منها عزيز وغال ، وهو حريتها وكرامتها وعزها وحق انسانيتها .

هل سبق الامم غيرها

اما النقطة الاخرى وهي : هل سبق الامم المتحدة غيرها فى وضع هذه الحقوق وتشريعها ؟؟؟

نعم ، ان بعض الاديان في القديم حاول دعوة الناس الى المحبة ، والى وضع حدود بين ما هو حلال وبين ما هو حرام ، ثم ظهر افراد فى التاريخ ممن شعروا بظلم صارخ احاط بهم ، فلم يطيقوا صبرا دون ان يحاولوا اشعار الناس بالانصاف ، وهنا نذكر حلف الفضول حيث تحالف جماعة من قريش قبيل بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، ألا يجدوا بمكة مظلوما من اهلها ، او من غيرهم من سائر الناس ، الا كانوا معه حتى ترد اليه مظلمته ، ثم اخذ بعض المصلحين هنا وهناك يكتبون وينبهون،

والناس فى كثير من انحاء العالم فى اغراق من الغفلة والمظالم ، ثم فى سنة ١٦٨٨ حصلت ثورة فى انكلترا ، نتج عنها اقرار حق الشعب ، وان رأى البرلمان الممثل للشعب مرجح على رأى الملك .

ثم فى سنة ١٧٨٩ قامت الثورة الفرنسية ، التى نشأ عنها اعلان الحريات والحقوق الانسانية على الوجه المبين فى ميثاقها .

وكثير من الناس ينسبون هذه الحريات التي يتمتعون بها والتسوية فى الحقوق والواجبات الى الثورة الافرنسية ، ثم الى وثيقة الامم المتحدة ، ولكن هذا او ذاك تجاوز على الحقيقة واغراق فى البعد عنها ، وذلك لان الاسلام عالج هذه الحقوق معالجة جذرية وقررها فى غير لبس ولا ابهام ولا مداورة .

حرية العقيدة

اما الحرية بانواعها ، فان القرآن الكريم وهو دستور المسلمين الخالد ، الذى لم يتطرق اليه التغيير والتبديل ، قد تكفلها ، وسيرة الرسول واصحابه قد دعمتها بما لا يبقى معه مجال لاحتمال . من ذلك : ـ

١ ـ قوله تعالى : ((لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي)) الآية (٢٥٦) من سورة البقرة .

اخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي عن سعيد بن جبير قال : كانت المرأة من الانصار اذا كانت نزرة او مقلاة ، تنذر لئن ولدت ولدا لتجعلنه فى اليهود ، تلتمس بذلك طول بقائه ، فجاء الاسلام ، وفيهم منهم . فلما اجليت النضير ، قالت الانصار يا رسول الله ، ابناؤنا واخواننا فيهم ، فسكت عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزلت : ((لا اكراه فى الدين)).. الآية ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قد خير اصحابكم ، فان اختاروكم فهم منكم ، وان اختاروهم فهم منهم فاجلوهم معهم) .

٢ ـ وقوله : ((ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)) ... الآية (٩٩) من سورة يونس .

حريــة الرأى

٣ ــ كان اصحاب رسول الله يتمتعون بحرية تامة فى مجالس الرسول ومخاطبته ، حتى ان الحباب بن المنذر اشار على الرسول فى غزوة بدر ان ينزل فى مكان غير الذى نزلوا فيه اول الامر ، ثم بتغوير الآبار وبناء حوض للشرب لا يصل اليه المشركون ، فقبل الرسول اقتراحه واخذ برأيه .

وكذلك فى غزوة الخندق حين استشار الرسول اصحابه فاشار سلمان الفارسي بحفر الخندق ، عند المنفذ الذى خيف ان يهجم منه الاعداء على المدينة فقبل الرسول رأيه وامر بحفر الخندق .

وكان اصحابه يعترضون على بعض اعماله ، حين توزيع الغنائم مثلا ، ويستوضحون منه أى امر غمض عليهم فلم يمنعهم الرسول من حرية الرأى .

٤ ــ حينما شكى فتى قبطي الى عمر بن الخطاب ، ابن عمرو بن العاص ، الـذى كان ابوه حاكـم مصر ، قال عمر لعمرو قولته المشهورة (منذ كم يا عمرو استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم امهاتهم احرارا) .

المساواة

واما المساواة فى الحقوق والواجبات ، فـان الاسلام اقرها فى عدة مجالات ، من ذلك : ــ

١ ــ قوله تعالى : يايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ــ الآية ١٣ من سورة الحجرات ــ

٢ ــ قوله تعالى : « قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله » ــ الآية (٦٤) من سـورة آل عمران ــ

٣ ــ خطب رسول الله فى حجة الوداع فقال : ايها الناس الا ان ربكم واحد ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاسود على احمر ، ولا لاحمر على اسود ، الا بالتقوى ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم .

٤ ــ حينما سرقت امرأة من بني مخزوم (وهم من اشراف قريش) ووصلت قضيتها للرسول ، اراد ان يعاقبها ، فعظم على قومها ذلك ، وارسلوا أسامة بن زيد شفيعا للرسول ــ (وكان محببا اليه ومقربا لديه) ــ فقال الرسـول لاسامة : أتشفع فى حد من حدود الله ؟ ثم دعـا الناس وخطبهم ، وقال : انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه ، واذا سرق فيهم الضعيف اقاموا الحد عليه ، والله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . ــ رواه البخارى ــ .

٥ ــ قال عمر بن الخطاب فى وصـيته لسـعد ابن ابى وقاص : ان الله ليس بينه وبين أحـد نسب الا طاعته ، فالناس شريفهـم ووضيعهم فى ذات الله سواء :

٦ ــ غضب ابو ذر الغفارى من بلال بن رباح ، فقال له يا ابن الحمراء ، فشكاه الى الرسول ، فغضب صلى الله عليه وسلم وقـال لابي ذر : انك امرؤ فيك جاهلية يا ابا ذر : ارفع رأسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود ، الا ان تفضله بعمل صالح .

٧ ــ اسلم جبلة بن الايهم وكان زعيمـا فى(1) قومه ، وحينما كان يطوف حول الكعبـة ، داس ازاره شخص من بني فزارة ، فلطمه جبلة ، وحينما رفع الامر الى عمر بن الخطاب ، أمر ان يقتص من جبلة جزاء عدوانه على الفزارى ، فاستعظم جبلة ان يقتص منه لشخص عادى ، فقال له عمر : الاسلام سوى بينكما .

٨ ــ كان لذلك التشريع الالهي اثره العميـق الايجابي فى نفوس المسلمين وتصرفاتهم ، حتى ان علي بن ابي طالب حينما جلس مـع يهـودى متخاصمين بين يدى عمر بن الخطاب ، انكر علي عمر ان يناديه بلقبه ابي الحسن ، حيث ينادى خصمه اليهودى باسمه ، وكان الخليفة يجلس مع بين يدى القاضي ليطبق عليهما حكم الاسلام .

---

١ ــ كان ملك الغساسنة ، وأسلم مع خمسمائة من قومه ثم ارتد بسبب رفض سيدنا عمر التمييز بينه وبين الفزارى .

معنى المساواة

والمساواة التي اقرها الاسلام هي ان يحوز الانسان المجد ، ومظاهر الحياة والسلطان ، ونعمة المال والمناصب والوظائف حسب جهده واستعداده ، وكفايته لا يحول دون ذلك ضآلة نسب ، ولا معابة لون، فالعربي والعجمي والاسود والابيض لهم ان يتمتعوا حسب نصوص الاسلام بالحقوق العامة كحق الحياة وحق الملكية والحقوق الاخرى من غير تفريق ، ويسرى القانون عليهم جميعا من غير تمييز .

وليس القصد من المساواة ان يكون الناس متساوين فى الثروة ، لا غني ولا فقير لا عامل ولا صاحب عمل ، فان ذلك يجافي الطبيعة البشرية ويصرف ذوى الجد والذكاء ، والملكات عن استخدم قواهم ومواهبهم فى ترقية الحياة وتقدمها بالابتكارات والتفكير والنشاط .

العدل

واما العدل فى المعاملة فان الاسلام اقره بصورته المطلقة الواسعة ويتضح ذلك مما يلي : ـ

١ ـ قول الله سبحانه : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا أعدلوا هو اقرب للتقوى » ـ الآية (٨) من سورة المائدة .

٢ ـ قوله تعالى : « يايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وان تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » ـ الآية (١٣٥) من سورة النساء ـ . أى لا يجوز ان يحملكم عداوة قوم او كرههم على ان تظلموهم فى المعاملة او فى الشهادة ، فان العداوة والصداقة والمحبة والكراهية ، والقرابة وعدم القرابة والغنى والفقر والمركز والجاه واللون والجنس والدين ، تستبعد كلها : حين التعامل وحين التقاضي وعند الشهادة ، والواجب هو العدل المطلق باوسع معانيه واكمل مشتملاته .

٣ ـ قوله سبحانه : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » ـ الآيـة (٨) من سورة الممتحنة ـ .

٤ ـ قال الامام ابو يوسف : وحدثني عمر بن نافع عن ابي بكر قال : مر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل ، وهو شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عمر عضده من خلفه ،

وقال : من اى اهل الكتاب انت ؟

فقال : يهودى .

قال : فما الجاك الى ما أرى ؟

قال : اسأل الجزية والحاجة والسن .

فأخذ عمر بيده وذهب به الى منزله واعطاه ما تيسر ، ثم أرسل الى خازن بيت المال فقال : انظر هذا وضرباءه ، فوالله ما انصفناه ان اكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم ، قال تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين » ، والفقراء هم المسلمون ، والمساكين اهل الكتاب وهذا منهم .

٥ ـ وقال ابو يوسف فى وصاياه لامير المؤمنين هرون الرشيد « وينبغي ان تتقدم فى الرفق باهل ذمة نبيك وابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم ، والتفقد لهم حتى لا يظلموا ، ولا يؤذوا ، ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، ولا يؤخذ شيء من اموالهم الا بحق يجب عليهم ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : من ظلم معاهدا او كلفه فوق طاقته فانا حجيجة » .

وقال ايضا : « وحدثني بعض المشايخ المتقدمين يرفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم انه ولى عبد الله بن ارقم على جزية اهل الذمة ، فلما ولى من عنده ناداه ، فقال : الا من ظلم معاهدا ، او كلفه فوق طاقته ، او انتقصه ، او اخذ منه شيئا بغير طيب نفسه فانا حجيجه يوم القيامة » . ـ انظر كتاب الخراج صفحة ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ .

٦ ـ قول الرسول : « اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت ايديكم ، فمن كان اخوه تحت يده ، فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم عليه » .

وهو هدي ظاهر فى ضرورة العدل والرفق فى معاملة الخدم وعدم ظلمهم او تحميلهم من العمل

البقية على ص ٣٠

محمد

الدين عندك ملــــةٌ ســــمحاءُ ... والحــق نارٌ في الــورى وضيــاءُ
ياصاحب الديــن الحنيف تحيــــةً ... تُجـزى بها آلاؤُك الغـــــرّاء
لما حملـــــتَ البينات تــــلألأت ... في الخافقـيْن من الهـدى أضــواءُ
وشرعْتَ منهــاج الصـوابِ وطالما ... ضل الطريــقَ مُشَــرّعٌ وقضــاء

* * *

حطمت أوهام العبيــد فكلُّـــهم ... والمالكــون رقابُـهــمْ أكـْفــــاء
ما ضــرّهم أن قد تفــرّقَ لونُهــم ... فجميعهم فيما شــرعْتَ ســـواء
لا القــوة الرعْنــاءُ تحكُمُ بينهــم ... أبدا ولا تتحكّـــمُ الأهــــواء
فالناس كلُّ النــاسِ فــردٌ واحــد ... لافـــرق الا تلكـــمُ الأسماء

* * *

لا الفقــر يُزْرى بالفقــير ولا الـغنيَ ... يُطْغِي الغَنِيَّ فَتَهْلِكُ الفقــراء
فالمــال في عنــق الغـنيِّ أمانــةٌ ... يسعى بها فيمــا سعى الأمنــــاءُ
فعليــه من حق الزكــاة فريضــةٌ ... ولِكلٍّ من طلب العطـــاءَ عطاءُ
حتى إذا أعطى فَسِــرٌّ مُغْلَــقٌ ... يُودِي بجُــل ثوابــه الإفْشَــاءُ
وإذا أقام المــال عن إنفــــاقه ... فلــه إذا حــل الحســابُ جــزاء
فالمــال مالُ اللـه في عليـــائه ... والناس في ملك الــورى شــركاء

* * *

وفــرَضْتَ أيام الصيــام ليلتقــى ... أهــلُ الغِنيَ في الجوعِ والبؤســاءُ

للاستاذ محمد النهامي

وجعلتَ للحج المناسكَ يلتقي | في ظلها وجلالها الغرباء
ولديك للآباء من أبنائهم | في غير كفر طاعةٌ عمياءُ
والأسرة البيضاء تخلق أمةً | في أصلها وفعالِها بيضاءُ

***

حالفتَ أصحاب الكتاب فضمتهُم | والمسلمين تعاهدٌ واخاءُ
وأخذت للحلفاء كلَّ حقوقهم | ممن هديت فكلُّهم نظراء
سيان عندك في القضاء أميرُكم | والعبدُ إن ضم الجميعَ قضاءُ
ومشى القوى لدى لوائك صاغراً | لما احتمى بلوائك الضعفاء

***

وإذا أصر الجاهلون فما لهم | الا الصراع وأخْذَةٌ نكراء
ما حيلة الهادين في متجاهل | في قلبه مَطْوِيةٌ صماء
وإذا تَركْتَ الحربَ لا تَنسى لها | عُدداً ولا تدع السلام يُساء
أوْعَيتَ حين جمعت كل فضيلة | والفضل ما شهدت به الأعداء

***

يا سيدى حَنَّتْ إليكَ جوانحي | وتدلهتْ في حبك الأحناءُ
واهتاجني أنى لدى غسق الدجى | اذ ما ذكرتُكَ فالظلامُ ضياء
يا سيدى إنا نسير بقفرة | زاد الهجيرُ بها وقل الماء
يا سيدى كن للنجاة شفيعَنا | يا خيرَ من شهِدتْ له الشفعاء

بقية ـ حقوق الانسان

ما يشق عليهم ، وقد كان ابو ذر الغفارى رضي الله عنه يلبس خادمه مثل ما يلبس ، فلما سئل عن ذلك ، ذكر الحديث .

الشورى

واما الاعتماد على ذوى الرأى ، واستشارة ذوى المعرفة من الشعب والامة ، فان الله سبحانه ذكر فى القرآن آيتين كريمتين تعتبران هما الاساس الاول فى الشورى وهما قوله تعالى : ((وشاورهم فى الامر)) الآية (١٥٩) من سورة آل عمران ، وقوله : ((وأمرهم شورى بينهم)) ـ الآية (٣٨) من سورة الشورى ـ وان الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستشير اصحابه فيما لم ينزل عليه بخصوص وحي كما حصل يوم بدر ويوم احد ويوم الاحزاب وفى مناسبات اخرى كثيرة .

وكذلك استشار ابو بكر يوم اقترح عليه عمر ابن الخطاب جمع القرآن ، كما استشار فى حوادث كثيرة .

وعمر كان يشاور اصحاب رسول الله ،ويناظرهم حتى ينكشف الخفاء ، ولذلك صارت غالب قضاياه وفتاواه متبعة فى مشارق الارض ومغاربها ، كما ذكر فى(حجة الله البالغة جزء ١ صفحة ١٠٥) وكان يعارض بعض الآراء ولكنه يعدل عن معارضته حين يعلم ان مصدر الرأى هو الشورى ، ويتضح ذلك من الحادثة التالية :

علم ان جيش المسلمين بالشام قرر الانتقال من حمص الى دمشق ، فكتب الى واليه ابى عبيدة ما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عمر امير المؤمنين الى ابي عبيدة بن الجراح ، والى الذين معه من المهاجرين والانصار والتابعين باحسان ، والمجاهدين فى سبيل الله .

سلام عليكم ، فاني احمد اليكم الله الذى لا اله الا هو . اما بعد ، فقد بلغني توجهكم من ارض حمص الى ارض دمشق،وترككم بلادا قد فتحها الله عليكم ، وخليتموها لعدوكم ، وخرجتم منها طائعين، فكرهت هذا عن رأيكم وفعلكم ، وسألت رسولكم أعن رأى من جميعكم ذلك ؟ فقال ان ذلك من رأى خياركم واولى النهى منكم وجماعتكم ، فعلمت ان الله لم يجمع رأيكم الا على صواب ورشد فى العاجلة والآجلة فهون ذلك علي ما كان دخلني من الكراهية قبل ذلك لتحولكم ، وقد سألني رسولكم المدد لكم ، واني ممدكم قبل ان يقرأ عليكم كتابي هذا ...

والامام علي كرم الله وجهه قال قلت يا رسول الله ، الامر ينزل بنا لم ينزل فيه القرآن ولم تمض فيه عنك سنة ، قال : اجمعوا له العالمين : او قال : العابدين من المسلمين ، فاجعلوه شورى بينكم ولا تقضوا فيه برأى واحد .

الى غير ذلك من الحوادث الكثيرة والتعاليم المتعددة فى الاعتماد على الشورى والاخذ بها .

القرآن وثيقة حقوق الانسان

بعد هذا الاستعراض ، تبين لنا ان الاسلام سبق العالم طرا فى دعوته الصريحة للمساواة والحرية ، والعدل فى المعاملة ، واقراره الحقوق الانسانية ، بصورة لا تدع مجالا لريب او تردد ، وان العالم يوم يسود دوله ومجتمعاته التخلي عن الاعراض والامراض الفتاكة والاهواء القاتلة والانحرافات الجارفة ، يعلن هذه الحقيقة ، ويقرر ان الاحتفال بيوم حقوق الانسان هو يوم الاسلام ، يوم انبثق نوره ، ورست قواعده ونشرت اعلامه ، ورفرفت راياته ، ذلك اليوم ، هو اليوم الذى اقرت فيه حقوق الانسان من لدن حكيم خبير ، وان تلك الحقوق سجلت فى دستور المسلمين الخالد ، الذى لا يعتريه التغيير والتبديل ، وان تأثير آياته ونوره فى العالم الاسلامي قديما وحديثا ، أفعل الف مرة من ميثاق الامم المتحدة او أى تشريع آخر .

ونحن نرى فى هذا العصر ان مشكلة الزنوج فى امريكا ، ومشكلة المنبوذين فى الهند مثلا لا تزال من العقد البارزة ، وانه رغم ما سنت حكوماتهما من تشريعات صارمة ، ورغم الاحكام التي صدرت عن المحاكم والتوجيهات من الزعماء ، فلا يزال التمرد قائما ولا يزال التمييز بارزا ، ولا تزال المشاكل متوالية ، وانا اعتقد انه لا يحل هذه

المشاكل وامثالها الا الاسلام ، يوم يعتقده هؤلاء دين المساواة الحقيقية ، وانه ليس من وضع البشر ، ولا يمكن التخلى عن مبدأ أقره « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » ــ الآية (٦٥) من سورة النساء ــ .

والاسلام فى عصوره الزاهرة كان المثل الاعلى فى تنفيذ حقوق الانسان ، لا يفرق بين لون ولون ، او بين دين ودين ، واذا وقع فى التاريخ الاسلامي حوادث تنافي ذلك ، فانما هي نتيجة الانحراف عن المبادىء الاسلامية او الجهل بها ، والبعد عن ادراك معناها ومغزاها .

حاجة العالم الى الاسلام

وكما كان العالم حين بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم فى امس الحاجة الى رسالة عامة تنقذ البشرية من الضلالات الفاشية ، والمظالم الطاغية ، فان العالم اليوم فى اشد الحاجة الى نشر مبادىء الاسلام ، واذاعة تعاليمه والتوعية بها وازالة الحجب الكثيفة التي احاطت بها وخلقتها المطامع والاهواء والانانية .

وحينئذ تتضح معالم هذا الدين بانه الملجأ الوحيد للهداية البشرية الذى يحفظ للناس حقوقهم كاملة .

وقد قال الكاتب الانكليزي الكبير برناردشو :

كنت ولا ازال اتناول دين محمد فاقدره تقديرا عظيما ، بروحيته العجيبة وحيويته العظيمة ، انه الدين الوحيد الذى يملك القدرة على هداية الغير ، وملاءمة الازمنة ، فهو الحرى بان يكون دين الجميع فى كل دور وطور ، لقد تنبأت عن دين محمد انه سيكون مقبولا وملائما لاوروبا فى الوقت الحاضر ، ان قساوسة القرون الوسطى اما لجهلهم المطبق واما لتعصبهم الاعمى ، قد رسموا الدين الاسلامي بالوان سوداء .. الخ .

العصر الاسلامي الأوربي

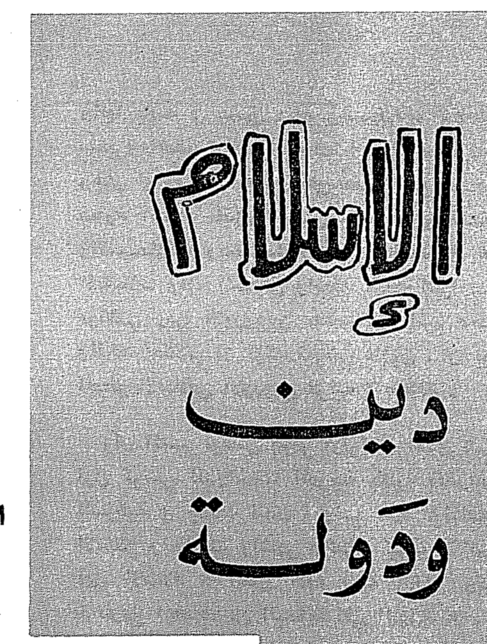
ثم قال ان اوروبا ابتدأت تحس بحكمة محمد وانها بادئة فى عشق دينه وفلسفته ، كما انها ستبرىء العقيدة الاسلامية عما اتهمت به من اراجيف رجال اوروبا فى القرون الوسطى ، سيكون دين محمد النظام الذى تؤسس عليه دعائم السلام والسعادة ، ويستند على فلسفته فى حل المعضلات وفك المشاكل والعقد ، ان كثيرا من مواطني ومن الاوروبيين يقدسون تعاليم محمد ولذلك يمكنني ان اؤكد نبوءتي فاقول : ان بوادر العصر الاسلامي الاوروبي قريبة لا محالة .

وان السير توماس ووكر آرنولد ، الذى شغل اول كرسي للدراسات العربية بكلية الدراسات الشرقية فى جامعة لندن ، وضع عدة مؤلفات عن الاسلام ومحاسنه واشهر مؤلفاته كتاب « الدعوة الى الاسلام » الذى ألفه سنة ١٨٩٦ وكتاب « تاريخ الخلفاء من البداية الى النهاية » .

ويقول المطلعون ان اهمية السير توماس لا تعود الى سعة اطلاعه فى الشئون الاسلامية والى مؤلفاته العديدة بقدر ما تعود الى الروح العلمية الاسلامية التي بثها فى نفوس طلابه النابهين الذين اصبح الكثير منهم طليعة المجتمع الاسلامي النير وفى مقدمتهم المرحوم الشاعر والمفكر الاسلامي الكبير محمد اقبال .

واني أختم كلمتي بدعوة شبابنا ورجالنا ونسائنا الى المطالعة ، والدأب على البحث العلمي النزيه ، ليصلوا الى النتيجة التي توصل اليها غيرهم نتيجة بحثهم ، وحينئذ يشعرون بضآلة اذا هم تمسكوا بأى مذهب ومبدأ ينافي تعاليم الاسلام ،ويدركون الخجالة التيتحوطهم، حين تتفتح لهم كنوز المعرفة ، وقد كانوا بعيدين عنها ،وهيكنوز آبائهم واجدادهم وثمرة حضارتهم ، ونتاج جهودهم، وهذا كله اذا كان القصد الوصول الى الحقيقة المجردة ، ولم تستولى فكرة المكابرة والجحود وفى مثل هذه الحالة لا تنفع الحجج ولا تفيد البراهين .

وقانا الله جميعا شر العناد المطغى وهدانا سواء السبيل ، انه سميع مجيب



كيف طغت القوانين الوضعية على الشريعة الاسلامية فى البلاد العربية :

ظلت الشريعة الاسلامية تحكم البلاد الاسلامية ، ومنها البلاد العربية قرابة أربعة عشر قرنا ، وكان المفروض ألا تحكم البلاد الاسلامية بقوانين وضعية الى الآن امتثالا لقول الله تعالى (**ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون**) وفى آية ثانية (**هم الظالمون**) وفى ثالثة (**هم الكافرون**) . وقوله تبارك وتعالى (**فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**).

ولقد كانت سماحة الاسلام سببا فى الاعتداء على شريعته ، وذلك أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون انتشار هذا الدين عن تدبر واقتناع ، ليكون الايمان به وطيدا وضيئا يملاء القلوب نورا. وأبى سبحانه وتعالى أن يكره الناس على ذلك **(لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى)** ، **(افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)** ، **(لست عليهم بمسيطر . الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر . ان الينا ايابهم . ثم ان علينا حسابهم)** .

ولذلك أمرنا أن نترك أهل الكتاب من الذميين والمستأمنين وما يدينون ، فكانوا يتحاكمون فى أقضيتهم فى الاحوال الشخصية ان أرادوا الى دينهم ، وكان لهم بالاندلس قاض منهم يدعى القومس ، بدأ هذا النظام تسامحا ومنة من الاسلام والمسلمين ، ولما ضعفت الخلافة الاسلامية فى آخر عهد سلاطين آل عثمان اعتبره الاجانب امتيازا ، وتوسعت هذه الامتيازات فشملت الاقضية المدنية

للمستشار علي علي منصور
الرئيس السابق لمحكمة استئناف مصر

والتجارية ، فأخذوا يتحاكمون فيها الى قناصل دولهم ، وتنكب هؤلاء أحكام المعاملات فى الشريعة الاسلامية ، وغدوا يطبقون أحكام قوانين بلادهم الاصلية وازاء ضعف الولاة فى الولايات العربية الاسلاميةفى أواخر عهد الدولة العلية انتزعقناصل الدول الاجنبية من المحاكم الشرعية سلطة الحكم فيما يقترفه رعاياهم من جرائم سواء وقعت على أجانب أو وطنيين ، وبذلك تقلص اختصاص المحاكم الشرعية - بل زال - فى قضايا الاحوال الشخصية،والقضايا المدنية والتجارية وفىالجرائم

ومما زاد الطين بلة أن اضطر الوطنيون فى البلاد العربية الاسلامية لكي يحصلوا على احكام بحقوقهم ضد الاجانب . اضطروا - الى رفع دعاواهم أمام المحاكم القنصلية . ومن عجب أن أحكام تلك المحاكم القنصلية كانت تستأنف أمام المحاكم العليا فى البلاد الاجنبية الاصلية ، فأحكام قناصل دولة اليونان مثلا تستانف فى أثينا وكان على المصرى مثلا الذى حكم ضده لصالح فرنسى، أن يرفع استئنافه فى باريس . وفى ذلك مافيه من العنت والمشقة والحرج ، مما حمل بعض الحكام فى بعض الولايات الى اتخاذ هذه الفوضى ذريعة الى التوسع فى ادخال القوانين الاجنبية واستقدام قضاة أجانب ، ومن هؤلاء المخادعين «نوبار باشا» الذى ولى رئاسة الوزارة فى مصر وهو ارمنى الاصل فرنسى الثقافة، حيث فكر فى انشاء محاكم مختلطة يجلس فيها قضاة أجانب، يمثلون جميع الدول المتمتعة بنظام الامتيازات الاجنبية ، ويحكمون وفق قوانين وضعية نقلت عن القوانين الاجنبية ، وعلى الاخص القانونين الفرنسىوالايطالى بموافقة الدولالاجنبية التىكانت تحرص على ان يكون التشريع الموحد لهذه المحاكم المختلطة غير اسلامي ، وافتتحت هذه المحاكم المختلطة فى مصر سنة ١٨٧٦ م .

سد باب الاجتهاد وتكالب الاستعمار على بلاد الاسلام :

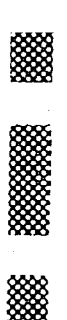
وفى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى وأوائل القرن الرابع عشر الهجرى ، بلغت الدولة العلية من الضعف والهوان ما حمل سكان أوربا على أن يطلقوا عليها اسم (الرجل المريض) ، واشتد المرض ، وبلغ بصاحبه حالة النزع والاحتضار ، وتنكب المسلمون اوامر ربهم واحكام دينهم ، فصدقت فيهم مقالة نبيهم ، وتداعت عليهم ذئاب الاستعمار كما تتداعى الاكلة الى قصعتها ، ولم يكن ذلك عن قلة فيهم ، ولكنهم كانوا كغثاء السيل يعيشون على هامش الحياة ، وتطلعت الدول المستعمرة المسيحية الى تركة الرجل المريض فرنت انجلترا الى العراق ومصر والسودان والجنوب العربي ، وتاقت فرنسا الى سوريا ولبنان والجزائر وتونس ، حتى ايطاليا طمعت فى ليبيا ، واسبانيا طمعت فى المغرب . وانتهى الامر بموت الرجل المريض والقضاء على الخلافة الاسلامية وأخلفت الدول الغربية وعودها للدول العربية واقتسمت التركة فيما بينها .

وفى هذا الليل البهيم خشى المسلمون على دينهم وشريعتهم ، حيث كانوا قد عموا بجهالة ، فخافوا عليها من أن يفتى فيها من ليس اهلا للاجتهاد ، فنادى الكثيرون فى معظم البلاد الاسلامية العربية باغلاق باب الاجتهاد . وكان ذلك سببا فى الاتجاه الى التشريعات الاجنبية ، بل والارتماء فى أحضان القوانين الوضعية . وأنشئت فى مصر محاكم وطنية على غرار المحاكم فى فرنسا ، ووضعت لها مجموعات من القوانين الوضعية الغريبة عنشريعتنا وعاداتنا وتقاليدنا ، ولم يبق للشريعة الاسلامية من سلطان سوى الحكم فى قضايا الاحوال الشخصية للمسلمين فقط ، وانتقلت هذه المحاكم الوطنية بقوانينها الوضعيةالىمعظم البلاد العربيةالاسلامية كسورياوالعراق والاردن وليبيا والجزائر وتونس .

التناقض مدعاة الى اليقظة :

قديما قالوا : بضدها تتميز الاشياء . ولم يطل العهد بالمسلمين فى البلاد العربية حتى تنبهوا الى هذه الحكمة ، فهم بعد النكبة التي حلت ببلادهم بدأوا يحسون بأن الاستعمار الغربى والشرقى يريدهم ان ينسلخوا من تقاليدهم واخلاقهم وشريعتهم ، ولا يرتضى منهم دون ذلك ، شعر المسلمون العرب بأن ما يفرض عليهم من قوانين ، ونظم أجنبية باسم الحضارة والتقدم يخالف فى الكثير أحكام دينهم وشريعتهم ، وبدت الحاجة ملحة الى وجوب المقارنة بين الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية ، وهيأ الله لهذا الامر نفرا من فقهاء المسلمين جمعوا بين الثقافتين الشرعية والوضعية ، فاستطاعوا بذلك أن يثبتوا كمال ما انتهى اليه الخالق فى شرعه ، ونقص ما انتهى اليه المخلوق فى وضعه .

البقية على ص ٤٧



من مفاخر التشريع الإسلامي

للدكتور عبد العزيز عامر
رئيس محكمة القاهرة

أرسل الله خاتم النبيين بخير دين ، رحمة وهدى للعالمين ، وبه كمل الدين ، وتمت النعمة ، ولما كان دين الاسلام هو دين الدنيا والآخرة ، والباقي الى يوم القيامة ، فقد رسم الله للمسلمين طريقهم نحو العزة والكرامة ، وسن لهم من التشريع ما يمكنهم من بلوغ غاياتهم نحو خير الدنيا والآخرة ، وأبقى بين ظهرانيهم كتابا فيه هدى ونور ، وسنة تهديهم الى سواء السبيل ، من تمسك بهما ، فقد عصم من الضلال . يقول صلى الله عليه وسلم : ((تركت فيكم ما ان تمسكتم به فلن تضلوا من بعدي أبدا : كتاب الله ، وسنتي ...))

وقد جمع تشريع الاسلام من الاحكام ما يضمن له الدوام ، ولا عجب فهو من صنع أحكم الحاكمين الذي يعلم خائنة الأعين ، وما تخفي الصدور ، فلا غرو أن يأتي هذا التشريع متفقا مع طبائع البشر ، متمشيا مع كل زمان ومكان ، صالحا لاقامة أعظم دولة وأحكم نظام .

وقد امتاز هذا التشريع فى نواح كثيرة بأحكام فريدة ، لا يغض منها ان كثيرا منها تعرض لهجوم غير المسلمين ، ولنقد من بعض المسلمين ممن لم يعلمهم الله علم هذا الدين ، ففتنوا بالغرب ، وبما عند الغرب .. لهذا فسأحاول على صفحات هذه المجلة الغراء أن أبرز بعض المفاخر التي امتاز بها التشريع الاسلامي ؛ لعل فيها ردا على اعداء الاسلام ، ونورا لمن لا يفهمها من المسلمين ، وأختار فى هذه المقالة موضوع ((تعدد الزوجات))

تعدد الزوجات

الاقتصار على زوجة واحدة من المسلمات في جميع القوانين الغربية فى الوقت الحاضر ، وهذا الامر كان قديما مبدأ من مبادىء تنظيم الزواج فى القانون الروماني ، وقد أخذ به المسيحيون ، فأضحى بتأثير المسيحية من سمات الحضارة الاوربية .

فعلى سبيل المثال تنص المادة ١٤٧ من المجموعة المدنية الفرنسية على انه :

(لا يجوز عقد زواج ثان الا بعد انحلال الاول) فاذا عقد قبل ذلك كان باطلا ، وفضلا عن بطلان الزواج الثاني ، فان القانون الفرنسى يجعل ابرام الزواج الثاني أثناء قيام الزوجية السابقة ، ومع العلم بقيامها جريمة يعاقب مرتكبها بالحبس والغرامة .

وفى القانون الايطالي تعتبر الزوجية القائمة مانعا من الزواج ، واذا تم الزواج مخالفا لهذا المنع كان باطلا (المواد ٨٦ ، ١١٧ ، ١٢٤ من المجموعة المدنية الايطالية) .

والحال كذلك فى القانون اليوناني ، ففيه يمتنع ابرام زواج جديد ممن يرتبط بزوجية سابقة ، واذا أبرم هذا الزواج كان باطلا (المادتان ١٣٥٤ ، ١٣٧٢ من القانون المدني اليوناني) .

أما فى الشريعة الاسلامية فان الامر يختلف عن ذلك ، اذ تعدد الزوجات فيها مباح ، وهو مقصور على أربع زوجات ... ، والاساس فى هذا الامر قوله تعالى :

((وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى

وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا)) .

وجمهور المفسرين والفقهاء على أن هذه الآية تبيح تعدد الزوجات ، ولكنها تقصره على أربع . والكلام فى تعـدد الزوجات متشعب ولكن الذى يعنينا فى هذا المقام هو الكلام فى بعض مسائل التعـدد .

العدل والقدرة على الانفاق

وأول هذه المسائل ما يشترط لاباحة التعدد ، وقد اتفق الفقهاء على أنه يشترط لذلك العدل بين الزوجات ، واختلف فى شرط آخر هو شرط القدرة على الانفاق :

اولا : ــ اما شرط العدل بين الزوجات عنـد التعدد فسنده قوله تعالى ، : (.... فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ....) ومقتضاه أن من خاف الجور اذا عدد لزمه أن يقتصر على العدد الذى لا يكون فيه الخوف من الجور ، فان لم يكن ذلك الا فى الاقتصار على واحدة ، لزم أن يقتصر عليها.

ولكن هل يوجد تعارض بين الآية المذكورة وقوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) .

جمهور المفسرين على أن المقصود بالعدل فى الآية الاولى هو العدل فى القسم والنفقة ، فقد قـال الامام القرطبي : انها منعت من الزيادة التي تؤدى الى ترك العدل فى القَسم ، وحسن العشرة ، وقال الحصاص : إن العدل المطلوب فى هـذه الآية هو العـدل الظاهر ، وهو القسم بين الزوجـات والمساواة فى الانفـاق ، والمساواة فى المعاملة الظاهرة ، وليس هو العدل فى المحبة الباطنة ، فان هذا أمر غير مستطاع والله تعالى يقول : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) .

أما الآية الاخرى فالعدل المنصوص عليه فيهـا هو العدل فى المحبة : قال الزمخشري : قيل معناه أن تعدلوا فى المحبة ، والنبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه ، فيعدل ، ويقول : (هـذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ، ولا أملك) يعني المحبة ، لان عائشة رضى الله عنها كانت أحب اليه . ، والقرطبي يقول فيهـا أيضا : ان ذلك ميل الطبع فى المحبة والجماع والحظ مـن القلب ، فالبشر بحكم الخلقة لا يملكون ميل قلوبهم الى بعض دون بعض ؛ ولذلك فانه تعالى لم ينه عن الميل هنا لانه خارج عن طاقة البشر ، والذى نهى عنه هو كل الميل فى قوله تعالى :

(فلا تميلوا كل الميل ، فتذروها كالمعلقة) .

العدل المادي لا العاطفي

وبناء على ما تقدم يكون هناك عدل فى المسائل المادية الظاهرة ، من مثـل القسم بين الزوجات والنفقة ، فهذا كله مستطاع ، ويجب توافره فيمن يعدد الزوجات ، وليس ذلك فقط ، بل ان الخوف من عدم توافره موجب لعدم التعدد .

أما العدل فى ميل القلب والحب ، ومسـائل العاطفة التي لا يستطيع البشر التحكم فيها ، فلا يمكن التكليف به ؛ لانه لا يستطاع ؛ لخروجه عن الطاقة ؛ وأقوى دليل على ذلك أن المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يقـدر عليه ، وفضلا عن ذلك فالمرأة بطبيعتها تحب أن تستولي على عاطفـة الرجل ، كما انها تغار من الأخرى بالفطرة ، فميل القلب غير مستطاع العدل فيه ؛ اذ من المحال أن يكون واحدا لجميع الزوجات لاختلاف طبائعهن .

واذا كان ميل القلب غير مقدور عليه ، فان الميل كل الميل فى هذا السبيل منهى عنه لقوله تعـالى : (فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة) . وقـد حثت هذه الآية على الاصلاح ، وان لم يكن هـذا الاصلاح ، وكان الميل كله ، فان الطلاق دواء لهـذه الحالة ، والله يعطى كلا مـن يحبه ، والله تعالى يقول : (وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما) .

وبما قلت يوفق بين الآيتين الكريمتين ، أمـا عدم التوفيق فليس من القرآن ، وليس من الاسلام ، وليس عليه أحد يعتد له برأي ، والقرآن كـله يفسر بعضه بعضا ، وقد تولى النبي صلى الله عليه وسلم البيان على ما ذكرت ، وليس بعد بيانه بيان ، فهو صاحب السلطة فى تبيين القرآن لقوله تعالى : (وأنزلنا اليك الذكـر لتبين للناس ما نزّل اليهم) .

ثانيا : ــ واما شرط القدرة على الانفاق ، فسنده قوله تعالى : (.... فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) ، وقـد فسرها الامام الشافعي : بألا يكثر عيالكم ، ووجهه: عال الرجل عياله يعولهم ، كقولهم ما نهم يمونهـم اذا أنفق عليهم ؛ لان من كثر عياله لزمه أن يعولهم ،

وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الكسب ، وحدود الورع ، وكسب المال والرزق الطيب . وقد انحاز الزمخشري الى ما ذهب اليه الشافعي ، وقال ان كلامه حقيق أن يحمل على الصحة والسداد ، وألا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا . وقد سلك القرطبي مسلك الزمخشري فقال : ان تفسير الشافعي المذكور أخذ به الكسائي أبو الحسن علي بن حمزة ، فالعرب تقول : عال يعول وأعال يعيل ، أي كثر عياله . وقال الثعلبي المفسر : قال استاذنا ابو القاسم بن حبيب : سألت أبا عمر الدورى عن هذا ، وكان اماما فى اللغة غير مدافع ، فقال : هي لغة حمير ، وأنشد :

وان الموت يأخذ كل حي

بلا شك وان أمشى وعالا

فعلى تفسير الامام الشافعى يكون للتعدد شرط آخر هو ان يكون راغب التعدد قادرا على الانفاق على زوجاته بعد التعدد ، وعلى ما يحتمل له من أولاد كثيرين بسببه فضلا عن قيامه بالنفقة على من تجب عليه نفقته من أقربائه ، بصفة كونه عضوا فى اسرة ، أما عند من قالوا ان معنى العبارة : ذلك أقرب ألا تميلوا فيكون شرط التعدد الوحيد هو عدم خوف الجور .

واني اميل الى الرأي الاول ، فالشافعي رضى الله عنه كان عليما بلغة العرب ، عليما بمعانى القرآن الكريم ، وكلام العرب واشعارهم يؤيد ما ذهب اليه ، فضلا عن أئمة المفسرين ، وعلى ذلك تكون القدرة على الانفاق بالوجه السابق شرطا فى التعدد يضاف لشرط العدل .

أثر تخلف الشرطين

ولكن جرى علماء الفقه مع ذلك على ان شرطى التعدد ليسا من شروط الصحة ، فالزواج بدونهما يقع صحيحا ، لكن من يعدد هنا يأثم ، وتلحقه العقوبة الأخروية . وبناء على ذلك لا يمكن — قضاء — الحكم بفسخ عقد الزواج بدعوى عدم تحقق أي من الشرطين المذكورين .

ومرد ذلك ان خوف الجور أمر نفسى لا يجرى عليه الاثبات القضائي ، فلا يمكن تبعا أن تجرى عليه أحكام القضاء ، فالقضاء لا يتغلغل فى النيات الباطنة ، بل له الظاهر . يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (انكم تختصمون الى ، ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض ، فأقضى له على نحو ما أسمع ، فمن قضيت له من حق أخيه بشىء ، فانما أقطع له قطعة من النار) .

والذى يقال فى خوف الجور يقال فى عدم استطاعة الزوج الانفاق !! كما ان تعدد الزوجات قد يترتب عليه انخفاض فى مستوى المعيشة معيشة المعدِّد مع بقاء ما يكفي حاجياته ، فهنا لا يمكن أن نمنعه من التعدد لنوفر عليه العيش الهنىء ، لان هذا قد يدفعه الى الزنى ، وقد يؤدى لمفاسد لا تحصى .

سلطة القضاء

ولا يمكن التسليم بجعل التحقق من توافر الشرطين المذكورين من سلطة القضاء ، فهذا أمر لم تكن عليه الامة الاسلامية من لدن النبي صلى الله عليه وسلم حتى الآن ، لم يشذ عن ذلك أحد يعتدله برأي ، فضلا عن انالاثبات هنا متعذر لتعلق الامر بباطن النفس ، ولضعف الوازع الديني لدى الشهود ، وفى ضمير الناس مما يجعل مهمة القاضى صعبة ، ان لم تكن مستحيلة . وزيادة على ذلك فان ترك الامر للقاضىليس حلا عمليا ، بل قد يترتب عليه أخطار شنيعة : منها أن من يمنعه القاضى من الزواج بثانية مثلا قد يلجأ الى مخادنتها سرا ، أو التزوج بها عرفيا .

صيحات مستوردة

ولقد قامت فى بعض بلاد العالم الاسلامي فى هذه الايام دعوات ملحة لتقييد تعدد الزوجات ، ومنها ما يطالب بمنع التعدد وفى اعتقادى أن هذه الدعوات غريبة عن عالمنا ، واردة لنا من بلاد غير بلادنا ، ذات تقاليد ودين يختلف عن تقاليدنا وديننا ، وذلك فى الوقت الذى أخذ فيه علماء الغرب يؤمنون بحكمة التعدد ومزاياه ، وأنه أفضل من شيوع العلاقات الجنسية غير المشروعة .

وقد تأثرت بعض التشريعات بهذه النظرة ، ومنها التشريع الفرنسى الذى جعل جريمة التعدد جنحة بعد أن كانت حتى فبراير سنة ١٩٣٣ جناية يعاقب مرتكبها بالاشغال الشاقة ، وفضلا عن ذلك فانه فى القانون الفرنسى يمكن الاعتراف بالنسب الشرعي لاولاد يولدون من علاقة غير شرعية أثناء الزواج ، وهذا يعتبر تسليما جزئيا بالتعدد .

ولا يمكن التذرع فى هذا السبيل بان الناس قد شاع فيهم التعدد ، لان الاحصائيات تدل على ان التعدد لا يعدو نسبة مئوية ضئيلة عندنا ، وتدل أيضا على ان هذه النسبة آخذة على مر الايام فى النقص ، وزيادة على ذلك فان الشرائع لا تغير لمجرد اساءة الناس استعمالها ، والقانون الحكيم فى ذاته لا يبدل من أجل جهل الناس به أو اساءتهم تطبيقه ، ولكن يجب أن يعلّم الناس لكي يحسنوا تطبيقه ، وذلك يكون بنشر الوعي الديني لدى جماهير المسلمين ، وتبصيرهم بما لهم وما عليهم ، حتى يسيروا فى الطريق السوى ، ويكونوا أهلا لتحمل ما عليهم من تبعات بدلا من فتح باب التقاضى فى أمر التعدد ؛ فان فى هذا من المضار أكثر مما فيه من المنافع .

تساؤل

والى هؤلاء الذين يهاجمون التعدد كنظام مشروع فى الاسلام أقول :

١ ــ أيهما أفضل : تعدد محدود على النظام الاسلامي ، يصان فيه العرض والشرف ، وتحفظ فيه الانساب ، أم تعدد الى غير حد فى علاقات غير شرعية يندى لها الجبين ، وثمرتها أبناء غير شرعيين ، ليس لهم من والد ينسبون اليه ، ولا من يقوم على شئونهم وتربيتهم .

٢ ــ ان الدين الاسلامي جاء للاحمر والابيض والاسود والاصفر من الناس ، وجاء دينا باقيا الى يوم القيامة ، وختمت به جميع الرسالات ، والناس على طبائع شتى ، وهو يخاطب الجميع فكان لا بد من مخرج لبعض الناس ، حتى لا تستبد بهم طبيعتهم فتلقى بهم فى المهالك ، وتوقعهم فى الزنى ..

٣ ــ والتعدد قد يكون علاجا لحالات نقص الرجال ، فهم بطبيعتهم معرضون للفناء اكثر من النساء ، ومن طرق فنائهم الحروب التي تعصف بالكثير منهم ، وأكبر شاهد على ذلك ما كان فى الحربين العالميتين الاخيرتين ، فقد نقص عدد الرجال فى بعض البلاد الاوربية لدرجة كبيرة ، حتى ان الرجل يقابل فيها عددا من النسوة ، فالتعدد يعالج هذا الاختلال فى الميزان بين الجنسين ، وبه تجد المرأة من يعولها ، ويكثر النسل ؛ فيعوض ما أكلته الحروب .

٤ ــ والتعدد مفيد لمن تقبل الزواج على أخرى ، لانها ترى ان فى هذا الوضع خيرا كثيرا لها دفعها الى قبوله على ما فيه . اما بالنسبة للزوجة التي يحصل الزواج عليها ، فكثيرا ما يكون بها ما يدعو لهذا الزواج من عقم أو مرض أو غير ذلك ، فخير لها ان تظل مع زوجها على التعدد من ان تكون غير ذات زوج .

ويمكن لمثل هذه الزوجة أن تشترط على زوجها حال الزواج بها ألا يتزوج عليها ، فان فعل يكون لها حق الفسخ لعدم الوفاء بالشرط ، وهذا سائغ فى مذهب أحمد ، بل ان هذا المذهب خصب جدا فى الشروط ، ويمكن الاقتباس منه فى كثير من أحكامه مما يساعد على حل كثير من المسائل ، ونصوصه مستفيضة فى هذا المجال ، والزوجة ان اشترطت هذا الشرط ، وأخل به الزوج ، فان رضيت بالحال الجديدة فبها ونعمت ، وان لم ترض بها استعملت مقتضى الشرط ، فلها أن تطلب الفسخ ، وبه تتحلل من هذه الرابطة .

ولما كان اعمال الشرط هنا فى جميع الاحوال قد يضر بثمرة الزوجية فيستحسن أن يكون مجال تطبيق مثل الشرط المذكور فى حالة عدم الدخول ، أو بعده حين لا يكون هناك أولاد ، أما فى حالة وجود ذرية منهما فيكون اعطاء حق الفسخ للزوجة حينئذ مما يجعل الحياة الزوجية تحت رحمتها ، وفى ذلك ما فيه من مضار .

واخيرا لا يتبادرن الى الذهن ان الاسلام يدعو لشيوع التعدد ، بل ان عدم التعدد هو النظام المفضل ، اذ يلتزم فيه الشخص الجانب الآمن ، ويكون فى منأى عن عدم العدل ، ولا يكون معرضا لامتحان فى عدالته ، كثيرا ما تكون نتيجته الاخفاق ، فيجب على كل من أشرب قلبه بهذا الدين ألا يقدم على التعدد الا اذا تحقق من توافر شروطه ، وكان هناك من الاسباب ما يبرره ، كمن يتزوج عن قدرة ليعف نساء مسلمات ، وينفق عليهن ، ويعف نفسه ، أو لمرض زوجته مرضا مستعصيا ، أو لانها عاقر .

وبعد فلست مبالغا ــ اذن ــ اذا قلت ان نظام تعدد الزوجات لا يمكن أن يؤخذ على شريعة الاسلام ، ولكنه يعتبر بحق من مفاخر هذه الشريعة ، ومن الادلة على حيويتها ، وانها استهدفت فى أحكامها مصالح الناس .

والله نسأل أن يهدينا سواء السبيل ، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه .

عقيدة التوحيد وأزمة المثقفين

وأثرها فى الاصلاح السياسي والاجتماعي

لا يغيب عن الباحثين اليوم ما يعرفونه عن الأزمات العقلية والعقدية حول معرفة الله والايمان به ، تلك الازمات التي يعانيها كثير من المثقفين وشباب الطلاب،ولهذه الازمات مظهر يهم موضوعنا هذا ، وأعنى به تأثير دراسات المستشرقين على الفكر الدينى لدى شبابنا الجامعي ، الشباب الذى يتجه الى المصادر الغربية حتى فيما يخص معارفه الاسلامية الشخصية ، وتأثير الدراسات الفلسفية فى أقسام الفلسفة بالجامعات ، وهي تميد بأفكار الطلاب الى معان وعقائد قد لا تكون من الاسلام فى شيء ، وليس لدى هؤلاء الطلاب من المعارف الاسلامية ما يقاوم ، أو يوازن هذه النظريات العقدية التى يتلقونها ، فيبيتون حيارى أمام ما يعرفونه من العقائد الموروثة وبين ما يتلقونه .

والشباب المسلم المثقف يرى نفسه مضطرا الى أن يلجأ الى مصادر المؤلفين الاجانب خضوعا لمقتضيات عقلية جديدة ، ولعله يقدر الى حد كبير منهجها الوضعى الديكارتى ، ومن العجب أن نذكر ما تتمتع هذه الافكار من مجاملة .

كان لهذه الأمور أثرها فى وهن العقائد الدينية الذى أصاب يقظة الضمير ، والقى بالظل على بواعث المراقبة مما قد يعزى اليه السبب فى العزوف عن أحكام الدين وعقائده وآدابه .

وانه ليبدو أن تعقيد المسائل الدينية العقدية عند ما تعرض على النحو الذى بحثت به منذ نشأ فن التوحيد ، ومدى ما انتهى اليه أمر هذا الفن على يد الفرق الكثيرة ، وما أصابه من نزعاتهم وأهوائهم ، ثم خلطه بالفلسفة ابان تطوره . يبدو أن ذلك قد أصل الأفكار الديكارتية،

ويبدو كذلك معه ان الشباب ما زال بلا شك مزعزعا امام المشاكل التي تشتمل على ربط أمور متباينة كمذهب الوحدانية ووحدة الوجود ، وكذلك تلك الآراء المشتجرة حول المسائل العقدية الكثيرة كالجبر والاختيار وخلق الافعال ، ومثل هذه الحالة تثيرها عصور الاضطرابات السياسية والاجتماعية والخلل الروحي ، وهي التي تخلق الصراع بين العلم والدين وتثير محافز النشاط الفكرى لانتزاع الآراء ، والتشكيك فيما يكون قد صح من حقائق اجابة لصرخات الأهواء والأغراض التي تنبعث من أعماق نفوسهم .

أعاصير الفتن

يؤيد هذا ما حدث فى آخر عصر عثمان بن عفان رضي الله عنه وعند قتله ، فقد اشرأبت أعناق الفتنة ، وكان من العاملين عليها ومن النافخين فى أبواقها عبد الله بن سبأ الذى كان يهوديا فأسلم ، وغلا فى حب علي كرم الله وجهه حتى زعم أن الله قد حل فيه ، وزعم أنه الأحق بالخلافة من عثمان الذى نفاه وظل الى عصر علي يتابع دعوته ، فنفاه الى المدائن ، وكان رأيه جرثومة لما حدث من مذاهب . فنبتت نابتة الشيطان فى حقول الرأى والعقيدة ، وشغل الناس بالرأى والجدل وباللدد والخصام ، وشققوا الكلام بالرأى والهوى ، فنشأت بوادر من النظر ، وعندئذ نجم الخلاف ، وانتهى الخلاف الى الجرأة ، فتصدع بناء الجماعة وانفصمت عرى الوحدة ، وتفرقت بهم المذاهب ، وأخذت الاحزاب والفرق فى تأييد ارائهم كل ينصر رأيه على رأى غيره بالقول والعمل . وكانت نشأة الاختراع فى الرواية والتأويل ، وغلا الخوارج فكفروا من عداهم ، وغلا بعض الشيعة فرفعوا

لفضيلة الشيخ محمد محمد رمضان

عليا وبعض ذريته الى مقام الألوهية أو ما يقرب منها ، وتبع ذلك خلاف كثير في العقائد ، وكانت أول مسألة ظهر فيها الخلاف مسألة الاختيار واستقلال الانسان بارادته وأفعاله الاختيارية ومسألة من ارتكب المعصية ، وقد اختلف فيهما واصل بن عطاء وأستاذه حسن البصرى وقد اعتزله يعلم أصولا لم يكن قد اخذها عنه ، ثم امتد الخلاف الى غير ذلك ، ثم تفرقت السبل بأبناء واصل وهم المعتزلة ، وقد نشأت الفرق السفسطائية ، واختلطت مسائل هذا الفن بالنظر الفلسفي . لقد نجمت هذه المسائل التي خرجت بعلم التوحيد عن سبيله القصد وعن مسلكه في القرآن الكريم كنتيجة كما قلنا للاضطراب السياسي والاجتماعي ، والاخلال الروحي ثم للانطلاق الفكرى البعيد المدى الذى دعا اليه القرآن .

ثم يؤيد هذا أيضا ما ظهر بعد الحرب العالمية الأولى وبعد الحرب العالمية الثانية من العقائد أو أبراز بعض العقائد القديمة في عرض حديث ، ثم خروج هذه العقائد من مجالها الذهني الى مجالاتها الخارجة كالوجودية والشيوعية الماركسية والفوضوية ، ثم ما انبعثت منها في ظل الاستعمار لافساد الدين كالقاديانية ، وكذلك التطورات التصوفية ونزوع بعضها الى الغلو الروحي الذى لا أثر له في الدين ، ثم ما كان من انسياقها فيخدمة الاستعمار في شمال افريقيا فهذا كله ايضا ظاهرة من ظواهر الاضطراب السياسي والاجتماعي .

هذه الاعاصير التي تعصف بقواعد العقيدة في القلب والعقل وتحصب آثارها خارج مجالاتها العقلية والذهنية من الاحكام والاخلاق والمعاملات هي التي تحفز لاعادة النظر في بحوث هذا العلم لأن العقيدة الصحيحة كانت دائما أساسا لدعوة قادة الفكر الاسلامي . فالايمان بالله وملائكتهوكتبه ورسله واليوم الآخر هو الركن الشديد والأصل الأصيل الذى تنهض عليه أحكام الدين أوامره ونواهيه وكل ما يتصل بتعاليمه ، وكل ما يتم من الاحكام الشرعية على غير اساسه باطل لا نفع فيه .

وكذلك كل ما يتصل بقضايا الحياة قضايا العمران والاجتماع اذا لم ينهض على أساس من الايمان بالله فهو الى الضياع ، وما اضطراب الحياة في العالم وعدم الامن والطمأنينة على المستقبل البشرى الا نتيجةلفقدالعقائد الصحيحة.

لقد كان لتأثير دراسات المستشرقين على الفكر الديني كما قلنا أثر كبير في ايجاد الأزمات العقدية وفي هذه الهزات التي خلخلت أصولها في القلب . فالنهضة الاسلامية كما قلنا تتلقى كل افكارها واتجاهاتها عن الثقافة الغربية ، وانه مما يثير العجب أن نرى كثيرين من الشباب المسلم المثقف يتلقون اليوم معتقداتهم الدينية وأحيانا دوافعهم الروحية نفسها من خلال كتابات المتخصصين الأوروبيين ، وقد أوغل الاستشراق في الحياة العقلية للمسلمين محددا لها بذلك اتجاهها الى درجة كبيرة .

الحقد الأعمى

تلك هي اسباب الازمة الخطيرة التي يعانيها شباب الاسلام اليوم والتي تدفعنا الى أن ننحى جانبا هذه الاساليب التي أبتدعها الاستشراق ، فأحدث مفاهيم جديدة لحقائق العقائد الدينية مدفوعا بالهوى السياسي الدينى ، ولم يكن الاب لامانس الذى ظل نموذجا للمستشرق الطاعن على الاسلام ورجاله — الحالة الوحيدة التي يمكن أن نلحظ فيها العمل الصامت لتقويض دعائم الاسلام ، فقد كشف هذا الرجل عن بغضه الشديد للقرآن الكريم ولمحمدصلى الله عليه وسلم، وأزاح الستار عن الاتجاهات الاستشراقية التي لا يعنيها الموضوع العلمي المجرد بقدر ما يعنيها الحط من كرامة الاسلام . نعم انه لحق لمن يريد أن يصل الى الحق في أمر عقائده أن ينحى هذا الاسلوب الاستشراقي الذى خبث نبعه ، ويعود الى أصوله المستقيمة وينابيعه الصافية فذلك كفيل بادراك

البقية على ص ٨٦

وجهت المجلة سؤالا فى العدد الاول منها لاقطاب الرأى والفكر فى العالم الاسلامى حول بيان حكم التصرف فى فوائد الاموال المودعة فى المصارف .

وقد تفضلت لجنة الفتوى بالازهر بالاجابة ، وننشر فيما يلي ما ورد الينا بهذا الشأن.



فوائد الأموال المودعة فى المصارف

بسم الله الرحمن الرحيم

الازهر
مكتب الامام الاكبر
شيخ الازهر

السيد الاستاذ الكبير المشرف على مجلة الوعى الاسلامى
وزارة الاوقاف ــ الكويت ــ ص.ب. (١٣)
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ،

فقد ورد استفتاء بالصحيفة ٩٢ من مجلة الوعى الاسلامى بالكويت ــ العدد الاول من السنة الاولى والصادر فى شهر محرم سنة ١٣٨٥هـ مايو سنة ١٩٦٥ عن مصير فوائد اموال احد المسلمين المودعة فى احد المصارف والذى تورع عن أخذها فوجهها المصرف لبناء كنيسة تبشيرية ، هل من الممكن شرعا ان تؤخذ هذه الفوائد وتستغل فى المنافع العامة للمسلمين بدلا من تركها تستغل ضد الاسلام والمسلمين .

وقد عرض الاستفتاء على لجنة الفتوى بالازهر الشريف فأصدرت اللجنة فتواها الى نرسلها رفق كتابنا هذا .

وانا نشكر للقائمين على أمر هذه المجلة الفتية حرصهم على أمور دينهم ، وسعة صدرهم لمثل هذه الاستفتاءات،راجين التكرم بنشر هذه الفتوى على صفحات المجلة ليكون المسلمون على بصيرة من أمر دينهم.

والله نسأل ان يوفقكم لخدمة الاسلام والمسلمين بالسير على هدى الدين الاسلامي وتعاليمه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،،

١٣ من صفر ١٣٨٥هـ
١٣ من يونية ١٩٦٥ م

مدير مكتب
شـــيخ الازهـــر
محمد متولى الشعراوى

بسم الله الرحمن الرحيم

الازهـر : (لجنة الفتوى)

السؤال من : مجلة الوعى الاسلامى
بالكويت

تورع أحد أثرياء المسلمين عن أخذ فوائد أمواله الكثيرة المودعة فى أحد المصارف الاجنبية فوجهها المصرف لبناء كنيسة تبشيرية .

هل من الممكن شرعا ان تؤخذ الفوائد وتستغل فى المنافع العامة للمسلمين ، وما أكثرها وأشد حاجتها ؟ بدلا من تركها تستغل ضد الاسلام والمسلمين .

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ـ امــا بعـــد : ـ

فنفيد بأن هذه الاموال التى تجمعت من الربا سبيلها أن تصرف فى مصالح المسلمين وطريق ذلك ان يتناولها المودع لينفقها فى المصالح العامة ، وفى الصدقات على المساكين او يدفعها الى الحاكم المسلم ليتولى هذا بنفسه ـ وصرفها هكذا هو ما نص عليه الفقهاء فى المذاهب الاربعة عند الكلام على مصارف المال الحرام ، ونص عليه أئمة التفسير كالامام القرطبى عند تفسيره لقول الله تعالى « وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم » .

وليس معنى هذا ان المال الذى استولى عليه المودع دخل فى ملكه ـ لان المفروض انه حرام ، وانما هذا توصل الى حفظ المال من الضياع ، والى صرفه فى مصرفه الشرعى بارتكاب أخف الضررين ، كما أنه لا يقتضى اباحة التعامل الربوى بوجه ما .

والله تعالى أعلم .

تحريرا فى ١٩٦٥/٦/١٢

رئيس لجنة الفتوى بالازهر
عبد اللطيف السبكى

منعت السلطات البريطانية التصريح للمركز الاسلامي بلندن باقامة مسجد جديد فى العاصمة البريطانية ، وكان سبب المنع أن مئذنة المسجد ستكون طويلة . وقد أثار هذا استياء المسلمين الذين اجتمعوا فى المركز الاسلامي للاحتفال بالمولد النبوى الشريف ـ قد بدت البغضاء مــن أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ـ

خواطر ... من هنا وهناك

المدارس التبشيرية

لا يزال يوجد الى الآن فى الكويت الدولة المسلمة الخالصة لأهلها مدارس أجنبية تنفث سمومها فى صدور أطفال العرب المسلمين ، ومن العجيب أن هذه المدارس ظلت — الى اليوم — لا تخضع لرقابة ، ولا لتفتيش وزارة التربية ، وليس لأحد عليها هيمنة ولا اشراف سوى القائمين بشؤونها .

وكلنا نعلم مدى خطورة هذا النوع من التعليم على عقيدة الجيل الصاعد وتربيته ، وهو الذي سيئول اليه مصير هذا البلد بعد سنوات معدودات .

وليست الكويت وحدها هي البلد الوحيد الذى ابتلى بهذا النوع من التعليم ، بل لقد ابتليت بلاد المسلمين بهذه المدارس الأجنبية حين كانت هذه البلاد تعيش فى عصور الضعف والتخلف والتبعية كما ابتليت بالمستشفيات الأجنبية التى تستغل ضعف المرضى النفسي والمادى فتجمعهم فى أفنيتها وتغريهم بأداء الطقوس والصلوات المسيحية قبل الكشف عليهم ، وتتصيد منهم المرضى الذين انهارت اعصابهم واختل توازنهم العقلى تحت تأثير الألم والفقر ، فتحملهم بمختلف الأساليب على الارتداد عن الاسلام واعتناق المسيحية ، وتتعهدهم فى فترة النقاهة ، وتلاحقهم بعد الشفاء ، وتوطد صلاتها بهم ، وتعقد لهم الندوات وتمطرهم بالنشرات والمصورات والرسائل التبشيرية وتمد لهم يد العون الخبيث والمساعدة المغرضة ، فتسعى سعيها الجاد لالحاق العاطل منهم بعمل فى المؤسسات الأجنبية أو فى الدوائر الحكومية بواسطة أصحاب النفوذ فيها من أبناء عقيدتهم ، وكم شهدنا من حوادث ورأينا من حالات فضحت نوايا هؤلاء الذين يلبسون مسوح الرهبان ، ويدعون أنهم ملائكة الرحمة ، ورسل العلم ، ويذيبون السم الناقع فى العسل ..

ولا يخفى أن لهذه المنشآت التعليمية والصحية مخططا تبشيريا ضخما . ترسم سياسته ، وتنفق على تنفيذه منظمات غنيــة تعمل ليلا ونهارا لتشكيك المسلمين فى دينهم، وزحزحتهم عن عقيدتهم وغزوهم فكريا وثقافيا . وهذا أخطر أنواع الغزو الحديث ، وأمضى سلاح لتذويب شخصية الأمة الاسلامية ، والقضاء على معنوياتها ومقوماتها .

وقد تنبه كثير من الدول الاسلامية التى استقلت حديثا الى مدى الخطر الذى يصيب ابناءها من جراء ترك هذه المدارس تعمل دون رقابة ولا قيد ، فسنت التشريعات لاخضاعها لرقابتها والزمتها بتدريس الدين الاسلامى والتاريخ واللغة العربية لأبناء المسلمين الذين يلتحقون بها ، وأشرفت على وضع مناهج هذه المواد واختيار مدرسيها ، وأنشأت تفتيش المدارس الأجنبية فى وزارة التربية ، ومهمته مداومة تفقد سير الدراسة بها حتى تسير فى الاتجاه الذى لا يسىء الى دين البلاد وتاريخها ولغتها .

وما كنت أظن أن هذه المدارس الأجنبية بقيت — الى اليوم — فى الكويت تعمل غير خاضعة لوزارة التربية حتى طالعتنا صحيفة الرأى العام الكويتية بمقال تحت عنوان مفكرة فى العدد (١٠٠٢) بتاريخ ٦٥/٧/٥ جاء فيه .

وهنا فى الكويت .. البلد الاسلامى .. البلد العربى .. الذى بلا شك يحرص جيدا على التمسك بتعاليم دينه .. وبالقيم الروحية

والاخلاقية .. فى هذا البلد .. تقوم مدارس التبشير .. أى نعم .. مدارس التبشير بيننا .. ونحن لا نحاول أن نعمل أى شىء لايقاف هذه المدارس عند حدها أو على الأقل لجعلها تسير فى الخط الذى لا يسيء الى كويتنا الحبيب .

وبعيدا عن الحديث عما يجرى داخل هذه المدارس .. فاننى أود من المسؤولين أن يستعيدوا فى أذهانهم قصة المدارس الأجنبية فى الجمهورية العربية المتحدة وعندها – واننى لعلى يقين من ذلك – عندها سيتقدمون أكثر من خطوة الى هذه المدارس .. ثم ستجد حتما منهم القوانين التى تحفظ للكويت قوته وعروبته ودينه .

أن الأعداء الذين يكيدون للاسلام وأهله كثيرون لاينامون ، ولا يبخلون ولا يألون جهدا فى بلبلة عقول المسلمين .. وأذكر أنه منذ شهر تقريبا امتلأت جميع صناديق البريد الخاصة فى الكويت بنشرات ورسائل تبشيرية قوبلت بالاستهجان والاستنكار والسخط .. وكانت وقودا للنار (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون) .

ولا يفوتنى أن أوجه أنظار الآباء وأولياء الأمور الى أن يتقوا الله فى أبنائهم ودينهم ووطنهم ، فلا يزجوا بأطفالهم الاغرار الأطهار فى هذه المدارس (يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا) .

الأمراض الجنسية

نشرت منظمة الصحة العالمية فى صحيفتها الصادرة فى ابريل ٦٥ تحقيقا أعده الدكتور امبروز كنج رئيس الاتحاد العالمي لمكافحة الامراض الجنسية عن الزهرى والسيلان بين الاحداث ، ولهذا التقرير اهمية خاصة اذ انه يتناول مشكلة الانحراف بين الشباب والفتيات الذى يزداد بصورة مخيفة يوما فيوما فى البلاد المتحضرة ، ويشغل بال كثير من المعنيين بشؤون التربية الصحية . فعلى الرغم من العقاقير الجديدة وتطوير وسائل العلاج الحديثة فان الاصابات بالامراض الجنسية تزداد بشكل مقلق ملحوظ بين صغار السن ، وهذه الاحصائية الطبية التي قام بها الاخصائيون لا تصور العدد الحقيقي لحالات الزهرى والسيلان فان كثيرا من الحالات تعالج بمعرفة اطباء خصوصين ولا تظهر في الاحصائيات التي تم اعدادها من البيانات المسجلة فى العيادات العامة .

وهذه المشكلة الصحية الخطرة ترجع فى اصلها الى مشكلة اجتماعية واخلاقية ، اذ ان موجة العبث بالقيم والمثل اصبحت شائعة تبعاللتغييرات الاجتماعية الواسعة التي طرأت على المجتمع الانساني .

وقد تعرض التقرير للاسباب التي تكمن وراء جذور هذه المشكلة ، فذكر ان ضعف الايمان يعتبر سببا لازدياد العبث بالاخلاق ، وان الايمان بالدين يعتبر رادعا قويا ضد هذا الانحراف وان انفلات المرأة وتحررها من كل القيود قد اثر بالتأكيد على المشكلة ، فلم تعد الفتيات تخضع للرقابة بل اصبح الشباب يجتمعون فى جلسات خاصة بدون رقابة ، وفى اماكن تدار فيها كؤوس الخمر ، وان الاهمال وعدم الاهتمام من جانب الوالدين – الذين يكونان فى بعض الاحيان مثلا سيئا جدا فى الاداب والاخلاق – ساعد الابناء على اشباع نزواتهم ، هذا فضلا عن أن ما يعرض على الجمهور من كتب وقصص وتمثيليات وافلام فى الاذاعة والتلفزيون قد ادى الى هذه الكارثة الخلقية .. وان الفكرة القائلة بأن الرادع النفسي فى العلاقات الجنسية يؤدى الى الكبت الذىيلحق الضرر بالشخصية – هذه الفكرة التي يحملها كثير من الناس خاطئة من اساسها،وان الاخصائيين النفسيين المسئولين لا يؤيدون وجهة النظر التي تقول : ان ضبط النفس فى هذه المسائل يربك الميزان العقلى ويسبب القلق .. بل ان ضبط الاهواء ، والسيطرة على النزعات امر يجب التعود عليه طوال الحياة لمصلحة الفرد والمجتمع ، وتطالب النشرة الحكومات والهيئات الدينية والاخصائيين النفسيين ان يقوموا بدورهم فى علاج هذا الانحراف الذى يهدد الانسانية .

ونرى ان التربية الدينية هي الكفيلة بتنشئة الاجيال على الخلق والفضيلة ، وتكوين الوازع النفسي الذى يعصمهم من التردد فى الرذيلة .. وان الحدود الاسلامية هي العلاج الحاسم لردع المنحرفين ، وترويض الشاذين .. فهل من عودة الى حكم الله ، وتنفيذ لما أمر الله ؟

الدعوة الإسلامية

بين وضوح البرهان وقوة السيف

دعوة الحق والاصلاح فى كل وحين تتركز دائما حول تكوين الخلق الكريم وتدعيم بنائه ، واحاطته بسياج حصين يمنع عنه عوادى الضعف والوهن ، وليست الاخلاق سلعة يمكن ان تباع وتشترى حتى يتبادلها الناس فيما بينهم اينما شاءوا وكلما أرادوا .. ولا هي كساء ظاهرى يمكن ان يخلعه الانسان حينا ويلبسه حينا آخر ، ولا هى نص من نصوص القانون الوضعى يمكن ان يخضع تأويله للهوى والغرض حتى يتستر بعض الناس فى مسوحه ويقوموا بتنفيذ هيكله دون روحه .. ولكنما الاخلاق صفات أصيلة فى النفوس ترجع فى اساسها الاول الى قوانين السماء ، ويتوارثها الابناء والاحفاد عن الآباء والأجداد ، وتؤثر فيها عوامل البيئة والتربية منذ فجر الحياة ، كما تتأثر الشجرة بطبيعة الارض واعتدال الجو وحسن الرعاية منذ تنفلق بها الحبة والنواة .

منهج الدعوة

وطريق المصلحين الى تكوين هذه الاخلاق طريق طويل داجى الجوانب مليء بالمتاعب ، ذلك بأن النفس الانسانية امارة بالسوء نزاعة الى الشر ، وثقل الانسان المادى يساعد على الانـزلاق الى الرذيلة وكثيرا ما يعوق عن الصعود الى مستوى الفضيلة ، ومن اجل ذلك كان لزاما على من يسلك طريق الدعوة الى الحق والاصلاح ان يتخذ الاسباب الموصلة ، ويتزود بالزاد النافع ، وفى ذلك يقول الله عز وجل : ((ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن)) فهذه الآية الكريمة ، وهذا الامر الالهى للنبى من لدن العليم الخبير يضع لنا المشاعل المضيئة على طريق الدعوة ، ويعلمنا ان قوة البيان ووضوح البرهان اجدى وانفع من قوة السيف فى الوصول الى الغرض وتحقيق الهدف ..

والدعوة الاسلامية وهي دعوة الحق والاصلاح ، ودعوة الخلق الكريم لم تقم على صليل السلاح والتراشق بالاسنة والرماح ، وانما قامت على الحجة البينة والمنطق السليم والبرهان الواضح ، وما كان السيف فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم بل وفى سائر ايام الفتوحات الاسلامية الا لرد الظلم ، او الدفاع عن النفس او تأمين حرية العقيدة حتى ينضوى تحت لوائها من يشاء دون خوف من اضطهاد وفتنة ..

القتال ضرورة

فاما عن القتال فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فان من يتتبع الآيات القرآنية فى هـذه الناحية يتجلى له انها تتجه الى مثل هذه الاغراض ، فلقد نزل عن غزوة بدر وهي اول غـزوة وقعت بين رسول الله وبين المشركين قوله تعالى ((أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الارض

للشيخ محمد الطيب النجار
المدرس بكلية الشريعة ببغداد

أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور)) . وفى هذه الآيات يظهر السبب الذى من اجله فرض القتال على المسلمين وهو انهم ظلموا واخرجوا من ديارهم بغير حق ، .... ثم ينبه الله المؤمنين الذين اذن لهم فى القتال الىما يجب انيفعلوه اذا هم انتصروا على عدوهم وهو : ان يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويأمروا بالمعروف وينهوا عـن المنكر حتى يكونوا خير دعاية لهذا الدين الحنيف .

ثم تتابع نزول آيات القتال بتتابع الاسباب التي كانت تدعو اليه ، فنجد الله سبحانه يأمر المسلمين بعد انردوا الظلم والعدوان الذى اصابهم من قريش بأن يقاتلوا كل من يعترض لهم بسوء ، او يبدؤهم بشر فيقول فى سورة البقرة ((وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتديـن . واقتلوهـم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهـم عند المسجد الحـرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين)) .. ثم يأمرهم بالقتال لتقرير حرية العقيدة والبعد بها عن الاهواء والاغراض ، كى يكتمل لها الجو الملائم فلا يصد عن الاسلام من يريد الدخول فيه ، ولا يفتن من دخل فى الاسلام عن دينـه ، وذلـك بقوله فى السورة نفسـها : ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين)) وقوله فى سورة الانفال : ((وقاتلوهم حتى لا تكون فتنـة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بمـا يعملون بصير)) .

مرحبا بالسلام

ثم يأمر الله بالجنوح للسلم متى جنح لها أعداء الاسلام ، لان الغرض هو تأمين الدعوة وألا تكون فتنة والسلام كفيل بذلك فيقول سبحانه فى سورة الانفال : ((وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكلعلى الله انه هو السميع العليم)) ويبين الله فى كتابه الكريم ان المسلمين لا سبيل لهم على من يعتزل الفتنة من المشركين ، ويترك القتال ويلقى للمسلمين بالسلام فيقول ((فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السـلم فما جعل الله لكم عليهم سـبيلا ، اما اذا لم يكن ميلهم للسلام حقيقيا بل كانوا مذبذبين مخادعين فعلى المسلمين ان يقاتلوهم حتى يستأصلوا الشر ، ويقطعوا دابر الفتنة ، وفى ذلك يقول الله سبحانه : ((ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهمكلما ردوا الى الفتنةأركسوا فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفـوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا)) .

وكان الامر بالقتال مقصورا على قريش ومن يعاونهم من يهود المدينة ، فلما اتحدت قبائل العرب المختلفة على المسلمين امر المسلمون بقتال المشركين من كافة القبائل فقال سبحانه : ((وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلوكم كافة)) .

وبهذه الآيات التى سقناها من الكتاب الكريم يتبين لنا ان الاسلام لم يشرع القتال للمسلمين الا للدفاع عن انفسهم ، ولتأمين الدعوة من ان تقف الفتنة فى طريقها ، وحسبنا برهانا على تلك الروح الطيبة المسالمة ، ان الاسلام لا ينهى عن البر والاحسان لمن يخالفوننا فى الدين ما داموا هادئين مسالمين ، وفى ذلك يقول عز وجل فى سورة الممتحنة « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » .

وقد كانت جميع الغزوات التي غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم متمشية مع هذه المبادىء ، بل كانت تطبيقا عمليا لها ، فلم يعرف عن الرسول الكريم انه كان يبدأ أعداءه بعدوان أو اساءة ،.. وليس هذا مجرد ادعاء ولكنه الحق الذى لا ريب فيه ، وسوف يتأكد لنا ذلك حينما نعرض للدوافع والاسباب التي ادت الى غزوات الرسول جميعا فى مقال قريب وفى تفصيل يوضع به الحق فى نصابه ان شاء الله ..

واما عن الفتوحات الاسلامية التي وقعت بعد عهد الرسول . فقد وضع الرسول بذرتها الاولى حينما كتب الى الملوك والرؤساء يدعوهم الى الاسلام ، ومنهم هرقل ملك الروم ، وكسرى ملك الفرس ، والنجاشى ملك الحبشة ، والمقوقس حاكم مصر ، وقد تجلت فى هذه الكتب روح المسالمة ووضح للعالم كله ان الرسول صلى الله عليه وسلم لا يريد ملكا وسلطانا ، ولا بغيا وعدوانا ، وانما يريد ان ينفذ امر الله فى تبليغ الدعوة الاسلامية لجميع الناس .. ، الا ان حياة الرسول صلى الله عليه وسلم لم تطل بعد ذلك حتى يشرف بنفسه على تبليغ الدعوة الى الامم والشعوب فى سائر الارجاء ، فأصبح من واجب الخلفاء ان يبلغوا هذا الدين الى الناس كافة لانه دين العالمين ، ولكن بدا من ظلم الحكام الذين لا يدينون بالاسلام فى ذلك العصر ، انهم يريدون ان يطفئوا نور الله فأوصدوا دونه الابواب ، واقاموا الحواجز القوية بين المسلمين وبين تلك الامم التى كانت مغلوبة على امرها ، والتى كانت تعانى من جور هؤلاء الحكام وطغيانهم ، ومن هنا كان لا بد من الفتوحات الاسلامية خارج الجزيرة العربية ..

الحروب الاسلامية حروب تحرير

فالفتوحات الاسلامية اذن لم تكن حبا فى السيطرة والغلبة ، ولا طمعا فى الدنيا ومتاعها القليل ، وانما كانت تحريرا من العبودية وانقاذا من الفساد وسموا بالانسانية ، ولو ان المسلمين لم يبادروا الى فتح تلك البلاد وانقاذها مما كانت تتخبط فيه لما سكت حكامها الطغاة عنهم ، بل كانوا سيجتمعون ويتجهون الى الجزيرة العربية لخنق الدعوة الاسلامية التى تنادى بالحرية والعزة واحترام حقوق الانسان .. ولو ان هؤلاء الملوك والرؤساء فى ذلك العصر ظهر منهم من حسن النية ما يطمئن المسلمين على مستقبل الدعوة الاسلامية فى هذه الارض ففتحوا الابواب وأزالوا الحواجز ، وتركوا المجال للعقائد تسرى فى جو حر طليق ، لما كان للمسلمين سبيل الى الحرب والقتال ، بل لأصبح قتالهم لهذه الدول ظلما وعدوانا يبرأ منه الله ورسوله ..

وقد ظهر بطريقة عملية ان المسلمين حينما كانوا يفتحون تلك البلاد لم يرغموا احدا على اعتناق الاسلام لان تعاليم دينهم تنادى بانه (لا اكراه فى الدين) وتقول (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) وتقول (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم) ..

وبعد : فان وضوح البرهان فى الدعوة الاسلامية، كان وحده السيف القاطع الذى مكن الله به للمسلمين فى الارض ، والامل وطيد ان شاء الله فى ان يكون « الوعى الاسلامى » مجالا واسعا تزدهر فيه الدعوة الاسلامية ببرهانها الواضح وآياتها البينات .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

بقية (الاسلام دين ودولة)

وضربنا لكم الامثال :

ونكتفي مؤقتا في هذا الصدد بان نضرب مثلا يظهر مدى التناقض البين بين ما وضع لنا من قوانين وضعية ، وبين شريعتنا .

اما مسألة التناقض فتتمثل في قانون العقوبات الذي وضع في مصر نقلا عن القوانين الغربية ثم نقل عنها الى كثير من البلاد العربية الاسلامية، كسوريا والعراق وليبيا ، فقد أهمل الحدود المنصوص عليها في الشريعة الاسلامية فالاتصال الجنسي مثلا مباح في عرف القانون الوضعي ما دام لا اكراه فيه ، وكان التراضي **على اقتراف هذه الجريمة بين ذكر وانثى غير متزوجة فوق سن معينة هي ١٨ سنة (تراجع المادة ٢٦٩ عقوبات).**

ومعنى ذلك ان القانون الوضعي أحل الزنى في ظروف معينة ، ولا عقا بالا في حالة الاكراه أو صغر السن ، أما الزوجة المحصنة فأمر ارتكابها للجريمة لم يترك للجماعة والنيابة العامة انما ترك لرغبة الزوج ، فان أراد مؤاخذة الزوجة أبلغ الأمر الى النيابة ، وان بدت له فكرة العدول أثناء التحقيق أوقفت النيابة التحقيق وأخلى سبيل المرأة ، فان بقي مصرا على بلاغه ووصلت الزانية الى المحكمة ، فينص القانون الوضعي على عقابها بالحبس دون الرجم وهو الحد الشرعي .

والقانون المصرى الوضعى فرق حتى في مقدار العقوبة في الجريمة الواحدة ، فعقوبة الزاني لا تزيد على ستة أشهر المادة ٢٧٧ وعقوبة الزوجة الزانية الحبس مما لا يزيد على سنتين م ٢٧٤ ، ويمكن القول بان الزنى في القانون الوضعى معناه خيانة العلاقة الزوجية ــ بينما الشريعة الاسلامية تعتبر الزنى كل صلة جنسية محرمة بين رجل وامرأة ــ ويصح للقاضى أن ينزل بعقوبة الحبس الى حد وقف التنفيذ ، فان كان الحبس مع النفاذ ساغ للزوج أن يتنازل عن حقه ، فتخرج المرأة من الحبس رغم صدور حكم نهائي عليها . وكذلك الزوج الزاني لا يجوز محاكمته ما لم تقدم الزوجة شكوى وتطلب محاكمته «المواد ٢٧٣ و ٢٧٤ عقوبات و ١٣٢ اجراءات .

ومن عجب أن التناقض بين قانون العقوبات الوضعي والقانون المدنى ظاهر، اذ ان الاخير يجعل المرأة غير أهل للتصرف في القليل من مالها الا اذا بلغت سن الواحدة والعشرين ، وأباح لها قانون العقوبات ان تسلم في عرضها متى بلغت سن ١٨ سنة ، فالعرض في شرع القوانين الوضعية اهون من المال !!!

ولقد شهدت لجنة تقرير القانون الهولندى الجديد ، بأن عقوبات الحبس والغرامة في جرائم الزنى غير زاجرة .

ومن عجب ان القانون الفرنسي ينص في المادة ٣٣٩ عقوبات على ان الزوج المحصن اذا زنى لا يعاقب الا اذا زنى غير مرة في منزل الزوجية بامرأة أعدها لذلك ، **فالنص كما هو ظاهر لا يعاقب على جريمة الزنى ، بل يعاقب على امتهان الزوج لحرمة بيت الزوجية ، بشرط ان يتكرر منه ذلك، فله ان يزنى بمن شاء ، وكلما شاء خارج منزل الزوجية** ولكي يعاقب يشترط القانون ان يعد امرأة معينة كعشيقة ، او خليلة ، ويزنى بها أكثر من مرة في منزل الزوجية ، والعقوبة التى نصت عليها المادة تافهة ، فهى غرامة مالية بين مائة فرنك ، والفى فرنك ، أى تتراوح بين عشرة قروش ومائتي قرش في حين تنص المادة ٣٤٠ فرنسي على معاقبة الزوج الذى يعقد زواجه بأخرى قبل انحلال زواجه الاول بالاشغال الشاقة ،**فتعدد العشيقات والخليلات كما يبدو أحب الى القانون الفرنسى من تعدد الزوجات .**

وكذلك فان القاتل في قوانينا الوضعية لايقتص منه بالاعدام الا اذا اقترن بالجريمة جريمة اخرى ، كالسرقة او الزنى ، او اذا اقترنت بظروف مشددة كسبق الاصرار والترصد ، وعلى ذلك تعطل احكام الشريعة الاسلامية من حيث وجوب القصاص من القاتل عمدا ، هذا ورأى المفتى في تنفيذ الاعدام واجب أخذه ، ولكنه استشارى، غير ملزم لمحكمة الجنايات .

وحد الخمر ايضا معطل بحكم القوانين الوضعية، مع ان بلادا غير اسلامية كأمريكا حرمت الخمر فترة طويلة ، في حين ان القانون المصري أباح شرب الخمر والاتجار بها (١) ، الا انه جعل عقوبة من يتجر في المخدرات كالحشيش وغيره الاشغال الشاقة المؤبدة ، رغم ان الخمر حرمت بنص القرآن ، والمخدر حرم قياسا عليها .

للبحث بقية

(١) أصدرت حكومة الكويت قرارا بمنع شرب الخمر والاتجار فيها ــ (الوعي الاسلامي) .

اعمال تذكر فتشكر

في سبيل الدعوة الإسلامية

للاستاذ عبد العزيز العلي

أولا : ـ اقترح السيدان الفاضلان حمد المشارى وراشد الفرحان ، عضوا مجلس الأمة الكويتي ، أن يصدر المجلس الى الحكومة رغبة يوصيها فيها بالاسهام في نشر الدعوة الاسلامية في الخارج ، وفي خدمة الدين الحنيف في مختلف المجالات . ولذلك يستحق هذا الاقتراح أن يسجل بالشكر الجزيل والثناء الكبير وفيما يلي نص الاقتراح المذكور .

سعادة رئيس مجلس الامة الموقر :

« نظرا لكون الكويت دولة اسلامية في واقعها وبصريح دستورها ، ونظرا كذلك لأن شعوبا كبيرة في القارتين الافريقية والآسيوية لا تزال على الفطرة دون اعتناق لدين معين ، وقد تفتحت قلوب هذه الشعوب لتقبل الدعوة الدينية ، فقد أصبح واجبا علينا وعلى سائر البلاد الاسلامية حمل رسالة الدين الاسلامي الى تلك البلاد وهذه الشعوب .

لذلك أرجو أن يتفضل المجلس الموقر بالموافقة على هذا الاقتراح برغبة الى الحكومة ، بأن تمد ادارة الدعوة والارشاد بوزارة الأوقاف نشاطها الى الدول والشعوب المشار اليها ، مستعينة على ذلك بما يرصد في ميزانيتها السنوية لهذا الفرض ،وبما يقدمه المواطنون من زكوات وتبرعات ، على أن تخصص الوزارة لهذه المهمة الجليلة صندوقا خاصا ، وأن تنشىء هيئة من موظفيها المختصين وبعض أهل الرأى من المواطنين المهتمين بمثل هذه الرسالة .

وأعتقد أنه لا يخفى على أحد مقدار ما يبذل من جهود لحساب التبشير بالديانات والملل الأخرى بل والمبادىء الهدامة ، وليس بخاف على حضرات الأعضاء الكرام ما تبذله الدعاية الصهيونية ضد العرب في البلاد الاسلامية والعقيدة الاسلامية التي يدينون بها ، متخذة من هذه البلاد مراكز انطلاق للمؤامرات اليهودية العالمية ضد القومية العربية والاسلام ، فنشر الاسلام في تلك البلاد الافريقية فريضة على كل مسلم ، وهو هداية دينية لعشرات الملايين من البشر ، وعصمة لها من الانزلاق وراء الدعايات والمبادىء الهدامة .

ثانيا : ـ يذكر بالشكر لحضرة صاحب السمو الأمير المحبوب ولحكومته الاهتمام الواضح بالشؤون الدينية ، مما عبر عنه الخطاب الأميري الذى افتتحت به الدورة النيابية الثالثة لمجلس الأمة حيث جاء بالخطاب المذكور ما يلي : ـ

وأن حكومتي ايمانا منها برسالة الدين في اصلاح المجتمع ، تواصل انشاء المساجد داخل المدينة وفي المناطق السكنية الجديدة والقرى مع مراعاة البساطة والاقتصاد في النفقات والحفاظ على المظهر اللائق بها ، والسهر في الوقت نفسه على راحة الأئمة والمؤذنين . كما قررت انشاء معهد للامامة في احد المساجد واستقدام بعض الوعاظ المتخصصين لرفع مستوى الأئمة والوعاظ وتمكينهم من أداء رسالتهم الروحية في المجتمع وتثقيف

الجمهور بالثقافة الاسلامية المفيدة وتعاليم الدين الحنيف .

وتولي الحكومة ((الوقف)) عنايتها باستثمار امواله تحقيقا لقصد الواقفين ، كما أنها معنية بدراسة احياء التراث الاسلامي الذي يبرز معالم الثقافة الاسلامية والسبق العلمي الذي عرف به مفكرو الاسلام قديما وحديثا وانشأت قسما للترجمة والبحوث الاسلامية .

ثالثا : ـ يذكر ويشكر كذلك ما جاء في رد مجلس الأمة على الخطاب الأميري من دعوة صريحة للحكومة للعمل على نشر الدين الحنيف في الخارج وتمكين جذور العقيدة الصحيحة بين المسلمين كافة . فقد جاء في هذا الرد الذي رفع الى حضرة صاحب السمو أمير البلاد ما يلي ـ

((.. يود المجلس أن تلحق مكتبة دينية ثقافية بكل مسجد لكي يتسنى للجمهور الاطلاع على الكتب الثقافية والدينية ، ولهذا تكون المساجد قد أدت جانبا هاما من رسالتها الدينية والثقافية، وتكون الكويت بذلك قد عممت مراكز التثقيف في جميع انحاء البلاد .

... وان المجلس ليبارك عناية الحكومة بالوقف واستثمار أمواله تحقيقا لقصد الواقفين ، كما أنه يشجع الحكومة على أحياء التراث الاسلامي الذي يبرز معالم الثقافة الاسلامية قديما وحديثا ، ويدعو المجلس وزارة الأوقاف للقيام بواجبها الديني ، وهو واجب المسلمين كافة نحو بث الدعوة الاسلامية السمحاء في البلاد الافريقية الحديثة الاستقلال التي حال المستعمر عهدا طويلا دون دخول الاسلام اليها أو انتشاره فيها ، وأن تسهم في نشر الدين الاسلامي في هذه البلاد وتزويدها بالمصاحف والكتب الدينية المبسطة باللغة العربية واللغات المحلية قدر المستطاع ، وأن تعنى الوزارة بالاسهام في نشر موسوعة للفقه الاسلامي على المذاهب الاسلامية المختلفة ، لكي تكون مرجعا باقيا لهذا الفقه الأصيل الذي يخشى ضياعه بتناقص العلماء والمختصين في التشريع الاسلامي .

والآن ، ما هو واجب وزارة الأوقاف بعد هذه التوجيهات وازاء تلك الرغبات ... ؟

انه مما يستحق الذكر بالشكر كذلك ما تبذله وزارة الاوقاف ـ في صمت وايمان ـ لتمكين الدين القيم في النفوس، ولتمسك المجتمع بالقيم الدينية التى ساد بها المسلمون العالم قديما ، والتى هي سبيلهم الكفيل باعادة مجدهم الغابر . ولسنا بصدد تعداد مظاهر اهتمامها ببيوت الله ، انشاء وتعميرا وصيانة ، وبغير ذلك من الأمور الاسلامية التي تقوم هذه الوزارة عليها ، ولكنا بصدد المطالبة ببرنامج للعمل مستقبلا بالاضافة الى مهامها الحالية المشكورة . ان الآمال معقودة على أن تتحقق تلك الرغبات والتوجيهات السامية التي سبق ذكر جانب منها ، وبخاصة فيما يتعلق بالأمور الآتية ـ

١ : ـ تنظيم هيئة بالوزارة تضم الى جانب كبار موظفيها عددا كافيا من ذوى الرأى المعنيين بالشؤون الدينية من أبناء الكويت لمعاونة الوزارة في رسالتها المتزايدة يوما بعد يوم ، وبخاصة في شأن الدعوة الاسلامية في الخارج .

٢ : ـ مضاعفة الاهتمام بالوعي والارشاد الديني في الكويت عن طريق المساجد والمحاضرات ومختلف وسائل النشر ، من اذاعة وتلفزيون وصحافة ، بحيث تكون هذه الوسائل اداة لتمكين العقيدة والخلق الاسلامي ومحاربة كل مظاهر التحلل الخلقى التى تهدد الاجيال الصاعدة والنشء الذى عليه مستقبل الأمة .

٣ : ـ بذل كل عون مستطاع لشد أزر الداعين للاسلام في الدول الافريقية والآسيوية التى لم تبلغها الدعوة الاسلامية بعد ، وانشاء المراكز الاسلامية التي تقوم على هذه المهمة السامية ، والاستعانة بالوفود الموثوق بها الى تلك البلاد تحقيقا لهذه الغاية وتوطيدا لروابط الاخوة بين البلاد الاسلامية عامة .

٤ : ـ زيادة العناية بمجلة الوزارة (الوعي الاسلامي) التي أحسن المسلمون استقبالها بزيادة حجمها ومضاعفة الكميات المطبوعة منها ، وترجمة بعض موضوعاتها الى اللغات الحية وغيرها من اللغات كالاوردية والسواحلية وغيرها وارسالها الى جميع الأقطار ، وطبع النافع المفيد من كتب التراث الاسلامي .

((هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)) .

صرح مصدر كبير مسئول في الوزارة بأن رسالتها الاصيلة هى نشر الدعوة الاسلامية وهي لا تألو جهدا في سبيل تحقيق هذه الغاية السامية بمختلف الوسائل والأساليب ، وقد أنشأت حديثا ادارة الدعوة والارشاد وادارة الشؤون الاسلامية .



للشيخ محمد محمد خليفة
المفتش بالازهر

كانت الدعوة الى الله أول اشراقة من نور الحق ، انفرج عنها فم محمد صلى الله عليه وسلم، فى بلد الوثنية ، لتصل الناس برب الناس ، ولتبدد ما ران على النفوس من الارجاس ، لتبعدها عن الزلفى الى تلك الآلهة التي صنعتها يد الباطل، ونحتتها حماقات البشرية معبودات تساق لها القرابين ، وتخر لديها الجباه .

أدبني ربي

صنع الله صاحب الدعوة ، فجعل من حياته قبل بعثته دروسا له تؤهله لخطر تلك الدعوة، فعلمه يتمه الرحمة ، وعلمه فقد الكفيل والعائل العمل والسعي ، وعلمه فقد الامومة الحانية الصبر وقوة الاحتمال ، وعلمته الوحدة التفكير الذى نما معه ، وسما عن محيط البشرية فارتقى به الى التفكير فى صانع البشرية ، وعلمه رعي الغنم رعاية الرعية ، وكيف يسوسها ، ويوجهها الى الخير ، ويجنبها مراتع الهلكة ، ويذود عنها ضراوة النفوس المتذئبة ، وعلمته التجارة حب الكسب الطيب والصدق والأمانة .

وقد تضافرت كل هذه الدروس وغيرها ، فخلقت فيه صلوات الله وسلامه عليه نفسا لا كالنفوس الطينية التي ارتبطت حياتها بالأرض ، وعاشت مستعبدة لمن عليها وما عليها ، وما يخرج منها ، ولكنها النفس السماوية المتألقة بصفاتها وفضائلها . النفس التي أعدتها قدرة الله لتحمل الى الوجود أعظم دعوة عرفها الوجود ، فكانت فيها قوة الاشعة الشمسية تمتد من عالمها السامي الى البصائر ، فتنفذ اليها لتبدد ظلامها وتنشر فيها نور الحق ، وتشرق فى دنيا الناس « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام » .

يأيها المدثر

وحينما شاء الله أن يبعثه مست رسالته قلب المدثر تأمره أن ينذر العاكفين على الاصنام والمتخبطين فى الخطايا بأس الله وعذابه ، وتأمره أن يكبر ربه الذى خلق كل شيء ، وأن يطهر روحه من كل ما يعلق بها من دنيا البشر ، فانتفضت روحه حين مسها تيار الحق ، ثم قرت له ، فسكن فيها ، وامتزج بها ، وخلق فيها طاقات من الايمان به تتحرك قواها فى المجتمع ، فتولد حرارتها الايمان العامل فى كل نفس بشرية مستها . وكما خلق فيها ، تلك الطاقات المؤمنة خلق فيها كذلك حب البذل والتضحية والاستهانة بالدنيا وبكل اسلحة الشر وما تعبىء وحشية الجبارين للنيل من ايمان المعتصم بالله .

فكان الداعي الأول الى الله قوة تعمل لتصنع خير أمة ، كمالا من الفضائل يقف على النفوس فيرسل فيها ينابيع الحق تطهرها من خطايا الجاهلية ، ويربيها أحسن ما تكون التربية ويهيؤها للقيادة الروحية ويعدها لحياة حربية لأعداء الكمال الانساني ، ويخلق فى كل نفس ما يجعل منها أمة تعمل حيثما كانت فى كل مجال .

وكان صلوات الله وسلامه عليه الامام الذى ترى فيه كل فضيلة مثلها الحي ، ويرى فيه كل مسلم الحكمة التي تنساب روحها فى المجتمع كما ينساب الغدير فى الصحراء الصادية فيرويها ويحولها الى جنات وارفة الظلال يانعة الثمار .

مدرسة النبوة

ويرى فيه كل مسلم كذلك المعلم الذى وهب حياته لله وللدعوة الى الله ، فكانت دار بني الأرقم فى مكة أول معهد للدعوة تتلمذ فيه عشرات من السابقين الأولين ، وكان مسجده فى المدينة المعهد الثاني او الجامعة التي تخرج فيها الألوف من اليثربيين ومن الوافدين من آفاق الجزيرة ، لينبعثوا بعد ذلك فى العالم انبعاث الربيع ينشر الجمال الروحي ، ويحول صخب الدنيا الى الدعة والوداعة اللتين تحب أن تعيش فيهما الحياة .

وكانت دعوتهم الى الله قوة تستمد قدرتها على العمل من الله ، وتصنع من الايمان به سلاحا تعجز عن مجابهته أسلحة الباطل ، ولن يجابه عتاد الباطل الارضي سلاح الحق السماوى .

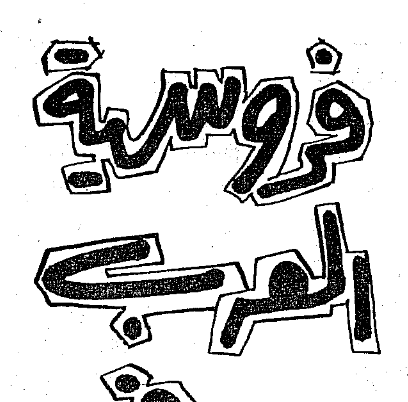
وتلقى الدعوة عنهم أقوام ومن بعدهم أقوام عاشوا جميعا مع الزمن ، يبعثون فيه الحياة فكانوا فى أجيالهم رواد الخير ، وقواد النفوس الى الحق، ومرشدى التائهين فى خضم المادية الى مرافىء السعادة الحقة ـ السعادة الروحية ـ فى ظلال الخير الخالص ، ثم وارى الزمن هؤلاء الدعاة وأولئك « فخلف من بعدهم خلف » « نسوا الله فانساهم انفسهم » وخافوا كل سلطان ، فاضاعوا من أيديهم كل سلطان ، وعاشت الدعوة فى أفواههم الفاظا لا روح فيها ، وهم وان أهلتهم حياتهم ودراستهم للدعوة الا أنهم ربما كرهوا المشقة فى سبيلها ، وربما كرهوا التضحية بالجهد والعافية والمال فى سبيل ما قد تكسبه الدعوة .

الايمان والرجال

فما أحوج الاسلام اليوم ، وما أحوج دعوته الى دعاة مخلصين لله يسلمون وجوههم اليه ، ويستمسكون أبدا بحبله ، ثم الى كرماء يبذلون ، وينفقون كلما دعاهم داعي البذل فى سبيل الله .

ما أحوج الاسلام الى داعية يسيح فى الأرض لا يتقيد باقليمية يحتبس فيها نشاطه بل يؤمن بوجوب الدعوة عليه للناس كافة ، فليس للدعوة الاسلامية وطن محدود تعيش فيه ، وتعمل داخل حدوده ، وانما عليه أن يضرب فى الأرض حاملا مشعل دعوته لا ترهبه الأدغال ولا تثنيه ظلمة

البقية على ص ٩١





للدكتور احمــد شوكت الشطي

الفروسية فى الاصل حذق امر الخيل وما يتصل به ، وقد وســع مدلولهــا ، فأريد به ايضا مجموعــة المزايا التــى يجب أن يتحلى بها الفرسان ـ خاصــة منهمفرسان الحرب ـ منجرأةوشجاعة، ورباطة جاش ، وثبات جنان ، وصولة واقدام ، يضاف الى ذلك اخلاق كريمة كاغاثة الملهوف وتلبية المستجير وحماية الضعيف ورحابة الصدر وكرم النفس واليد ، وما الى ذلك من الصفات ،ونبل الاهداف والغايات .

ولقد تحلى العرب بالفروسية فى جاهليتهم كما يشهد بذلك كثير من قصصهم ، ثم جاء الاسلام فهذ بها ، ووجهها شطر الانسانية والخير ، حتى أصبحت حديث الخاص والعام ، تسطر للعرب مفاخر لم يبلغ مستواها غيرهم من الامم فى يوم من الايام ، وكان منها وصفهم بان التاريخ لم يعرف ارحم منهم فاتحا ، ولا اكثر منهم متسامحا ، والواقع ان فى تاريخ فرسان العرب فى الاسلام من الاعمال مالايكاد يصدق من معالجة النفس الانسانية معالجة جملتهم بتلك الصفات النبيلة والبطولات الخارقة التى زخر بها صدر الاسلام،وفيها من ضبط النفس وتوجيهها شطر التضحية والاخلاص للمبادىء ما يحسن بنا ان نتذكرها ، ونذكرها لانها امثلة معجبة لا يتمالك الانسان من ان يحدس فى ضميره وطيات وجدانه ليتساءل عما اذا كان فى مكنة بشر ان يفعل ما فعله فرسان العرب ؟

هذا علي بن ابي طالب يمكنه الله من احد أعدائه واحد اعداء الاسلام فى احدى المواقع ، حتى ليجلس على صدره ، ويأخذ بسيفه ، ثم ينهض عنه ويتركه ، طليقا ، ويعجب رجل كان يشاهد الحادث ، ويسأل عليا لم تركت عدو الله ! وقـد امكنـك الله منه فيقول : حينما هممت ان احتز رأسه بصق فى وجهي فخشيت ان أنا فعلت أكون قد قتلته غضبا لنفسي لا لله (١) .

---

(١) راجع للتوسع كتاب الانسان بين المادية والاسلام ص ١٣٢و١٣٥ .

ان عليا يعرف أن من اطلقه قد يعود ، فيقتله ، ولكن فروسية الاسلام أدبته ، فبلغته من ضبط الجسم والنفس ان نسى الاول ـ الجسم ـ غرائزه حتى كأنه ليس من لحم ودم ، ونسيت الثانية ـ النفس ـ العواطف وحوافزها حتى كأنها ليست نفس انسان بل لها صفة تتميز بها ملائكة الرحمن .

وفى قصة أبي محجن الثقفى ، مظهر من مظاهر الفروسية والاخلاص للمبدأ ينسيه كل شيء مما تجيش به خفايا الانفس الا الاخلاص للدين القويم ، والهدى العظيم ، وابو محجن الثقفي هذا ، احد ابطال المسلمين فى فتح فارس كان صاحب خمر فى الجاهلية ، وظل يتغنى بها حتى بعد أن جاء الاسلام ، فحبسه سعد بن أبي وقاص فى داره ، ووضع القيد فى رجليه ليستتيبه مما قال .

ويخرج سعد لقتال الفرس ، وأبو محجن حبيس فى داره، ثم يمرض القائد، فلا يستطيع ركوب فرسه ، وتملؤه الحسرة ان يعجز عن الخروج بنفسه الى المعركة والقتال مستعر . وأبو محجن يسمع ذلك ويرى وهو حبيس ، فلا يطيق أن يقعد عن نصرة دين الله ورسوله ، فيرجو سعداً ان يُطْلقه ، ليقاتل ، فلا يفعل ، ويلحّ فى الرجاء ، ولكن سعداً لا يستجيب ، ولكن أبامحجن لا ييأس . انه يحاول لدى امرأة سعد ! ويستعطفها ان تفكّ قيده ، ليخرج الى القتال . ويعدها ـ أن هو لم يستشهد فى المعركة ـ ان يعود اليها ويضع هو نفسُه القيد فى رجليه ! ورقّ قلبها له ، فأطلقته ! فأخذ فرس سعد وانطلق بها الى القتال . وهجم على العدو هجمة صادقة ، فرجحت كفة المسلمين . حتى اذا اقبل المساء عاد : عاد البطل المنتصر الى دار سعد ، فربط الفرس ، ثم وضع القيد فى رجليه كما وعد من قبل !

وظل على ذلك ثلاثة ايام حتى كتب الله النصر المؤزر للمسلمين ، وسعد يطل على ميدان المعركة من نافذته ويقول لامرأته : رأيت فارسا على البلقاء يضرب كأحسن ما يكون الضرب ، ولولا محبس ابي محجن لقلت هذا أبو محجن ! فتقص له امرأته قصته ، فيناديه اليه ويقول : اذهب : فما أنا مؤخذك بشيء تقوله حتى تفعله ! فيرد أبو محجن قائلا : لا جرم والله لا أجيب لساني الى وصف قبيح ابدا .

لقد كان ابو محجن فى حل من القتال وهو حبيس وكان مستطيعا ـ وقد حارب وانتصر ـ ان يتحلل من وعده ومن محبسه . ولكنها بطولة نفسية خارقة ، وفروسية امرها عجيب، وحديثها عجاب أيقظها الاسلام فى اغوار الوجدان وأعماق الضمير ، فكان من الثقفى ما كان .

واذا كانت امثلة هذه البطولات النفسية قد تواترت فى صدر الاسلام ، فانها لم تنقطع بعد ذلك على مرّ العصور . وهذا صلاح الدين يصل فى معاملته لاسرى الصليبيين اعدائه فى الدين وفى الحرب ، الى درجة جعلت أولئك الصليبيين انفسهم يكتبون عنه القصص المبدعة ويصوغون حوله الاساطير !

صلاح الدين ينقذ قلب الاسد

وقد كان الصليبيون يعاملون المسلمين بوحشية لا مثيل لها . وكانوا يهجمون

عليهم فى بيوت الله ، فيحولونها بركا من الدماء . وكان المسلمون فى حل من أن ينكلوا بهم اطاعة لامر السماء : (ولكم فى القصاص حياة يا أولي الالباب) ، (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) . ولكنهم لم يفعلوا ، بل ان صلاح الدين يتطوع ليمرض اسيراً وقع بين يديه ، ويسهر عليه حتى يتماثل للشفاء !!

يقول فى هذا الشأن غوستاف لوبون مقارنا بين فظائع الملوك الصليبيين وفروسية صلاح الدين : لقد وفر دماء الصليبيين فى فلسطين ، وقدم لكل من فيليب أوغست وقلب الاسد فى مرضهما الاغذية والمرطبات ، فأظهر نبله هذا ، الفارقَ الكبير بين رجل السلطان المتمدن الانساني ، وصاحب السلطان المتوحش الاناني .

واليك قصة عن فروسية صلاح الدين هي أقرب الى الخيال منها الى الحقيقة كأنها حكاية من الاساطير ، ولكن العدو وصفها ، فلا بد من تصديقها خاصة وان امثالها كثير فى سيرة الابطال من المسلمين العرب .

جاء فى الكتب التى بحثت عن الفتح القدسي انه وصلت فى مركب ثلاثمائة امرأة افرنجية مستحسنة استخلص الملك ريكاردوس قلب الاسد احداهن لنفسه فكانت تقوم على خدمته وتعني براحته مع اخته وزوجته ، فاخلصت له كل الاخلاص ، فكانت عينه على اقرانه واذنه بين قواده . فعلمت من طريقها الخاص أن فريقا من القادة قد ضاقوا بحدة طبعه ، وشراسة خلقه ، فتآمروا على قتله . فاخبرته بما علمت ، فاتهم الخبر ، وأبى أن يصدق أن احدا من خلق الله يجرؤ على مواجهته بالسيف .

وكان من عادة ريكاردوس ان يطوف بالليل على قواده واجناده ، ليتعرف حالهم ، ويطمئن بالهم ، فافتقدته الفتاة فى خيمته ذات ساعة من الليل ، فلم تجده . فخرجت تبحث عنه ، فضلت الطريق ، ودخلت فى معسكر العرب . فظنها احد الحراس جاسوسا ، فرماها بسهم ، فسقطت على الارض تتلوى ، وتئن ، واتفق حينئذ ان مر صلاح الدين فى طوافه بهذا المكان ، فسمع الانين ، فاقترب من مصدره ، فاذا الفتاة مضرجة بالدم فاقدة الوعي ، فاحتملها على ذراعيه الى اول خيمة فى المعسكر . ودعا لها بطبيب اخرج النصل من فخذها ، وتعهدها بالعلاج حتى برئت ، وكان صلاح الدين يسأل عنها الحين بعد الحين ، وانزلها على الرحب من عطفه . وفى احدى الاماسي عرض قواده عليه بعض كبار الاسرى وهو فى خيمته ، فعرفت الفتاة من بينهم قائدا من خواص قلب الاسد ، فاستاذنت السلطان ان تتحدث اليه ، فاذن . فلما سألته عن مولاها اخبرها انه سمع اليوم اثناء المعركة أن خصومه من الفرنسيين والانجليز قد قرروا اغتياله فى هذه الليلة . ولولا أنه وقع فى الاسر لذهب اليه يخبره ويحذره . فجزعت الفتاة على ملكها ولم تملك سوابق دمعها ، فاسترسلت فى البكاء فسألها صلاح الدين عما بها وعما قال الاسير لها ، فافضت اليه بجلية الامر (١) .

لو لم يكن صلاح الدين مطبوعا بحكم نشأته وعقيدته على خلال الفروسية العربية لاغتبط بهذه المؤامرة التى ستكفيه شر عدوه ، وهو عماد الحرب الصليبية وفارسها الاول ، ولكنه فعل ما نشر فى آفاق الغرب فضله ، وخلد على وجه

---

(١) مجلة العربى ع ٣٦ ص ٢٤

الزمان ذكره ، فأرسل الى مكان المؤامرة الذى عينه الاسير سرية من أشجع الفرسان، لينقذوا الملك من كيد خصومه وكان قلب الاسد قد خرج على عادته بعد المعركة يتفقد احوال جنده ، وكان قد خرج فى هذه الليلة وحده لأن القواد الثلاثة الذين كانوا يرافقونه فى جولاته أسر أحدهم وقتل الآخران فى اليوم نفسه . أخذ يمشي فى ساحة القتال ساهما حزينا يتسمع الانات ، فيترحم على القتلى ، ويتألم للجرحى ، وينحني على من يعرفه منهم فيودعه بالرحمة او يشجعه بالامل ،حتى رأى قائد مكبا على وجهه ، فجثا على ركبتيه يقلبه ، فعرف فيه قائدا فرنسيا كان يقدمه ويكرمه ، فاشتد حزنه عليه وأطال وقوفه عنده . فلما أدار ظهره ، لينصرف نهض عن رقدته ، ونفخ فى بوق صفير ، فاذا رجال يقومون من بين القتلى ، ويحدقون بريكادوس ، وقد شهروا السيوف ! فدهش الملك من المفاجأة أول الامر ، ثم تذكر سيفه ، فاعمله فيهم ، وكاد يأتي عليهم لولا أن احتوشوه فى الظلام ، وطوقوه بالكثرة ، فايقن انه هالك . وفى هذه اللحظة الحرجة جاءته نجدة صلاح الدين فصرعتهم من حوله . ثم طلبوا اليه ان يصحبهم الى السلطان ، فسار معهم مطمئن القلب لاعتقاده ان الملك الذى ينقذ عدوه من القتل يستحيل عليه ان يسلم ضيفه الى الاسر . وكان لقاء السلطان للملك جميلا نبيلا ، وكأنهما لم يقتتلا طوال اليوم ، ولن يقتتلا طوال الغد ! وبالغ صلاح الدين فى اكرام ضيفه ، فدعا بالفتاة اليه ، فلما رآها تخرج من خيمة السلطان خالجه فيها الشك ، وساوره عليها الغضب ، ولكن بطل العرب والاسلام ورمز الفروسية أخبره بما كان منها وبما حدث لها . فقدر الملك اخلاصها ، وخرج بها معززا الى معسكره ليعيد سيرته فى الكر والفر على صلاح الدين . (١)

لبيك أيتها الجارية

ويحلولي ان اتابع البحث عن الفروسية فى طيات التاريخ العربي الاسلامي لارى فيه النجدة والمروءة من ذلك ما روى عن المعتصم(٢) حين وقف عليه رجل وقال له يا امير المؤمنين ، كنت بعمورية (٣) وجارية من أحسن النساء سيرة قد لطمها علج(٤) فى وجهها ، فنادت ، وامعتصماه ! فقال العلج : وما يقدر عليه

(١) يخيل الى ان القارىء متهمي بفقدان الصلة بين العنوان والبحث عن صلاح الدين ما لم اثبت عروبته . والى المتتبع أدلتى : جاء فى الجزء (٦) ص (٣) من كتاب ملوك مصر والقاهرة ان جد صلاح الدين هو مروان من أولاد خلفاء امية وأكد هذا الكتاب النفيس ذلك ثانية فثبت نسب صلاح الدين ودرجه الى نزار بن معد بن عدنان ، وتلاه على صلاح الدين فاقرّه . زد على ذلك توجيه الحديث الشريف الى التعريف بالعربى حين انكر رجل من الاعراب على سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى ان يكونوا عربا بقوله ان الرب واحد والاب واحد وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وانما هى اللسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربى ، فاذا اردنا أن نستمد من هذا القول تعريف العربى جازلنا أن نقول : هو من تكلم العربية وتشربت نفسه بحب بلادها ومبادئها وأخلص لها وعلى هذا الاساس يكون صلاح الدين عربيا بَيِّنَ العروبة .

(٢) خليفة من اعاظم خلفاء الدولة العباسية وهو فاتح عمورية سنة ٢٢٧هـ .

(٣) بلدة كانت بالروم .

(٤) العلج : الواحد من كفار العجم

فروسية العرب

المعتصم ؟ أيجيء على ابلق وينصرك ! وزاد فى ضربها .

فقال المعتصم : وفى أى جهة عمورية ؟ فقام الرجل وأشار الى جهتها : ها هى ذى ، فـرد المعتصـم وجهـه اليها ، وقال : لبيك أيتها الجارية ! لبيك ! هذا المعتصم بالله اجابك ، ثم تجهز اليها فى اثني عشر الف فارس على خيول بلق ، وحاصرهـا .

ثم عاد الرجل الذى بلغه الحديث ـ حديث الجارية ـ فقال له : سربي الى الموضع الذي رأيتها فيه ، فسار بـه ، واخرجها مـن موضعها ، وقال لهـا : ياجارية ، هل اجابك المعتصم !!

ويذكـر ارفينـغ واشـنطن (١) فى كتابـه الشهـير عـن قصص الحمـراء فروسية العرب ، فيقول فيها : لقد كان العرب فى بدء توسع ملكهم غزاة من انبل الغزاة ، متحلين بكرم لا مثيل لهوبتسامح لا حد له ، تفوقوا بهما على جميع القوى التي حاولت محاذاتهم ، وعلى جميـع الامم التي نافستهم . حتى ان رجـال الحرب فى البلاد الغربية قصدوا المدن العربية ليتعلموا من مدارسها العسكرية تعاليم النبل فى الكفاح،وامجاد الفروسية فى المعارك والبطاح ، ولقد ذكر رنول فى كتابه (تاريخ الجيش الفرنسي) ان الفرنسيين خاصة والاروبيين عامة اخذوا عن العرب فكرة الفرسان كما اخـذوا عنهم فكرة الفرسان المجردين من الدروع والاسلحة الثقيلة .

العرب وملكة قشتالة

وينسب سيديو (٢) الى العرب ابتكار قصص الفروسية التى انتشرت من بعدهم فى اسبانيا. ومما يروى عن نبل الفرسان العرب ، وتعففهم عن ايذاء الضعفاء ، والتعرض للنساء ، ما حدث سنة ١١٣٩ ميلادية عندما حاصرت جماعـة منهـم احدى القلاع الاسبانية ، وكانت توجد بها ملكة قشتالة زوجة الملك الفونسـو السابع ، فأرسلت اليهم تعاتبهم على مهاجمة قلعة تدافع عنها امرأة ، فمس فيهم ذلك العتاب وترا حساسا ،وألهبت نخوتهم العربية ، فاكتفوا بأن التمسـوا منها ان تطل عليهم من شرفتها . فلما فعلت ، قدموا لها اسمى ضروب الاحترام وفكوا عنها الحصار ، ورحلوا على الفور.

وقد روى هذه القصة نفسها غوستاف لوبون فى كتابه الشهير عن مدنية العرب، ولكن بتفصيل اوسع فقال (٣) :

---

(١) Erving wachington : أديب اميركي عاش فى اسبانيا طالبا وسفيرا ، سكن حمراء غرناطة فأعجب بقصورها وبالعرب مشيديها فوضع فيهم كتابا اسماه قصص الحمراء

(٢) Sedillot : بحاثة مشهور عن تراث العرب

(٣) Le walie de Cordue ayant en 1139 assiege Tolèdi, la reine Bérangère, qui était enfermée. lui envoya un héraut pour lui dire qu'il n'etail pas digne d'un chevalier brave, galant et genereux d'attaquer une femme. Le général arabe se retira aussitôt demandant pour toute faveur l'honneur de saluer la reine.

حاصر والي قرطبة طليطلة، وكانت السيدة « به رانجير » (١) ملكة عليها ، فأرسلت الى أحد فرسانه بطاقة تذكره فيهـــا بفروسية العرب وفرسانهم ، وما عليهم من كرم النفس ، وانه لا يليق بواحـد منهم ان يهاجم امرأة ، فما كان مـــن القائد العربي الا التشرف بتحية الملكة وتقديم الاحترام لها وفك الحصار عن قلعتها والانسحاب من حولها .

واأسفاه على الفنسو

ولقد جاء ايضا فى كتاب لارفينـــغ واشنطن عند الكلام عن فروسية يوسف ابي الحجاج ان يوسف المذكور حـاول تجديد الهدنة مع ملوك الاسبان بعـد وقعة سالاد ، فرفضوا ، بل هاجم عدوه ملك قشتالة مدينة جبل طارق العربية وحاصرها حصارا شديدا مما اضطـر يوسف الى محاربته ، وكانت ريح الحرب فى جانبه ، وسمـع آنذاك بان خصـمه العنيد مات متأثرا من الطاعون ، فلـم يعـول على الاستفادة مـن اضطـراب الجيش بموت قائده وانزعج من الخبر بدلا من ان يسر به وقال : جملة مشهورة ليس فى الموت شماته وا أسـفاه علـى الفونسو ، فقد خسرناه ملكا كاملا يفرض احترامه على محبيه واعدائه على السواء وحزن حزنا شديدا على فقده ، وقـد امر الملك يوسف فرسانه بفتح الثغور أمام موكب الملك الراحل ودعا قواده الى المساهمة فى تشييع جنازة الملك وتحية النعش لدى مروره فى الاراضى التابعة له وذلك مابين جبل طارق واشبيليه ، هذا مع العلم ان خصومه كانوا يستغلون مثل هذه الظروف لمصلحتهم الحربية .

عروس فى المعركة

وللعربيات المسلمات قصص فروسية تعطر تاريخ المرأة العربية على كر الايام ، فتحلهن فى حلبة الفروسـية والوفـاء والمجد والولاء أسمى مقام، من ذلك ما روى عـن ابان بـن سعيد بـن العـاص الذى اصابه سهـم فمات على اثره ، وكانت له زوجة وهى بنت عم له قريبة عهد بعرسها لا يزال الخضاب فى يدهـا ورائحة العطر تفوح من رأسها .

وكانت امرأة من أهل الشجاعة والبراعة والغيرة فبلغها وفاة زوجها ، فاتته تهرع(٢) مسرعة تتعثر(٣) فى مشـــيتها ، لما اصابها حتى وقفت فـوق رأسه ، ونظرت اليه والناس ينظرون ماذا تقول : فصبرت ، واحتسبت مصيبتها ، وملكت عبرتها ، ولم يرتفع لها صوت غير انها قالت مهنئة له بما نال من الشهـادة ورضوان الله : هنئت بمـا اعطيت ، ومضيت الى جوار ربك الذى جمـع بيننا ، ثم فرق . ولأجهدن (٤) حتى الحق بك ، وانى لمشوقة اليك ، حرام علي ان يمسني بعدك احد ، واني قد حبست نفسي فى سبيل الله على ان الحق بك وارجو ان يكون ذلك عاجلا . ثم حفر له ، ودفن مكانه ، وصلى عليه خالد بن الوليد، فتركته مدفونا ، ولم تقف على قبره بل أخذت سلاحه ، ولحقت بالجيش ، ولم تعلم خالـدا بذلك وقالت : على أى باب قتل بعلي ؟ فاشير اليه ، فاختلطت بالمقاتلين ، وقاتلت قتالا لم ير مثله وابلت بلاء حسنا ، وكانت ارمى النـاس بالنبال ، فلا يقع سهم منها على الارض حتى لقيت وجه ربها .

هذه شابة من الشواب العربيات المسلمات فى

البقية على : ص ٧١

---

١ ــ Bérangére

٢ ــ تتعثّر : عثر الرجل فى ثوبه يعثر عثارا أو عثورا (مصباح) .

٣ ــ تهرع : هرع وأهرع اذا اعجل على الاسراع (قاموس) .

٤ ــ لأجهدن : الجهد بالضم والفتح الوسع والطاقة .

التصوف بين الاستقامة والانحراف

للاستاذ عبد الحكيم نعناع
مدير المكتب الفني للادارة العامة للمعاهد الأزهرية

التصوف فى حقيقته جزء جوهرى من الدين الاسلامي الذى ارتضاه الله سبحانه دينا للبشرية عامة .

ويخطىء كل الخطأ من يتصور أنه أمر غريب او مبتدع أضيف الى الاسلام ، ذلك لأنه يستمد أصوله مباشرة من مصدرين أساسيين . هما كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، والسنة النبوية المطهرة ، مع خلوص النية ، وصدق الاخلاص فى العمل .

والتصوف فى الاسلام هو الكمال فى الايمان ، والكمال فى العمل ، هو لب الدين وثمرة اليقين .

انه الافق الأعلى للدعوة الاسلامية ، والوجه المشرق لآدابها ومثلها العليا .

انه أسمى صور الايمان فى العقيدة الاسلامية ، يعيش صاحبه تحت ظل التوحيد النقي الصافي ، فيرى الله فى كل شيء ، ويراقبه فى حركاته وسكناته ، بل يراقبه فى كل نفس من أنفاسه ، لأنه يؤمن به ، مطلعا على خواطر القلب ، وهمسات النجوى ((يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)) .

وعلى هذه الصورة الوضيئة ، عاش سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ودعا اليها وورثها أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، فمنهم جمع كبير نهج نهجه ، واقتفى أثره ، وتخلقوا بخلقه الرباني ، وتجملوا بكماله النفسي ، وتبعهم فى هذا السلوك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من التابعين وتابعي التابعين ، يدعون اليه ، ولا يحيدون عنه .

وهؤلاء جميعا هم قادة التصوف الاسلامي قبل ان يطلق عليهم اسم ((الصوفية)) وان كان قد اطلق عليهم اسم العباد أو الزهاد .

ومن هنا كان وجود التصوف والصوفية سابقا لهذه التسمية بقرن على الأقل ، وقائما فى عهد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ومن بعده .

ولما اتسعت الفتوحات الاسلامية ، وانفسحت رقعة العالم الاسلامي ، وتعددت شعوبه وأممه ، وترجمت كتب اليونان وغيرهم ، وتسربت فلسفتهم الى المسلمين ، وبعد ما بينهم وبين الوحي والرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ودخلت الدنيا على الناس ، وأخذت الشهوات والنزوات والمطامع والأهواء تلعب دورها ، وتنحرف بالقلوب عن عقيدتها ، لما كان ذلك كذلك هب فريق من هؤلاء

العباد والزهاد ، يحفظون حدود الله ويذودون عن جوهر الاسلام وروح العبادة ، ويدعون الى المثل العليا التي ورثوها عن اسلافهم الصـــالحين ، وتميز هذا النفر بالطائفة الصوفية ، وعرفوا بهذا الاسم قبل المئتين من الهجرة النبوية ، يقومون على الحق ، ويهدفون الى تزكية النفوس ، وتصـفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن بالآداب الاسلامية الرفيعة والمحبة الخالصة لله .

قال ابن خلدون فى مقدمته عن التصوف : ((.. وأصله ان طريقة هؤلاء القوم لم تـزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم طريق الحق والهداية ، وأصلها العكوف على العبادة ، والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاما فى الصحابة والسلف ، فلما فشا الاقبال على الدنيا فى القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس الى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم ((الصوفية)) .

أثر التصوف فى نشر الدعوة

ولقد كان للتصوف اثر بعيد فى سيادة الايمـان وصيانـة العقيدة ، وفى نشر الاسلام . فقد استطاع ايام ازدهاره ان ينشر الدعوة الاسلامية بدون غـزو او سلاح ، والصوفية هم الذين اشاعـوا نورها وحملوا هداها بين ربوع افريقيـة التي لم تفتحهـا الجيوش الاسلامية ، وكان لهم الفضل الأكبر فى نشر كلمـة التوحيد فى اندونيسيا والفلبين والصين وغيرها مـن الأقطار النائيـة ينشرونها بالقدوة الطيبة ، والعمل الصالح ، والخلق الكريم ، وكان الكثير منهم من المرابطين الذين عاشوا على حدود الدولة الاسلامية ، يصدون عنها غارات الأعداء .

والتصوف هو الذى وقف صامدا فى وجـه تيارات الالحاد ، وغزوات الانحلال ، وهو الـذى وقف حصنا منيعا يدفع عن شعوب الاسلام وثنية التتار ، وعصبية الصليبيين ، وطغيان الاستعمار .

فهذا صاحب تاريخ بغداد يذكر ان الخليفة المتوكل حينما عصفت الحروب بالدولة العباسية ، نادى أهل الفتوة الصوفية ، فهرعوا اليه من كـل مكان ، فكانوا جيشـه الكبير الذى حمى ديـار الاسلام وصان حدوده .

والجبرتي يحدث ان هزيمة الفرنسيين فى مصر انما كانت على أيدى رجال المقاومة الشعبية من أبناء الصوفية وشيوخها .

وقبل ذلك كان لهم الفضل الأكبر فى هزيمـة الصليبيين فى معركة حطين ، وفى أسر قائدهـم لويس التاسع فى بيت ابن لقمان بالمنصورة .

ولا يزال التصوف يحمل ميراث الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، ينير البصائر ، ويفتح القلوب على معرفة الحق ، ويعمرها بصدق العبودية لله رب العالمين ، ويربط عليها وسط تيارات الالحاد والانحلال .

مدارس التصوف

وكما نشأت مدارس الحديث، ومدارس التفسير ومدارس الفقه ، ومدارس علم الكلام ، ودونت قواعدها وحددت أصولها وفروعهـا ، مستمدة من الكتاب والسـنة ، نشأت كـذلك مدارس التصوف ، واجتهد علماؤه ، ودونوا معارفهم فى العبادات والأخلاق ، ومناهجهم فى السلوك وعلل النفوس ، ونوازع الخير والشر ، وأنواع الذكر ، ومقومات الشخصية الاسلامية الكاملة .

وكان مستمدهم فى هذا كله الكتاب والسنة ، وحسـن المتابعـة للمصطفى صلوات الله وسلامه عليـه فى ميراثـه الروحي ، لا يحيدون أبدا عما تلقوه عن أسلافهم .

يقول الجنيد ــ سـيد هذه الطائفة وامامهم كما يقول القشـيرى : ((من لم يحفظ الكتاب ، ولم يكتب الحديث ، لا يقتدى به فى هذا الأمر ، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ، وقال : علمنا هذا مقيد بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم)) . وقال : ((الطرق كلها مسدودة على الخلق ، الا على من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم ، واتبع سـنته ، ولزم طريقته)) .

وسهل التستري ــ وهو من هو بين أعلام الصوفية ــ يقول معبرا عن اصول التصوف : ((أصـول طريقنا سـبعة ، التمسك بالكتاب ، والاقتداء بالسـنة ،

وأكل الحلال ، وكف الأذى ، وتجنب المعاصي ، ولزوم القربة ، وأداء الحقوق)) . وأبو يزيد البسطامي يقول : ((لو نظرتم الى رجل اعطى من الكرامات حتى يرتقي فى الهواء ، فلا تغتروا به حتى تجدوه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة)) .

وهكذا نجد التصوف الحق يعتصم بالكتاب والسنة ، ويدعو الى الاستمساك بهما من غير زيغ ولا خروج عن جادة الدين .

القوة الثالثة

ولقد أثار التصوف الاسلامي منذ تميز — ولا يزال — جدلا وحوارا فى الفكر الاسلامي وفى الحياة الاسلامية ، وكانت له خصومات تنكر منحاه فى التربية ، ومنهجه فى السلوك ولا تزال .

وليس ذلك بغريب فالأمر فيه كما يقول ابن السبكى فى طبقاته — ((الناس أعداء ما جهلوا ، فكل فريق يخاصم من الآراء الرأى الذى لم يعرفه ، والعلم الذى لم يتذوقه)) .

وتلك كلمة حق فنرى أهل السنة — وهم يقولون : ان الدين نص تفسره أسباب النزول واللغة والرواية ، والمعتزلة يقولون : ان الدين نص يفسره العقل ويوضحه ، نراهما قوتين اسلاميتين تتخاصمان وتصطرعان قبل ان يتميز التصوف كعلم وعمل ، وكلتاهما تنكر على الأخرى مسلكها ومنهجها ، وهما معا تنكران على الصوفية مسلكهم ومنهجهم ، حين أصبحوا القوة الثالثة فى دنيا الاسلام ، لا هي نصية فقط ، ولا هي عقلية فقط ، ولكنها الى جانب ذلك بصيرة وضاءة ، وروح صافية .

وقد ورد فى كتب التصوف ، وأثر عن بعض اعلامه عبارات وأقوال اثارت جدلا وانكارا . وفى هذا المجال يقول الامام الشعراني فى طبقاته الكبرى دفاعا عن محيي الدين بن العربي : ((وما انكر من انكر عليه الا لدقة كلامه لا غير ، فانكروا على من يطالع كلامه من غير سلوك طريق الرياضة خوفا من حصول شبهة فى معتقده يموت عليها لا يهتدى لتأويلها على مراد الشيخ)) .

ذلك أن ((من ذاق عرف)) ومن هنا نجد الذين لم يتذوقوا علم التصوف ، ولم تتهيأ استعداداتهم لفهم حقيقته ، يرمون التصوف وأهله بادعاءات باطله فى علومهم ومعارفهم ، وفى أذواقهم ومشاربهم ومواجيدهم فيما بينهم وبين ربهم ، وفى نظرتهم السامية العميقة فى هذا الوجود ، وحقائقه .

ولو أن هؤلاء أخذوا انفسهم بمثل ما يأخذ به الصوفية أنفسهم من تقواهم لله حق تقاته ، ومن اخلاصهم العبادة لله سبحانه فى ظل قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : ((اعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك)) لو أنهم فعلوا ذلك ما أنكروا وما رموا هؤلاء الأعلام بما يرمونهم به ، وحسبهم أن شيخ التصوف الأكبر (محيي الدين بن العربي) هو الذى يقول : لقد أجمع أهل التصوف جميعا على أنه لا تحليل ولا تحريم بعد شريعة رسول الله وخاتم النبيين صلوات الله عليه ، وانما هو فهم يعطى فى القرآن لرجال الله ، كما ثبت من حديث علي بن ابي طالب ، وفيض من العلم يهبه الله لمن أطاعه فألهمه وجعل له نورا)).

ما دخل على التصوف

ولا جدال فى ان التصوف الاسلامي قد دخل عليه فى عصوره الأخيرة ما ليس منه ، وطاف فى سماء مناهجه الأصيلة كثير من الضباب والغبار ، كما أصابه ما أصاب حياة المسلمين من جمود وضعف ، وعادات وتقاليد شوهت جماله ، وذلك وضع لم يسلم منه أمر من أمور المسلمين .

وان الأمة الاسلامية قد أخذت تنفض عن كاهلها غبار ماض بغيض فرضه عليها طغيان الاستعمار ، وبغي الصهيونية ، وعداوة الصليبية ، ومشت فيها روح جديدة تنبه القوى الغافية ، وتوقظ الأحلام ، فالتفتت الى ما ضيها توقظ آمالها وتحيي تراثها .

وانها فى بعثها الجديد لفي أشد الحاجة الى ان تتسلح بزاد الايمان وروح الاسلام ، وقوة اليقين ، وصفاء العقيدة .

وجماع ذلك كله التصوف ، فالتصوف فى حقيقته هو الايمان فى أوضح اشراقاته ، والخلق فى أعلى مثله ، والعلم فى أصفى موارده ، والجهاد فى أقوى ذراه ، وتلك هي الدعائم التي ارتكزت عليها دول الاسلام فى أقوى نهضاتها ، واستندت اليها شعوبه فى أمضى وثباتها ، وهي الملامح الأصيلة لاعظم القوى الروحية فى العالم ، وأطهر الدعوات النبوية فى التاريخ .



للأستاذ علي الجندي

آيات الرجاء فى القرآن

آيات الرجاء كثيرة فى القرآن ، منها قوله تعالى « قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » .

وسبب نزولها أن قوما قالوا : (يا رسول الله ، أيغفر لنا ربنا ان أسلمنا على ما كان منا من الكفر والقتل وغيره) .

ويقول ثوبان لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم : « ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية » .

ومعنى الآية أن الله يغفر الذنوب جميعا لمن تاب .

ويقول علي كرم الله وجهه : انها أرجى آية فى القرآن .

وقيل : أرجى آية « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

وقيل : ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما .

وقال زين العابدين رضي الله عنه : « أرجى آية قوله تعالى : ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

فان محمدا (صلى الله عليه وسلم) لا يرضى وواحد من أمته فى النار

أفضل آية

عن علي كرم الله وجهه انه قال : ألا أخبركم بأفضل آية فى كتاب الله تعالى ؟ قالوا بلى ، قال قوله تعالى « وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير » . ثم قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي ما أصابك من بلاء أو عقوبة ، او مرض فى الدنيا فبما كسبت يداك ، والله اكرم من ان يثنى على عبده فى الآخرة العقوبة ، وما عفا الله عنه فى الدنيا ، فالله اكرم من ان يعود بالعقوبة بعد عفوه .

قال الواحدى : ولذلك قالوا : ان هذه الآية أرجى آية فى القرآن ، لأنه جعل تعالى ذنوب المؤمنين صنفين . صنف تكفيره بالمصائب ، وصنف عفا عنه ، وهو ــ جلا وعلا ــ كريم لا يعود فى عفوه .

القرْن

القرن : بفتح فسكون ، أربعون سنة ، أو عشرة : أو عشرون ، أو ثلاثون ، أو خمسون ، أو ستون ، أو سبعون ، أو ثمانون ، أو مائة ، أو مائة وعشرون ، والأصح أنه مائة لقوله صلى الله عليه وسلى لغلام « عش قرنا » ، فعاش مائة سنة .

ومن معانى القرن : الخصلة من الشعر ، ومن الشمس ناحيتها أو أعلاها أو أول شعاعها ، ومن القوم سيدهم وكل أمة هلكت فلم يبق منها أحد ، وأهل زمان واحد ، وأمة بعد أمة .

وميقات أهل نجد ، وهى بلدة عند الطائف ، أو اسم الوادى كله ، وغلط الجوهرى فى تحريكه ، كما غلط فى نسبة (أويس القرنى) اليه ، لأنه منسوب الى قرن ــ بوزن قمر ــ ابن رَدْمان ــ وزن شعبان ــ ابن ناجية أحد أجداده .

الرسول ينشد الشعر

تمثل النبى صلى الله عليه وسلم بقول الشاعر :

ان تغفر اللهم تغفر جما
وأى عبد لك لا ألما

وصار من جملة الأحاديث : أورده السيوطى فى جامعه الصغير .

وعن الحاكم فى الايمان ، والتوبة عن ابن عباس ، وقال المناوى فى شرحه الكبير : يجوز انشاد الشعر للنبى صلى الله عليه وسلم ، وانما الممنوع انشاؤه .

دين القوة

نظرت السيدة عائشة رضى الله عنها الى رجل متماوت فقالت : ما هذا ؟ فقالوا لها رجل من القراء .

فقالت : كان عمر بن الخطاب سيد القراء ، فكان اذا قال أسمع ، واذا مشى أسرع : واذا ضرب أوجع !!

ونظر عمر رضى الله عنه رجلا مطأطئا رأسه ، فقال ارفع رأسك فان الاسلام ليس بمريض !!

ورآى رجلا متماوتا يظهر النسك ، فخفقه بالدرة ، وقال لا تمت علينا ديننا أماتك الله ؟؟

شدة الصوت

قال ابن عطية : رأيت من بعض أقوياء العرب انه كان يمكو (يصوت) على الصفا ، فيسمع صوته من حراء ، وبينهما أربعة أميال .

لطف العلماء

كان للامام ابن الجوزى زوجة تسمى « نسيم الصبا » وكان يحبها حبا شديدا ، فاتفق أن حدثت بينهما جفوة ، فحصل له قلق شديد وهيام حتى كاد يشرف على التلف !!

وفى يوم من الايام حضرت الزوجة مجلس وعظه ، فسر بها واستبشر وسرعان ما حضرت امرأتان وجلستا أمامه ، فحالتا بينه وبين رؤيتها ، فأنشد ابن الجوزى متمثلا :

أيا جبلى نعمان بالله خليا
نسيم الصبا يخلص الىَّ نسيمها
فان الصبَّا ريح اذا ما تنسمت
على قلب مهموم تجلت همومها

والبيتان لمجنون ليلى

واحدة بواحدة

جاء رجل الى الأعمش وهو جالس على شاطىء خليج وعليه فروة خلقه فأقامه وركب فوقه ، وقال عِدْنى هذا الخليج ثم تلا قوله تعالى « سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين » .

فمضى به الأعمش حتى توسط الخليج فرمى به وهو يتلو قوله تعالى « رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين » .

ومعنى « مقرنين » أى « مطيقين »

أرجى وأحسن

قال أبو بكر رضى الله عنه : « قرأت القرآن كله فلم أر فيه آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « قل كل يعمل على شاكلته » . فانه لا يشاكل العبد الا العصيان، ولا يشاكل المولى الا الغفران !

وقال عمر رضى الله عنه : « قرأت القرآن كله فلم أر أرجى وأحسن من قوله تعالى « حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب » . فانه قدم غفران الذنب على قبول التوب .

وقال عثمان رضى الله عنه : « قرأت القرآن كله فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم . وأن عذابى هو العذاب الأليم » ، فقدم الغفران والرحمة على أليم العذاب .

وقال علي رضى الله عنه : « قرأت القرآن كله فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم » .

وقال القرطبي : « قرأت القرآن كله فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

وقال الشيخ عبد الرحمن الصفورى : « قرأت القرآن كله فلم أر آية أرجى وأحسن من قوله تعالى « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى » .

لبيك وسعديك

قال العلماء يجوز استعمال لبيك وحده . وأما سعديك فلا يستعمل الا تابعا للبيك .

المتوكلون من اصحاب الحرف

أفتى ابن عباس رضى الله عنهما فيمن أوصى للمتوكلين بأنهم الزراع فيصرف لهم ما أوصى به الموصى ، وذلك لأن الزراع يحرثون ويضعون البذر فى الارض ، فهم المتوكلون على الله تعالى فى ذلك .

ويؤيده ما رواه البيهقى والعسكرى من أن عمر بن الخطاب لقي أناسا من أهل اليمن فقال من أنتم ؟ فقالوا متوكلون !! فقال كذبتم !! انما المتوكلون رجال القوا الحب فى التراب ، وتوكلوا على رب الارباب !

وبهذا أفتى بعض فقهاء بيت المقدس قديما .

وقال الرافعى والنووى : احتج من فضل الزراعة على غيرها من الحرف بأنها أقرب الى التوكل .

الرجوع على الاعقاب

فى حديث السيدة أسماء رضى الله عنها « آتى على حوضى حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ أناس دونى ، فأقول يا رب أمتى ومن أمتى، فيقول ما شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا بعدك يرجعون على أعقابهم » .

قالوا احسن ما قيل فى هذا الحديث « أنه يتعلق بمن ارتدوا بعد رسول الله وكفروا فتتخطفهم النار » .

وعليه يحمل حديث مالك فى الموطأ الذى جاء فيه « فيذاد رجال عن الحوض .. »

وكان ابن أبى مليكة اذا ذكر هذا الحديث يقول : « اللهم انا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا !! »

مزية الشبان

فى الحديث الشريف « وسعوا للشبان فى المجالس وافهموهم الحديث » .

وكان عمر اذا نزل به معضل دعا الفتيان واستشارهم وقال : هم أحَدّ قاوبا .

الصلاة تضاف الى وقتها

كل صلاة تضاف الى وقتها، تقول صلاة الغداة « الصبح » وصلاة الظهر ، وصلاة العصر ، وصلاة المغرب ، أو صلاةالعشاء الأولى ، وصلاة العشاء الآخرة . وأعراب البادية يقولون : صلاة العتمة ، وقد جاء فى الآثار كراهة ذلك ، فقد ورد « لا يغلبنكم الأعراب على صلاتكم العشاء » .

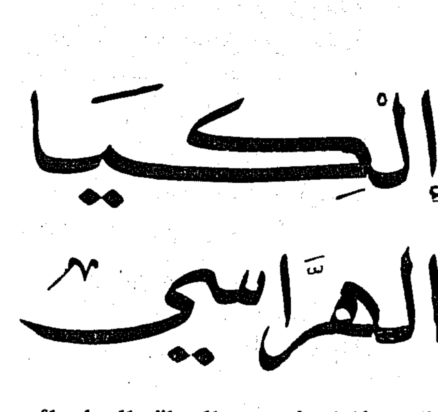
سورة التوديع

قال البغوى فى تفسيره عن الحسن ، علم النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ اقتراب آجله من قوله تعالى « اذا جاء نصر الله والفتح .... » السورة .

قال قتادة : عاش النبي بعدها عامين .

وقيل : انه عليه السلام لم يضحك فى هذين العامين .

وهذه السورة تسمى سورة التوديع «





للاستاذ نعمان عبد الرزاق السامرائي

بغداد

من هو الكيا الهراسي

هو ابو الحسن علي بن محمد بن علي الطبرى الملقب : ((عماد الدين)) المعروف ((بالكيا الهراسى)). والكيا بهمزة مكسورة ولام ساكنة ثم كاف مكسورة بعدها ياء ، معناه الكبير بلغة الفرس ، والهراسي براء مشددة وسين مهملة لا تعلم نسبته لأى شيء (١) .

ولادته وموطنه

يقول ابن خلكان ((وكانت ولادة الكيا فى ذى القعدة من سنة خمسين واربعمائة (٢) وتوفي يوم الخميس وقت العصر مستهل المحرم سنة اربع وخمسمائة ببغداد ، ودفن فى تربة الشيخ أبي اسحاق الشيرازي رحمه الله تعالى ، وحضر دفنه الشيخ ابو طالب الزينبى وقاضي القضاة ابو الحسن بن الدامغانى ، وكانا من مقدمى الحنفية وكان بينه وبينهما فى حال الحياة منافسة وتنافر ، فوقف أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه ، فقال ابن الدامغاني متمثلا :

وما تفني النوادب والبواكي

وقد اصبحت مثل حديث أمس

وأنشد الزينبي

عقم النساء فلا تلدن شبيهه

ان النساء بمثله عقم

تعليمه الأول

لقد بقي الكيا فى طبرستان منذ ولادته حتى بلغ الثامنة عشرة وهناك تلقى تعليمه الأول قبل أن يخرج الى نيسابور .

ولكن تعليمه فى هذه المدة لا نعرف عنه شيئا ، ولعل السبب فى ذلك أن الاهتمام بالعلماء يأتي دوما بعد اكتمال تحصيلهم العلمي وبروزهم ، أما قبل ذلك فهم عرضة لعدم الاهتمام .

لذا فنحن لا نجد فى ترجمة أكثر العلماء ما يكشف عن مقتبل حياتهم وأيام تعليمهم الأولى الا اليسير ، وهكذا كان شأن الكيا ، فنحن لا نعرف كثيرا عن عائلته وبيئته أو شيوخه الذين تتلمذ لهم الا أننا نفهم أن دراسته فى طبرستان أهلته لأن يكون بين طلاب امام الحرمين ، وأن يكون مستعدا للأخذ عنه ، وهو شيخ الشافعية فى زمنه والذى جاب الآفاق ، ثم عاد الى بلده (نيسابور) ليمكث اكثر من ربع قرن مدرسا وواعظا وخطيبا ، ولعل من النافع أن نذكر نبذة مختصرة عن حياة هذا

١ ـ شذرات الذهب لابن العماد جـ ٤ ص ٨ .

٢ ـ وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٤٨

* تتلمذ لامام الحرمين
* شارك الغزالي في الدرس
* ولد بطبرستان وتعلم بنيسابور ، وعلم في بغداد
* هل كان باطنيا اسماعيليا ؟
* ما معني ((الكيا)) و ((الهراسي)) ؟
* كاد أن يقتل فنجا بتوسط الخليفة !
* هل استفاد من شهرة الغزالي أم خسر؟

الشيخ الذى كون لنفسه ـ على ما يبدو ـ مدرسة فكرية كان من تلامذتها النجباء الامام الغزالي والكيا وكثير من امثالهم . فمن هو شيخ الحرمين ؟ ؟

امام الحرمين

هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد ابن عبد الله الجوينى النيسابورى امام الحرمين ابو المعالي .

ولد فى ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعمائة (٤١٩) .

يقول السبكى فيه (١) : ((ولا شك انه كان أعلم أهل الارض بالكلام والأصول والفقه واكثرهم تحقيقا ، بل الكل من بحره يغترفون .. توفي والده وسنه نحو العشرين وهو مع ذلك من الأئمة المحققين ، فاقعد مكانه فى التدريس، فكان يدرس ، ثم يذهب بعد ذلك الى مدرسة البيهقي حتى حصل الأصول عند استاذه ابي القاسم الاسكافى الاسفراييني .

قال عبد الغافر الفارسى الحافظ فيما نقله السبكى(٢) : ((فاضطر الى السفر والخروج عن البلد وخرج الى بغداد ـ ثم جاور بمكة اربع سنين يدرس ، ويفتي ، ويجتهد فى العبادة ونشر العلم .. ثم عاد الى نيسابور بعد ولاية السلطان (ألب أرسلان) ... فبنيت له المدرسة النظامية بنيسابور ، وأقعد للتدريس فيها ، واستقامت امور الطلبة ، وبقي على ذلك قريبا من ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع ، مسلما له المحراب والمنبر والخطابة والتدريس ومجلس الذكر يوم الجمعة والمناظرة ، وهجرت المجالس من أجله ، وانغمر غيره من الفقهاء بعلمه وكسدت الاسواق فى جنبه ، ونفق سوق المحققين من خواصه وتلامذته ، فظهرت تصانيفه وحضر درسه الاكابر والجمع العظيم من الطلبة ، وكان يقعد بين يديه كل يوم نحو ثلثمائة رجل من الائمة والطلبة ...الى أن قلد زعامة الاصحاب ورياسة الطائفة وفوضت امور الأوقاف اليه ، وقوله فى الفتوى مرجع العظماء والاكابر والولاة .. وبدت عليه مخايل الموت وهو فى ليلة الاربعاء بعد صلاة العتمة الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر فى سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، ونقل فى الليلة التى توفي فيها للبلد ، وقام الصياح فى كل جانب ..

١ ـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٢٤٩
٢ ـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ج ٣ ص ٢٤٩

وكسر منبره فى الجامع (المنيفي) .. وكان الطلبة فيه ما بين اربعمائة نفر يطوفون فى البلد نائحين عليه مكسرين المحابر والأقلام مبالغين فى الصـــياح والجزع)) .

الكيا فى نيسابور

بعد أن امضى الكيا (١٨) سنة من عمره فى طبرستان سلك ما كان يسلكه أكثر الطلبة آنذاك من الهجرة لطلب العلم على وفق ما وردت بهالسنة من اعتبار هذه الهجرة جهادا ، وبما يعود على الطالب نفسه من العلم الوفير والشهرة والصيت ، لذا رأينا الكيا يغادر طبرستان الى نيسابور ، ولا شك أنه سمع بشهرة امام الحرمين ، فتطلعت نفسه الى لقيـــاه والتتلمذ عليه . يقول ابن عساكر (١) : ((ورد نيســابور فى شــبابه وقــد تفقه ، وكان حسن الوجه مطابق الصوت للنظر مليح الـكلام ، فحصــل طريقة امــام الحرمين ونبغ فيها ، وصار من وجـوه الاصحاب ورءوس المعيدين فى الدرس ، وكان ثان الغزالي ، بل املح واطيب فى النظر والصوت ، وأبين فى العبـــارة والتقدير منه ، وان كان الغزالي أحد وأصـــوب خاطرا وأسرع بيانا وعبارة منه ، وهذا كان يعيد الدرس على جماعة حتى تخرجوا به ، وكان مواظبا على الافادة والاستفادة ، ثم اتصل بعد مـــوت امام الحرمين بمجد الدين ، وحظي عنده ، ثـم خرج الىالعراق،وأقام مدة يدرسببغداد فىالمدرسة النظامية الى أن توفي فيها)) .

أما السبكي (٢) فيترجم له بنفس هذه المعاني فيقول : ((أحـد فحـول العلماء ورءوس الائمـة فقها وأصولا وجدلا وحفظا لمتون احاديث الاحكام ، ولد خامس ذى القعدة سنة خمس واربعمائة ، وتفقه على امام الحرمين وهو أجل تلامذته بعـد الغزالي ، وحدث عن امام الحرمـــين وابي علي الحسن بن محمد الصفار وغيرهما ، روى عنـه السلفى وسعد الخير بنمحمد الانصارى وآخرون.

قال فيه عبد الغافر ((الامام البالغ فى النظر مبلغ الفحول ، ورد نيسابور فى شبابه)) ثم ينقل النص السابق الذى ساقه ابن عساكر .

اما ابن خلكان (٣)) فهو الآخر ينقل ما نقلـه غيره باختصـــار فيقــول ((...وكان من أهـــل طبرستان ، وخرج الى نيسابور ، وتفقه على امام الحرمين ابي المعالي الجويني مدة الى أن برع ... ثم خرج من نيسابور الى (بيهق) ودرس بها مدة ، ثم خرج الى العـــراق ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد الى أن توفى)) .

من كل ما تقدم يمكننا أن نستنتج أن الكيا كان فى نيسابور طالبا مجدا كل الجد، وأنه كان يحفظ العلوم ويكررها وفق طريقة ذكرها بنفسه ، ونقلت عنه ، وملخصها : ((كانت فى مدرسة سرهنك بنيسابور قناة لها سبعون درجة وكنت اذا حفظت الدرس أنزل القناة ، وأعيد الدرس فى كل درجـة مرة فى الصعود والنزول ، وكذا كنت أفعل فى كـل درس حفظته)) (٤) .

ثم صار من كبار تلاميذ امام الحرمين حتى أنه كان يقوم باعادة دروسه على كثير من اخوانه حتى تخرجوا عليه . وعلى هذا النحو بقي فى نيسابور الى أن توفى شيخه (٤٧٨) فانتقل الى بيهق .

الكيا فى بيهق

بعد أن اكمل الكيا تحصيله على يد شيخه امام الحرمين ، وبعد أن اصبح قادرا على اعـــادة دروس شيخه،وبعد وفاةهذا الشيخ الجليل ،خرج الكيا من نيسابور ميمما وجهه شطر (بيهق)، وكان الوقت مناسبا ليظهر علمه هناك ومنهجه الـذى تلقاه على امام زمانه ، ومما لا شك فيه أنه حاول ابراز موهبته وغزارة علمـه حتى لفت أنظـــار الولاة هناك اليه الا أن المصادر لا تزودنا عن هذه الفترة التي بقي فيها من سنة ٤٧٨ الى ٤٩٢ حيث دخل بغداد .

---

١ ــ تبيين كذب المفترى لابن عساكر ص ٢٨٨

٢ ــ طبقات الشافعية للسبكي جـ ٤ ص (٢٨١ ــ ٢٨٢)

٣ ــ ابن خلكان / وفيات الاعيان جـ ٢ ص ٤٤٨ .

٤ ــ طبقات الشافعية للسبكي جـ ٤ ص ٢٨٢ ومرآة الزمان جـ ٨ ص ٣٧ .

فهذا ابن خلكان يقول : « كان من أهل طبرستان ، وخرج الى نيسابور .. ثم خرج من (٢) نيسابور الى بيهق ودرس بها مدة ، ثم خرج الى العراق ، وتولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد الى أن توفي » .

ثم يعود ابن خلكان لينقل عن الحافظ عبدالغافر قوله : « ثم اتصل بخدمة الملك بركيا روق بن ملكشاه السلجوقي ، وحظي عنده بالمال والجاه ، وارتفع شأنه ، وتولى القضاء بتلك الدولة .. » وقد نقل ابن العماد هذا الخبر كذلك .

ويذكر الاستاذ الداغستاني نقلا عن الكامل في حوادث سنة ٤٩٢ قوله (٣) : « هذه السنة من شعبان وصل الكيا ابو الحسن علي بن محمد الطبري المعروف بالهراسي الفقيه الشافعي ولقبه عماد الدين شمس الاسلام برسالة من السلطان بركيا روق الى الخليفة .. » (والخليفة في هذه المدة هو المستظهر بالله ابو العباس احمد بن المقتدى بامر الله المتوفى سنة ٥١٢) .

ثم يعلق الاستاذ الداغستاني بقوله: « ومن هذا نرى ان الكيا قد عظم شأنه،وأنه بعد أن درس مدة في بيهق اختير قاضيا في سلطنة بركيا روق السلجوقي وعظمت صلته بالسلطان وثقة السلطان به حتى اختاره للسفارة بينه وبين الخليفة ببغداد » .

ومن الطبيعي..بعد أن تستشرف نفس الكيا بعد الدراسة في طبرستان ونيسابور وبيهق أن تتوجه الى بغداد حيث سوق العلم والعلماء نافقة فيعرض بضاعته وفطنته وحذاقته .

الكيا في بغداد

لقد وصل الكيا بغداد في شعبان من سنة ٤٩٢ وهو يحمل رسالة بركيا روق الى الخليفة كما يقول ابن الاثير،ومن الطبيعي أن تخدمه هذه المهمة الدبلوماسية فتعرفه أولا على حاشية الخليفة ، وتجعله أهلا للاحترام ، لذلك يذكر ابن الاثير ان مجد الملك البلاساني اعتنى به ، أما الوزير عميد الدولة (ابن جهير) فقد قام له عندما دخل عليه ـ وهو الذى كان أكبر متكبر يعد كلامه عدا ولا يكلم أحدا .

ثم تسكت المراجع عن ذكر ما صار للكيا بعد ذلك خلال عام الى ان تعود له مرة أخرى عند تعيينه مدرسا (بالنظامية) سنة ٤٩٣ فيقول ابن شهبة فيطبقات الشافعية : «وتولى النظامية في ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين واربعمائة واستمر بها عظيم الجاه، رفيع المحل، يتخرج عليه الطلبة الى أن توفي في المحرم سنة اربع وخمسمائة (٥٠٤) (١) .

هل كان الكيا باطنيا

من غريب ما حدث للكيا ما تناقلته بعض الكتب من أنه اتهم بالباطنية والاسماعيلية وأنه رجم أو كاد وأن المستظهر حماه ، وسوف ننقل بعض هذه النصوص ونناقشها .

١ : نقل السبكي في طبقاته دون أن يسند الخبر لأحد أنه: « من غريب ما (٢) اتفق له أنه أشيع أن الكيا باطني يرى رأى الاسماعيلية فنسبت له فتنة هائلة وهو بريء من ذلك ، ولكن وقع الاشتباه على الناقل فان صاحب اللاطوت ابن الصباح الباطني الاسماعيلي كان يلقب بالكيا أيضا ثم ظهر الأمر ، وفرجت كربة شمس الاسلام رحمه الله تعالى ، وعلم أنه أتى من توافق الكنيتين (الكيا لقب وليس كنية) .

فالسبكي يعرض القضية على أساس ان ابن الصباح يلقب بالكيا وهو باطني معروف، وأن الكيا الهراسي يلقب أيضا كذلك فحصل اشتباه ، ثم انجلى الأمر ، وانتهى كل شيء عند هذا الحد فلننظر ما يقول غيره .

٢ : أما ابن القيم(٣) فقد عرض القضية بصورة اخرى دون أن يسمي المصدر الذى نقل عنه أيضا فقال : « وقدم بغداد ودرس بالنظامية ووعظ وذكر مذهب الاشعرى فرجم ، وثارت الفتن واتهم بمذهب الباطنية فأراد السلطان قتله فمنعه المستظهر وشهد له » .

---

١ ـ وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٤٤٨ .
٢ ـ مجلة الرسالة القاهرية مجلد ١٥ ص ٥٠٨ .
٣ ـ مجلة الرسالة القاهرية مجلد ١٥ ص ٥٠٨ .
٤ ـ طبقات الشافعية للسبكي جـ ٤ ص ٢٨٢ .
٥ ـ مرآة الزمان لسبط ابن القيم جـ ٨ ص ٣٧

فان صح هذا الخبر فهو يختلف عما نقله السبكي اذ يحدد ان الكيا تكلم فى الامام الاشعرى بما لا يرضى مما أهاج الناس، فسبب ذلك نقمة السلطان الذى اراد قتله لولا شفاعة المستظهر والشهادة لـه .

٣ : وقد ذكر الخبر من المتأخرين الزركلي (٤) وكأنه ينقله عن مرآة الزمان باختصار فيقول ((وسكن بغداد فدرس بالنظامية ووعظ واتهم بمذهب الباطنية فرجم واراد السلطان قتله فحماه المستظهر وشهد له)) .

ومن يمعن النظر فى هذه الأخبار يجد أن ما ذكره ابن القيم أقرب للقبول، ذلك أن الكيا قد درس على امام الحرمين فيما درس علم الكلام ، وكان يناظر فيه ويناقش ، فمن غير المستبعد أن يرفض بعض آراء الامام الاشعري وينبرى لمناقشتها ، وحيث ان التنافس بين العلماء أمره معروف ــ فمن المحتمل أن آراء الكيا نشرت بين الناس فهاج الناس لهذا النقد ، وربما رجموا صاحبه وطالبوا السلطان بقتله وأن المستظهر شهد له وحماه .

اما أن لقبه هو الذى جنى عليه ــ كما يرى السبكي ــ فامر نستبعده لأن الكيا شخصية معروفة، وهو استاذ فى النظامية ، وابن الصباح مشهور معروف ولا لبس فى القضية كما نتصور من هذه الجهة .

أما أنه اسماعيلى فذلك أمر مستبعد أيضا ، لأنه لو عرف بذلك لما استطاع أن يصل الى مدرس فى النظامية، ولو عرف عنه ذلك فى النظامية لما استطاع البقاء فيها مدرسا حتى وفاته .

كما أن دراسته السابقة واكتمال تحصيله يباعدان بينه وبين أمثال هذه الافكار ، فهو شافعي لم يخرج عن نطاق المذهب . وكتبه تشهد له ولا سيما ((احكام القرآن)) الذى سنتكلم عنه بعد قليل .

شيوخه

لقد عاش الكيا للعلم فمنحه حياته ، وقد جد واجتهد حتى صار ((شيخ الشافعية)) فى بغداد ، وتطلعت اليه العيون ولكن مع هذا كله فنحن لا نعرف من هم شيوخه فى طبرستان او نيسابور ، وكل الذى يزودنا به السبكي (١) قوله : ((وتفقه على امام الحرمين وهو أجل تلامذته بعد الغزالي ، وحدث عن امام الحرمين ، وأبى علي الحسن بن محمد الصفار وغيرهما)) هذا كل ما نجده ولكن من هم هؤلاء ((الغير)) لا نعلمهم للأسف .

ومثل هذا يقال عمن أخذ العلم عن الكيا، فنحن لا نعرف كثيرا ممن تتلمذوا له ، وان كان السبكى يذكر أحيانا عند ترجمته أن ((فلانا)) أخذ العلم عن الكيا ، الا أن جل هؤلاء هم ممن تتلمذ له فى ((نظامية بغداد)) أما الذين درسوا على يديه فى ((بيهق)) مثلا فلا ذكر لهم .

تلاميذ الكيا

١ : عبد السلام بن الفضل ــ أبو القاسم الجيلي اقام ببغداد مدة متفقها بالمدرسة النظامية على الكيا وولي قضاء البصرة وسمع بمكة صحيح مسلم من الحسين الطبرى ، وكان فقيها أصوليا توفي فى جمادى الآخرة ٥٣٤ . (طبقات الشافعية للسبكي ج ٤ ص ٢٥٤) .

٢ : عبد الباقي بن محمد بن عبد الواحد الغزالي ــ الفقيه ابو منصور تفقه على الكيا الهراسي ، وسمع الحديث من أبى الغنائم بن المأمون وغيره ، روى عنه السلفي ، مات فى رجب سنة ٥١٣ .

٣ : عبد الله بن محمد بن غالب ــ ابو محمد الجيلي تفقه ببغداد على الكيا ثم انتقل الى الأنبار واستوطنها ومات سنة ٥٦٠ .

٤ : علي بن أحمد بن محمد ــ أبو المكارم البخارى تفقه ببغداد على الكيا الهراسى، وولي قضاء واسط، وكان يدرس الفقه بجامع واسط مات سنة ٥٣٠ .

٥ : الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن الحسن بن عماد الموصلي ــ الشيخ ابو البركات شيخ ابن الصلاح ولد بالموصل سنة ٤٧٧ ، وتفقه ببغداد على الكيا والشاشي وأسعد المهيني ومات بالموصل سنة ٥٢٩ .

---

١ ــ الاعلام لخير الدين الزركلي ج ٥ ص ١٤٩ الطبعة الثانية .

٢ ــ طبقات الشافعية للسبكي ج ٤ ص ٢٨١ .

٦ : الخضر بن نصر بن عقيل – ابو العباس الاربلي تفقه ببغداد على الشاشي والكيا ، وكان من الائمة، وصنف في التفسير والفقه ومات سنة ٥٦٧.

٧ : سعيد بن محمد بن عمر بن منصور – الامام ابو منصور ابن الرزاز من كبار أئمة بغداد فقها وأصولا وخلافا ولد سنة ٤٦٢ وتفقه على الغزالي وصاحب ابي بكر الشاشي والكيا الهراسي وأسعد المهيني ، توفي ٥٣٩ .

٨ : شافع بن عبد الرشيد بن قاسم – أبو عبد الله تفقه على الكيا الهراسي وابى حامد الغزالي وسمع بالبصرة ابا عمر النهاوندى القاضي ... وكان من أئمة الفقه ، له بجامع المنصور حلقة للمناظرة يحضرها الفقهاء كل جمعة توفي سنة ٥٤١ .

رأى العلماء فى الكيا

تقدم رأى الحافظ عبد الغافر فى الكيا وهو شريكه في الدرس على امام الحرمين،كما تقدم وصف السبكى له ، وهو من أطال كثيرا فى وصفه وان كان جل نقله عن عبد الغافر .

أما أبو طاهر السلفى (١) فينقل موازنة بين الكيا والغزالي يتناقلها فقهاء بغداد عن امام الحرمين فيقول « سمعت الفقهاء ببغداد يقولون كان ابو المعالي الجويني – امام الحرمين – يقول فى تلامذته اذا ناظروا التحقيق للخوافي والجريان للغزالي والبيان للكيا » .

أما البهنسي فيقول(٢) : «انه تفقه ببلده وقصد امام الحرمين بنيسابور فلازمه حتى برع فى الفقه والأصول ، وكان هو والغزالي والخوافي اكبر تلامذته ومعيدى درسه . وكان اماما نظارا قوى البحث دقيق الفكر،ذكيا فصيحا جهورى الصوت.

وقد نعته ابن شهبة فى طبقاته عين النعوت وكذا ابن خلكان(٣) وابن عساكر(٤) وابن العماد(٥) الحنبلي والسبكي(٦) وسائر من ترجموا للكيا الهراسي وسبب ذلك أنهم جميعا – على ما يبدو – نقلوا عن مصدر واحد هو « تاريخ نيسابور » للحافظ عبد الغافر الفارسي الذى كان معاصرا للكيا ومن تلاميذ امام الحرمين .

لهذا جاءت اخبار الكيا كلها متشابهة ما عدا بعض فروق صغيرة .

مناظرات الكيا

كانت المناظرات فى القرن الرابع وما بعده تعقد فىالمسائل الفقهية الخلافية التي كانتبينالمذاهب ، ذلك أن الجرأة على الاجتهاد والاستقلال بالبحث واعلان الآراء المخالفة لائمة المذاهب – صار غير مقبول الى حد ما . ولم تكن هناك الجرأة الادبية التي تدفع بصاحبها الى هذا المقام ، حتى كبار العلماء – لم يحاولوا الاجتهاد المطلق مع توفر الامكانيات لديهم ، بل اكتفوا بالتصريح بمتابعتهم لأحد الائمة وان استقلوا احيانا بالبحث والموازنة ، لهذا نرى المناظرات بعد ان كانت تخوض فى موضوعات شتى كالعقائد وعلم الكلام ، أو المناقشة بين المجتهدين فى المسائل الاجتهادية ، صارت فى القرن الرابع وما تلاه تكاد تنحصر فى دائرة الفروع الفقهية وبين انصار المذاهب الذين تحزبوا لمذاهبهم وهبوا للدفاع عنها .

واكثر ما نجد هذه المناظرات بين الاحناف والشافعية ، حيثكانتالمنافسة علىاشدها ، وقد سجل ابن خلكان (١) جانبا من هذا النقاش عند ترجمته للكيا فقال : « وحضر دفنه الشيخ ابو الطالب الزينبي وقاضي القضاة ابو الحسن بن الدامغاني ، وكانا من مقدمي الحنفية وكان بينه وبينهما فى حال الحياة منافسة وتنافر ... »

وقد سجل السبكي (٢) للكيا مناظراته كما سجل وصفا له وهو يناظر فقال : « وكانت فى الكيا

---

١ – مجلة الرسالة القاهرية مجلد ١٥ ص ٤٨١ .
٣ – وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٤٨ .
٥ – الشذرات لابن العماد ج ٤ ص ٨
٧ – وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٥٢
٢ – مجلة الرسالة القاهرية مجلد ١٥ ص ٤٨١ .
٤ – يلاحظ كذب المفترى ص ٢٨٨
٦ – طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٥٥ .
٨ – طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٨٢ .

لطافة عند مناظرته ربما ناظر بعض علماء العراق فأنشـد :

ارفق بعبدك ان فيه يبوسـة
جبليـة ولـك العـراق وماؤه

فتاوى الكيا

يتقل بعض الذين ترجموا للكيا نتفا من فتاواه . ومن هؤلاء ابن خلكان الذى نقل اجابة الكيا عـن سؤال فى ايقاف شخص كتبه هل تدخـل كتب الحديث ام لا ؟

كما ينقل فتواه حول يزيد بن معاوية وهل هو مسلم ام غير مسلم ، وبعد أن ينقل رأى الكيا يذكر رد الامام الغزالي عليه . (فمن يرغب فى الاطلاع على ذلك فليراجع وفيات الاعيان ج ٢ ص ٤٤٨ ــ ٤٥٢) .

مؤلفات الكيا

ذكر السبكي بعد ترجمة الكيا اسماء الـكتب التي ألفها وهي :

١ : شفاء المسترشدين ــ ووصفه بأنه اجـود كتب الخلافيات (طبقات الشافعية ج ٤ ص٢٨٢).

٢ : نقد كتاب مفردات الامام احمد (المرجـع السابق) .

٣ : كتاب فى اصول الفقه ــ ثم زاد على ذلـك بقوله ((وغير ذلك)) (المصدر السابق) .

وقد سمى كحاله الكتاب الأخير باسم ((التعليق فى اصول الفقه)) (معجم المؤلفين لكحاله ج ٧ ص ٢٧٠) .

اما حاجي خليفة فقد ذكر من كتب الكيا أ ــ التعليق فى اصول الفقه ب ــ شفاء المسترشدين جـ ــ لوامع الدلائل فى زوايا المسائل (يلاحـظ كشف الظنون على التوالي ج ١ ص ٢٢٣ ، ج ٢ ص ١٠٥٦ ، ج ٢ ص ١٥٦٩) .

وزاد البغدادى كتابا آخر وهو أهم كتب الكيا ((احكام القرآن)) (يلاحظ هدية العارفين جـ ١ ص ٦٩٤) .

كتاب احكام القرآن

هو نوع من التفسير المذهبي عرف بعد تحزب اصحاب المذاهب لمذاهبهم ، فراحوا يفسرون آيات الاحكام وفقا لقواعد المذهب مع محاولة تأييد وجهة نظرهم جهد الامكان ، ويذكر حاجي خليفة ان الامام الشافعي كان أول من سبق الى هذا التفسير ، وقيمة ((احكام القرآن)) متأتية من ناحية كونه يبرز النظرة الشافعية للأحكام ، ومحاولة فهم الآيات من خلال هذه النظرة ، وان كان هذا النوع من التفسير غير محمود لأنه يفرض على صاحبه نظرة مسبقة فهو يحاول أن يستشهد بالقرآن على سلامة نهجه ونهج امامه ، بنظريات مثبتة لا أن يحاول فهم القرآن مستقلا عن هذه الآراء ، فالقرآن حجة على هذه الآراء وأصحابها لا محجوجا ، وهو متبوع لا تابع ، وهذا المنهج هو الأسـلم ــ كما اعتقد ــ والأبعد عن الشطط والتعسف وغرابة التأويل .

ومع كل ذلك فان قيمة الكتاب تتأتي من النظرة المذهبية لآيات الأحكام ، وكيفية فهمها والتزام قواعد المذهب فيها دائما . وتوجد نسخة خطية جيدة فى مكتبة الأوقاف ببغداد .

وفى الختام

لا ندرى هل استفاد الكيا من شركته للغزالي فى الدرس على امام الحرمين ام ان شهرة الغزالي غمرته ودفعته بعيدا عما يستحق من الصدارة فى العلم والاهتمام ؟ ؟ وهل هناك توافق فى المنهـج بين الغزالي وشريكه ام هما مستقلان منهجا ؟ ؟

لقد بقي الكيا الى اليوم مغمورا مجهولا وقـد سمعت أن كتابه ((احكام القرآن)) فى طريقـه الى الطبع فعسى أن يتحقق ذلك فينصف الرجل بعد اهمال طويل .

كيا آخر

خلال مطالعتي لكتاب طبقات الشافعية وجدت شخصا آخر يحمل لقب ((الكيا)) وهو ((علي بن ابي الحسن بن أبي هاشم بن محمد الاملي الطبرى ثم الجرجاني ــ المعروف بالكيا من اهل جرجـان تفقه على عمر السلطان وتوفي بقرية (بشـق) ليلة الجمعة الحادى والعشرين من جمادى الاولى سنة احدى وستين وخمسمائة ذكره ابـن أبي باطيش)) (طبقات الشافعية للسبكي ج ٤ ص ٢٨٤) .

بقية ـ فروسية العرب

صدر الاسلام تخرجت من مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام ، وعملت بتعاليمه ، فأرتنا نتاج مدرسته ، فحق لابناء امثال هذه المرأة ان يحكموا العالم ويثلوا العروش الطاغية ، وينالوا المجد المؤثل ما داموا درجوا من بطون تلك الامهات .

آداب الحرب فى الاسلام

ولقد كان من آداب الحرب والفروسية عند العرب وفى الاسلام ان وجههم الى الافراج عن الاسير فى حالات كثيرة : منها المبادلة والفداء ، كما جعل الاسلام تعليم اطفال المسلمين وسيلة لتحرير الاسير ، وحبب الى الناس اكرام الاسير بشتى الوسائل ، فعدّ القائمين بذلك فى زمرة الابرار ، وذلك بالآيات الكريمة (١) « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا . عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا . يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا . ويطعمون الطعام على حبهمسكيناويتيما وأسيرا »(٢) ، مسلما كان او غير مسلم او مشركا فأن اطعام المشرك مما يتقرب به الى الله تعالى(٣) ، كما انكر الاسلام قتل الرهبان وان قاتلوا ، وانكر قتل النساء والاولاد ولو احتمى بهم العدو وغير ذلك من مبادىء فروسية العرب فى الاسلام ، مبادىالرسول وخلفائه فى غزواتهم التى ما زالت كلماتهم ابلغ ما يمكن ان يقال فى هذا الميدان البطولي ، اذ عممت الرحمة الى الانسان والنبات والحيوان ، ان توصياتهم لقوادهم كلمات خالدة يجب انيهتز لها رجال السلام ، وهل من قول فى حرب ينم عن الرحمة والفروسية ابلغ من قول الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفائه من بعده حين تعقد الالوية على امراء الجيوش : لا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، وتوقوا قتلهم اذا التقى الزحفان وعند حمة النهضات وفى شن الغارات ، ولا تعقروا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ، ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله ، وسوف تمرون باقوام قد فرغوا انفسهم فىالصوامع فدعوهم وما فرغوا انفسهم له ، نزهوا الجهاد عن غرض الدنيا ، اندفعوا باسم الله ، وامضوا بتأييد الله بالنصر ، وبلزوم الحق والصبر ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين .

ومن ذلك قول الرسول عليه الصلاة والسلام : لا تقتلوا عسيفا ولا اسيفا . أى : لا تقتلوا الشيخ ولا الاسير ، وفى حديث علي رضي الله عنه : لا يتبعمدبر ، ولا يقتل اسير ، ولا يذفف على جريح ، وقد قال احدهم مشيدا ، بفروسية عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خليفة الاسلام الثانى وكأنه يخاطبه :

وقفت أمام الجيش ترفد أسه
وتضرم فى تلك العواطف خابيا
تقول لهم : لا تحملوا غير زادكم
ولا تفسدوا عذبا من الماء جاريا
ولا تهلكوا زرعا ولا تهتكوا حمى
ولا تستبيحوا نسوة أو ذراريا
ولا تحرقوا باللائذين كنائسا
ولا تهدموا باللاجئين مغانيا
ولا ترهقوا الاسرى فرب محارب
الى الحرب يسعى مكرها لا معاديا

تلك هى صور وألوان من فروسية العرب الشجعان سطرت نبذا منها فى هذه المجلة الراقية شاكرا القائمين عليها دعوتي الى الاسهام بها والسلام

---

١ ــ سورة الانسان آيات ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ .

٢ ــ وقد خصّ الثلاثة لأنهم من أهم من تجدر الصدقة عليهم فان المسكين عاجز عن الاكتساب لما يكفيه ، واليتيم ماتمن يعوله ويكتسب له، مع نهاية عجزه بصغره ، والاسير لا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة .

٣ ــ تفسير القاسمي ج ١٧ ص ٦٠١٢ قال فى الاكليل : والآية تدل على ان اطعام المشرك مما يتقرب به الى الله تعالى لقوله سبحانه « انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ، ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة » .



تمهيد

هـل للاسلام علاقة مباشرة مع الطبيب ؟ وهل وضع للطبيب آدابا وسـلوكا معينا ؟ .. وما مسؤولية الطبيب امام الله ؟ ..

نعم لم يغفل الاسلام ناحية صغيرة او كبـيرة فى حياة الانسـان دون ان يحيطها برعايته ، فيضع لها أسسا عامة أو قواعد تفصيلية ..

هذا الطبيب الذى تخرج اليوم بعد ان قضى اعوامـا مرهقـة فى احدى كليات الطب .. يستقبل المريض وقد منح الحق فى فحصه ومعالجته ووقايته من المرض .. ويقف امام الناس وجها لوجه يعمل ويقدم لهم خدماته .. كيف يسلك ؟ وأى وجهة هو موليها ؟ ..

طبيبنا المسلم يقرأ علومه فى كليات الغرب ، او كليات أسست على قواعد غربية .. وهو يتعلم شيئا فى السلوك الطبي .. ولا بد انه قد قرأ قبلا أصول معاملة النـاس فى دروسه فى المدارس قبل كلية الطب .. ولعل بعض هؤلاء الاطباء قد طالع شـيئا من كتب الاجتماع والفلسفة وكتب الاخلاق ، فامامه عديد من النظريات ، لمجموعات مـن الشخصيات ... أى واحد معه الحق ؟.. وأية هذه الآراء الصائبة ؟ .

وما هي غاية الطبيب من عمله ؟ أهي جمع المال ؟ أم أرضاء الضمير ؟ ام أرضاء للناس ؟ أم أداء لواجبات المهنة وادابها فحسب ؟ .

انا لا أناقش هذه الاراء الفلسفية ومـدى صلاحيتها للطبيب أو لغيره ، بل لا أرى أن مجرد الاعتماد على ما يسمى بالضمير يصلح ان يـكون طريقا صحيحا لسلوك البشر ، فالضمير كما قال عنه احد الفلاسفة (انه لا يولد مع الشخص انما يكتسب بالخبـرة والعقيدة والاعراف والتقاليد للمجموعة التي يكون الشخص احد افرادها (١)) وفى رأى آخـر (ان الضـمير ما هو الا عـادة لطيفة (٢)) ..

---

(1) Overolser Hand book of Psychiatry.

(2) Siddiqi After Sccularism W0at.



اذاً لينظر الطبيب المسلم فيرى ماذا أعد له الاسلام ، أو أى نور يقدمه الله عز وجل يضيء له الطريق ! ..

واني احاول بما ساكتب ان ابين ما استطعت قبسات من هذا النور ، وأتوخى اعلام الطبيب ان دينه (الاسلام) قد جاء بهدى ينقذه من كل ضلاله ، فاذا ما عمل بما قرأ وسمع ، صارت له شخصية مستقلة هي شخصية الطبيب المسلم الذى لا يقدم على خطوة الا ظهر للناس ان هذا من عمل المسلمين ، اى ان يكون الطبيب اسلاما متحركا حيا بين الناس ، وسيرى عاقبة ذلك خيرا كثيرا .. هذا الخير الذى اكرمني الله به خلال اكثر من عشرين عاما منذ ان كنت طبيبا احب ان ينال اى أخ لي او أى طبيب يتبع هذا النور ، فيحيا الحياة الطيبة فى هذه الدنيا وتكون له خالصة يوم القيامة .

من هو الطبيب

الطبيب هو ذلك الشخص الذى يمنح شهادة من احدى كليات الطب تؤهله ان يتحمل مسؤولية معالجة وفحص المريض ووقايته .

ولعل ابيو قراط (١) من السابقين الاولين فى وصف الطبيب حيث وضع له سبع صفات خلقية (٢) .

وتعني كلمة الطب عند العرب الاصلاح .

قال الشاعر :

واذا تغير من تميم امرها
كنت الطبيب لها برأى ثاقب

وتعني كذلك الحذق .. قال الشاعر :

فان تسألوني بالنساء فانني
خبير بادواء النساء طبيب

وورد الطب بمعنى السحر يقال رجل مطبوب أى مسحور .

قال ابن الاسلت :

الا من مبلغ حسان عني
أسحر كان طبك ام جنون

وسمي الطبيب حكيما ، والحكيم هو الذى يضع الشيء في محله « ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا » .

وأول من علم الطب للناس من غير اولاده هو ابيو قراط من حكماء اليونان القدماء ، اذ كان تعلم الطب مقصورا على اولاد الطبيب فقط وذريته . وربما كان فردريك الثاني اول امبراطور فى اوروبا وضع قانونا يلزم كل من يتعاطى مهنة الطب ان يأخذ دروسا معينة وذلك سنة ١٢٢٤ ميلادية(٣) ، ولعل أول من أسس مدرسة للطب هو الملك روجرز من صقليا(٤) ،بينما كانت الامبراطورية

(١) ابيوقراط Hippocrates اول طبيب يوناني قام بتدريس مهنة الطب وسمي بابي الطب وله قسم مشهور لا يزال متبعا فى معظم جامعات العالم .
(٢) من اراد المفصل عن هذه الصفات فليراجع (عيون الانباء فى طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعه) وكتاب الطب عند العرب (أمين اسعد خير الله) .
(٣) Hadfield law & Eihics for Doctors
(٤) Kineth Walker Patients & Doctors

الاسلامية قد سبقت اوروبا بقرون فى تأسيس مدارس الطب .

الطبيب والناس

١ : القاعدة العامة :

للطبيب علاقة مع الناس بصورة عامة ، ومع المرضى الذين هم قسم من الناس ، وكذلك له علاقة مباشرة مع زملائه الاطباء وغيرهم من ذوى المهن الطبية كالصيادلة والموظفين الصحيين والمرضات .. الخ . وقد وضعت النقابات الطبية قواعد عامة فى سلوك الطبيب ولست بصدد ذكرها وبحثها ، وانما اقول ان الاسلام قد جعل قاعدة عامة فى هذا السلوك وهي انه يقبل أى ارشاد او اوامر تصدرها النقابات للاطباء ان كانت مستمدة من الشريعة الاسلامية او لا تتعارض مع نص من نصوصها معارضة صريحة او مع روح الشريعة ... وارى ان الواجب على الطبيب المسلم ان يعلم القواعد العامة للنظام الخلقي فى الاسلام وكذلك يتعرف على تفصيل للاسس التي وضعها الله تبارك وتعالى بالنسبة الى مهنته ، فعليه ان يسأل اهل الذكر ان لم يكن يعلم ، واى دولة تدعى أنها مسلمة مطلوب منها تدريس هذه القواعد الكلية فى مدارسها الطبية وذلك لبناء مجتمع يتميز فيه الفرد بانسانيته المسلمة، الانسانية التيتنقاد الى امر الله، وتسلم له من دون اقل حرج : كمال قال عز وجل (ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) . وكذلك يقبل اى تعليمات فى سلوك الطبيب جاءت عن طريق العرف او العادة او التقاليد ما لم تكن متعارضة بصورة واضحة مع اصول الشريعة الاسلامية .

٢ : الطبيب صاحب مهنة :

فالطب حرفة وعلم وفن ، فهو حرفة لانه يعمل بيديه وهو علم يدرسه فى كلية خاصة ، وهو فن يكتسبه الطبيب بالتجربة وعلى مر الاعوام ... والاسلام الذى يكرم صاحب المهنة ويجعل كسبه من افضل الكسب (١) يطلب من الطبيب ان يؤدى حق المهنة باتقانها (٢) وبكسب حلال حتى يتم له الفضل فالاسلام يريد من الطبيب ان يخدم مهنته كفاية ويسعى لرقيها وتطورها .. لا لأجل الحصول على المال فقط ...

ولأجل ان يؤدى حق المهنة على الطبيب ان يهيء العدة لذلك ، فهذه عيادته يجب ان تحتوى على كل الالات والوسائل اللازمة لفحص ومعالجة المريض على الوجه الاكمل ، والا فاهماله مخالفة للاسلام .. كما انه ملزم بتهيئة ما يؤمن راحة المريض .. ولا يجوز أن يكون فى عيادة الطبيب المسلم صور خليعة او غير لائقة يملأ الطبيب فيها جدران عيادته .. او يكون فيها من المجلات او الجرائد او الكتب المبتذلة التي تنشر الفساد او تثير الغريزة الجنسية .. ولا بأس أن يكون فيغرف الانتظار من الكتب والمجلات ما تفيد المراجع فائدة علمية أو خلقية أو طبية ، كما اني لا أرى صوابا وضع الايات القرآنية او الاحاديث النبوية فى اطارات واماكن بارزة فى العيادة غشا من الطبيب اى خداعا للمريض او حسب اعتقاده تبركا وتفاؤلا فانما نزل القرآن ليعمل به لا لتزخرف آياته فى اطارات ذهبية او فضية ... ويجب ان تكون غرفة الانتظار للنساء منفصلة عن الرجال فان الاسلام لا يقبل اختلاط الرجال بالنساء من غير ضرورة شرعية .

٣ : الطبيب والمريض :

هذا المريض او اى مراجع امام الطبيب فى عيادته ... يجب على الطبيب المسلم ان يتبع احدث الوسائل فى فحصه .. هذا من الناحية المادية ، وما ضره أن يقول فى سره او جهره (باسم الله) عند الفحص او عند اجراء العملية أو التداوى ، وبذلك يحصل على القوة المعنوية ، القوة الروحية مع المادية ، تلك القوة التي تكون له نعم العون فى الشدائد ووقت الحيرة ..

---

(١) عن المقداد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (ما كسب احد طعاما قط خير من ان ياكل من عمل يده وان نبي الله داود عليه السلام كان ياكل من عمل يده) اخرجه البخارى .

(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه) اخرجه البيهقي فى شعب الايمان .

فليستعن بالله وليسأل الله لطفه وعونه وليدع لمريضه بالشفاء ، وليدع الله ان يشرح صدره ويعينه فى فحصه وعلاجه وتشخيص مرضه (١) .

اخي الطبيب .. استقبل مريضك بوجه طلق باسم ، قد يكون ذلك مما تتعلمه من خبرتك وتجاربك ، مهلا انه امر اسلامي نطق به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فهو لك عبادة وهو مندوب بل واجب يعتبر عند الله صدقة لك ، والصدقة تطفىء غضب الرب (٢) كما قال عليه الصلاة والسلام .

واذا كان الاسلام قد سمح للمريض ان يكشف من جسمه ما يعين الطبيب على معرفة الداء فان ذلك لا يخرج الطبيب من القواعد الاخلاقية العامة فى غض البصر وعدم رؤية العورة ولذلك لا يجوز مطلقا ان يرى او يلمس الطبيب من جسم مريضه اذا كان امرأة اى عضو وجزء الا لضرورة الفحص والعلاج فقط .

وفى هذا العصر اصبحت الالة شيئا مهما فى تشخيص المرض كالاشعة واجهزة التحليل واجهزة فحص القلب ... وغير ذلك .. وقد يلجأ كثير من الاخوان الاطباء الى هذه الوسائل ، وهذا صحيح ولكن الذى ارجوه ان لا يكون الاعتماد على الماكينة كليا وعلى حساب الحواس .. لقد اعطانا الله هذه الحواس لنفحص بها المرضى ونستعين اولا بما يتيسر من الآلات الصغيرة فى العيادة كالسماعة مثلا ومقياس الحرارة .. ومن بعد نلجأ الى الاشعة والتحليلات المرضية .. والا فاهمال هذه الحواس كفران بنعمة الله علينا ، عدا ما يصيب المريض من عنت وتعب فى اجراء فحوصات لا ضرورة لها .. اضافة الى ضياع المال وضياع الوقت حيث يكون الطبيب المسلم مسؤولا امام الله عن هذا الضياع وقد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك(٣) ، أما أن يتعمد الطبيب ذلك لقاء عمولة او محاباة لصديق لهصاحب اشعة أو محلل ، فان ذلك يعتبر فى نظر الاسلام خيانة للعهد الذى بين المريض وطبيبه وغشا له (٤) .

واذا زرت المريض فى بيته فما ضرك لو سألت الله العون فدعوت فى سرك (اللهم اني أسألك خير المولج وخير المخرج) او قلت (اللهم ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) ان فى ذلك قوة روحية عظيمة تعينك فى كل عمل لك ..

اخي الطبيب وانت تفحص مريضك فلا تنظر عيناك هنا وهناك الى النساء او الى المتاع والاثاث او اى شيء آخر مما لا علاقة له بمهنتك .. صحيح انك قد تحتاج ان تنظر نظرة عامة الى البيت لتقرر ما تراه فى معالجة المريض مثلا هل تنقله الى المستشفى لعدم صلاحية داره ، كما اني اذكرك ان لا تخوض بحديث لا ينفعك فىالمعالجة او يفيد المريض او ذويه من الناحية الطبية او الاجتماعية (٥) .

---

(١) ارجو الا يظن القارىء الكريم انني ادعو الى التداوى الروحي فقط ، فهذا قد يكون له بعض الفائدة فى حالات معينة نفسية ولكنه ليس القاعدة ، بل ان الاصل هو ادماج القوة المادية والمعنوية فى التداوى حيث قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كما رواه اسامه بن شريك (يا عباد الله تداووا فان الله ما انزل من داء الا وانزل معه الدواء الا الهرم) أخرجه مسلم .. واما حديث (سبعون الفا من امتي يدخلون الجنة بغير حساب الذين لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون) والذى اخرجه البخارى فاني اراه مؤكدا وجوب التداوى وعدم التواكل على القضايا الروحية فقط بل يجب التوكل على الله وذلك باتباع سننه وهو التداوى ..

(٢) عن حديث اخرجه الترمذى . عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (يصبح على كل سلامي من بني آدم صدقه) اخرجه البخارى .

(٢) عن حديث اخرجه الترمذى . عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (يصبح على كل وواد البنات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال) اخرجه الشيخان .

(٤)عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (من غشنا فليس منا) اخرجه الطبراني فى الاوسط.

(٥) عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه) اخرجه الترمذي .

وفى كلامك وسؤالك للمريض او ذويه تخير الكلمات اللائقة والمعبرة بصورة غير مباشرة خاصة مع النساء فتقول مثلا كيف العادة بدل الحيض.. هذا الادب الذى ادبنا الله عز وجل به فى القرآن الكريم وعلى لسان سيد الخلق مثل استعمال الملامسة والمباشرة كناية عن الجماع واستعمال الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم كلمة (تطهرى) .

وقد (كتب الله الاحسان على كل شيء (١) كما قال نبينا الاكرم ولذلك يجب على الطبيب الرفق بمريضه وعدم نقله الى محل آخر او تكليفه باشياء او طلب ذلك من ذويه ما لم يكن فى ذلك ضرورة قصوى .

واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد علمنا أدب عيادة المريض اذ هي مطلوبة من العائد فان ذلك مطلوب من الطبيب ايضا الذى هو عائد لمريضه وذلك عند تيسر الظرف المناسب لادائه .. كان النبي الأعظم حين يزور المريض يجلس بجانبه ويضع يده الشريفة على رأس المريض ويقرأ المعوذتين ثم يدعو له (٢) ويقول (اللهم رب الناس أذهب البأس اشف فانت الشافى لا شفاء الا شفاؤك شفاء لا يغادر سقما) (٣) وكان عليه السلام يشجع المريض ويصابره ويقول له كيف ان الصبر على المرض فيه أجر عظيم وكفارة للذنوب (٤) بل ان الصبر على مرض لا يرجى شفاؤه ثوابه الجنة (٥) .

وعلى كل فان أقل ما يطلب من الطبيب هو التشجيع والتنفيس عن المريض (٦) وان يكون متفائلا ولو كان مخطئا خير من ان يكون متشائما الا فى حالات ضرورية تستدعي اخبار اهل المريض عن المرض ليكونوا على بينة من امرهم .

وفى العلاج على الطبيب المسلم ان يتحرى اعطاء أقل ما يمكن من الادوية اذ ان الزيادة عدا كونها مضرة بالجسم فهي اسراف وتبذير ، وضياع للمال يكون الطبيب مسؤولا عنه أمام الله ، وعليه أن يختار العلاج الذى فيه أقل عنت او اذى فمثلا يفضل الحبوب على الابر ان كان ذلك موافقا للمعالجة الصحية .

وبالنظر لوجود طبيبات وممرضات فارى ان لا يجوز معالجة الرجل للمرأة عند وجود طبيبة بمثل كفاءته تماما وقد نالت ثقة المُريضة .. اما عند وجود الطبيبة التي هي أقل من الرجل كفاءة فى معالجة هذا المرض فيجب على المريضة مراجعة الطبيب .. وقد ورد بذلك حديث شريف سنأتي على ذكره وبيانه فى موضوع مسؤولية الطبيب الجنائية ..

وكذلك اذكر القارىء الكريم ان الاسلام قد اجاز للمرأة فحص الرجل المريض ومعالجته فعن أم عطيه قالت (غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات اخلفهم فى رحالهم واصنع لهم الطعام واجيز على الجرحى واداوى المرضى) .. اخرجه مسلم ..

---

(١) من حديث اخرجه الشيخان عن شداد بن أوس .

(٢) اخرج هذا الحديث مسلم عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) اخرج هذا الحديث الشيخان . واحمد .

(٤) ما من مسلم يصيبه نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه) اخرجه الشيخان .

(٥) عن عطاء بن ابي رباح قال قال لي ابن عباس الا اريك امرأة من اهل الجنة قلت بلى قال هذه المرأة السوداء اتت النبي فقالت يا رسول اني اصرع واني اتكشف فادع الله فقال ان شئت صبرت ولك الجنة ... فقالت اصبر) اخرجه الشيخان .

(٦) قال صلى الله عليه وسلم (اذا دخلتم على المريض فنفسوا له من اجله فان ذلك لا يرد شيئا ويطيب بنفسه) اخرجه الترمذى .

الفجر الأخضر

للشاعر عبده بدوى

أورق الفجر واستدارت عليه قطرات رضيعة من ضياء
أيها الفجر قد نظمت نشيدا من خلود في القبة الزرقاء
وبهرت العيون في كل أرض فاستراحتْ على جبين السماء
قد رآك الراعى فصفّق للخصب وللدفء في القرى الخرساء
ورآك الفلاح أغمار قمح ذهبى ... متوج بالحياء
ورآك الفقير في بيته الخبز وهمسًا من شمعة شقراء
ورآك اليتيم من سجف الدَّ مع حنانا ، وجنة من عطاء
ذلك الفجر قد تدلّى على صَدْ ر الدياجى من كرمة الأنبياء
فاستفاق الوجود ! واخضرت الر وح ! ودبَّ الحنين في الصحراء

★★★

علم الناس كيف عاشوا كرامًا فالوجوه السمراء كالبيضاء
ورعى الخلق في حنان رطيب فاق فيه رعاية الآباء
.. أيها الشرقُ كم طلعت على الدنيا بنور معطر ، وإخاء
أنت أهديت للوجود منارًا فتباهى ، وعشت في الظلماء
قد ضللت الطريق للنبع حينا فتلفت لعله في الوراء
إن أردت السلام يمشى على الأرض بزيتون أخضر ، ونماء
فاذا ما شدا مع الصبح قلب غردَّ النور في ضمير المساء
وإذا ما جاعتْ يد ليتيم ملأتها الأشجار بالانحناء
.. فاقبس الهَدْيَ من هتاف منير يتعالى من مآذن بيضاء
ينبع الخير في حنان وديع من وجوه شرقية سمراء
ذلك الدين رقّق الناس حتى لتراهم من التقى في بكاء
لكأنى أحس من كل صوب بوجوه مَكيَّة غراء
حملت رهبة التقى في الدياجى فهى لونُ السكينة السمحاء
... انى سامعٌ صليلَ قلوب يغمر الأفقَ عند غارِ حراء
أأرانى أرى على كل أرض عودة للنبى تحت اللواء

اعرف وطنك ٢

الاسلام في عالم الملايو

للدكتور محمد عبد الرءوف
وكيل ادارة البعوث الاسلامية بالازهر

تحدثنا فى المقال الماضي عن العلاقات بين عالم الملايو وشبه الجزيرة العربية قبل الاسلام ، وتبين لنا كيف كانت هذه العلاقات ـ تجارية وثقافية ـ وسيلة لتعرف عالم الملايو على الاسلام منذ انتشر فى البلاد العربية ، ولكنه مع ذلك لم ينتشر ببلاد الملايو انتشارا محسوسا ابان القرون السبعة الاولى من الهجرة ، وان كان قد اعتنقه أفراد متفرقون فى الارخبيل هنا وهناك .

وقد كانت هذه الحقبة الطويلة من التاريخ بمثابة فترة أعداد وتمهيد لانتشار الاسلام السريع بين الملايويين فيما بعد ، فقد طال اختلاطهم بالقادمين عليهم من تجار المسلمين ، وتكررت مشاهداتهم لاقامة الشعائر الاسلامية ، واستماعهم للادعية والاذكار الدينية ، وبطول العهد أصبحوا يألفونها ، ولا يزهدونها ، ويأنسون اليها ولاينفرون منها ، وقد شجع على ذلك ما أشرنا اليه من قبل من نشاط الصوفية وكبار المرشدين ، وما أذيع بين الخاصة والعامة عن كراماتهم وعجائبهم ، ثم ما كان يتمتع به المسلمون من نجاح فى تجارتهم ، وتفوقهم فى الذكاء وفى مستوى المعيشة ، فلما تيسرت الأسباب وتوافرت العوامل فى نهاية القرن السابع الهجرى لانتشار الاسلام بالجملة ـ ان صح هذا التعبير ـ بادر الناس بالدخول فى الاسلام أفواجا عن رغبة واقتناع وحماس ، وطرحوا الوثنية الى غير رجعة ، وآمنوا عن فهم وادراك ووعي ، لا عن اكراه وقسر ولا عن جبر واضطرار ، وأصبح الاسلام هديهم فى حياتهم ، وسادت تعاليمه بينهم فى سهولة ويسر ، وأضحى مميزا من مميزاتهم ، وخاصة من خصائصهم .

كان من أهم تلك الأحداث التي كانت بمثابة عوامل مباشرة أدت الى هذا الفتح السلمي الكبير للاسلام فى الشرق ـ هجرة الكثيرين من المسلمين الى البلاد النائية ، ومنها جزر الارخبيل الملايوى ، فرارا من ويلات الحروب التي شنتها على دولة الاسلام قبائل المغول ، والتي قضت على الخلافة العباسية فى بغداد عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨) م ، وقد أدت هذه الهجرة واقامة الكثير من المهاجرين المسلمين ببعض الجهات الساحلية هناك بصفة دائمة يزاولون اعمال التجارة ـ الى جانب نشاطهم الديني باماكن العبادة التي بنوها لانفسهم وسموها بالزوايا أدت الى خلق جو اسلامي فعال تضاعفت فيه جهود الدعاة ، وخاصة من بين رجال الطرق الصوفية .

أسلام سلطان برلاك

وقد توجت جهودهم باسلام حاكم ولاية صغيرة بشمال سومطرة كانت تعرف باسم « برلاك » Perlak وعند اسلام هذا الحاكم اطلق على نفسه لقب « السلطان » ذلك اللقب الاسلامي « الذى اختاره من قبل الامراء الغزنويون فى افغانستان وامراء الهند فى دلهي ، وقد تلا اسلام هذا الحاكم اسلام رعيته لأن الناس ـ كما يقال ـ على دين ملوكهم .

نشرنا المقال الاول فى العدد الاول من مجلة الوعي الاسلامي

كان انتشار الاسلام فى ولاية « برلاك » قبيل نهاية القرن السـابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) حيث سجل ماركو بولو Marco Polo الملاح الايطالي الشهير فى مذكراته عن رحلاته فى تلك الاصقاع عام ١٢٩٢ م (٦٩١ هـ) انه وجد ولايـة « برلاك » تدين بدين محمد وحدها دون ما حولها من ممالك ودويلات ، ويعتبر اسلام حاكم هـذه الولاية بحـق حجر الزاويـة فى انتشار الاسلام السريع، وقيام سلطنات اسلامية كثيرة أخرى فى شتى أنحاء الارخبيل وبداية عصر اسلامي زاهر بالبلاد ، علا فيه شأن الاسلام والمسلمين ، وساد سلطانهم ، وعزت فيه كلمتهم ، وراجت فيه تجارتهم ، كمـا قامت فى أثنائه حركة علمية اسلامية ممتازة .

اسلام حكام الولايات

فلما اسلم حاكم برلاك عمل على اسلام جيرانـه من الحكام ، ونجحت جهوده لدى حاكـم ولايـة « ساموديا » Samudra الذى كان يسمى باسم هندوكى هو « مره سيلو Morah Silu » فلما اسلم صاهو سلطان برلاك وتسمى باسـم « الملك الصالح » وقد توفى الملك الصالح هذا عام ١٢٩٧ م فخلفه ابنه الملك الظاهر الذى زار قصره الرحالة الاسلامي الشهير ابن بطوطه عام ١٣٤٣ م وتحدث كثيرا عن تدين هذا السلطان ، وتفقهـه على مذهب الشافعية .

وبطريقة مماثلة اسلم حاكم ولاية « باساى » Pasai بسومطرة ايضا ، وتسمى حاليا باسم « اتشه Achah » فنجحت جهـوده بدوره فى اسلام حاكم « ملقا » الواقعة على الساحل الغربي بشبه جزيرة الملايو حوالي عـام ١٤١٠ م وكان الاسـم الهندوكى لهذا الحاكـم « ماهارسوار Mahareswara » فلما اسلم تسمى باسم السلطان مجات اسكندر شاه « واسس مملكة عظيمة قوية تتابع السلاطين على عرشها مـن اسرة الاسكندر شاه ، وأخذ السلاطين على عاتقهم بث الدعـوة الاسلامية بالطرق السلمية على يـد الدعـاة والمرشدين .

ومن قبل دخول ملقا فى الاسلام كانت للاسلام دولة فى شرق شبه جزيرة الملايو يشهد لذلك حجر عثر عليه اخيرا منقوش عليه تعليمات اسـلامية رسمية يرجع تاريخها الى القرن الرابـع عشر الميلادي .

ملقا بغداد الأرخبيل

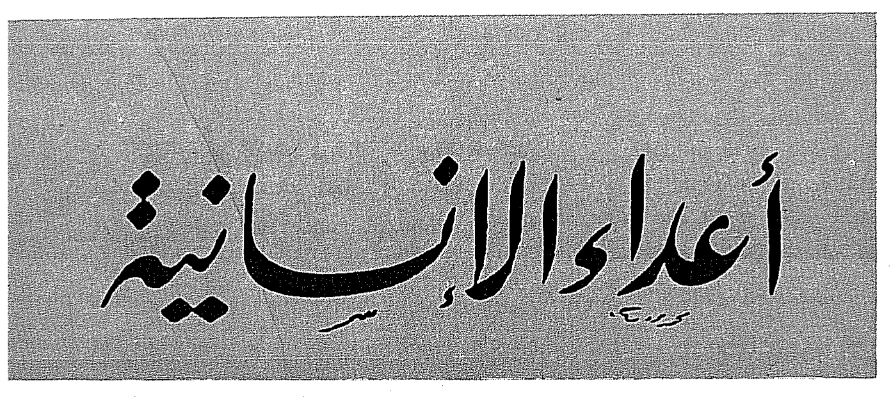
ومنذ اسلمت ملقا بدأت عهدا زاهرا مجيدا زهاء قرن من الزمان راجت فيه تجارتها الى أبعد مـدى ، وجلبت لها الخيرات مـن كل مكان ، واستمتع اهلها المسلمون بحياة تشبه فى رغدهـا ما كانت عليه بغداد ايام الرشيد ، غير ان ملقـا حملت راية الاسلام ، فبعثت بالدعاة والمرشدين مع سفنها أينما ذهبت فأدت جهودهـا الى نشر الاسـلام فى كثير مـن سـائر بقـاع الملايـو وسومطره وجاوه وبورنيو وسيليبيز وغيرها وبذا اصبحت لملقـا امبراطورية اسـلامية عظيمـة فى الشرق يهابها جيرانها وارتبطت بصلات وديـة مع امبراطور الصين ، فكان لهذه الصلات اثـر طيب فى حماية حدود الامبراطورية شمال شـبه جزيرة الملايو ضد تحرشات سيام (تايلاند) التي كانت كثيرا ما تحاول مناواة ملقا ، وتخشى عاقبة اتساع نفوذها .

هذا ولم تلق الدعوة الاسلامية مقاومة مسلحة فى الارخبيل الملايوى كله الا من قبل امبراطورية « ماجاباهيت Maja Pahit » الهندوكيـة بجاوة ، وقد كان يتبعها عدد من الامارات فى جاوه وبورنيو ، وقد حدث أن أسلم أمراء هذه الدويلات التابعة لماجاباهيت على أيدى الدعاة ، ثـم نشأت خصومات سياسية بين هؤلاء الامراء والامبراطور الهندوكى أدت الى تضافر هؤلاء الحكام ضـده ، وقامت معارك دموية انتهت فى عام ١٤٧٨ م بهزيمة ماجاباهيت ، وبـذا تحطـم اكبر معقل للوثنية فى الارخبيل .

دخول الاسلام فى الفلبين

وكان من خيرة من أبلى بلاء حسنا من الدعاة فى الارخبيل « مخدوم ابراهيم الاكبر ابن جمال الدين

البقية على ص ٨٧



للاستاذ محمد محمد أبو شهبه

قال الحق تبارك وتعـــالى ((واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانـــه لغفـــور رحيم))(١) .

هذا اعلام من الله سبحانه صادق بأنه سيسلط على اليهود الى يوم القيامة من ينزل بهم اشنع العذاب واسوأه اذا ما ضلوا ، وفجروا ، وعاثوا فى الارض فسادا ، وذلك لان الله جلت حكمته سريع العقاب لمن عصاه ، وغفور رحيم لمن أطاعه وأناب اليه .

وكما كتب الله على اليهود تسليط الغير عليهم بسبب عصيانهم وافسادهم فى الارض ، كتب عليهم ان يفرقهم فى الارض بددا ، وان منهم الصالحين ، وكثير منهم الطالحون المفسدون ، وان الله سيبتليهم بالخصب والجدب ، والصحة والمرض ، والقوة والضعف ، والغنى والفقر ، لعلهم يرجعون عن غيهم وافسادهم ، وتطاولهم على الانبياء ، واسرافهم فى قتلهم والنيل منهم، قال عز شانه ((وقطعناهم فى الارض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيآت لعلهم يرجعون(٢))) .

وما ذكـــره القـــرآن الكريم على لسان نبينـــا الصادق الامي الذى لم يقـــرأ ولم يكتب ، ولم يعرف عنه انه أخذ عن احد من اهل الكتاب والعلم بالتواريخ شيئا ، هو الحق الذى ايده التاريخ الصحيح ، وشهدت به الوقائع الجارية ، فهم من قبل موسى عليه الصلاة والسلام والله يسلط عليهم بين الحين والحين من يقتص منهم ويسومهم سوء العذاب ، وقد نجاهم الله على يد موسى مما اصابهم من فرعون وقومه ، ولكنهم لم يشكروا هذه النعمة الجلى ، وغيرها ، وكفروا بالله ، وبما جاء به الانبياء والمرسلون ، وما كان ربك لليهود ظالما ، فسبحانه ثم سبحانه من ان يكـــون ذلك ((وما ربك بظلام للعبيد)) ولكنهم قوم مرنوا على سفك الدماء ، وانتهاك الاعراض ، واغتصـــاب الاموال ، والسعى فى الارض بشتى أنواع المفاسد، وهم ان قدروا ، أو ملكوا لا يراعون الاً ولا ذمة ، ولا يلتزمون بشريعة ، ولا يحترمون حقا ، ولا عرفا ، ولا خلقا كريما ، ويضربون بالمقررات والحقـــوق الانسانية عرض الحائط ، وان ضعفوا وذلوا كانوا اداة غدر وخيانة ، ودسائس ومؤامرات ، وعوامل تخريب وافساد وشر .

عصابة متمردة

وقد وصفهم نبى الله موسى عليـــه الســـلام فى التوراة بأنهم متمردون ، ورقابهم صلبة ، وقلوبهم قاسية ، واخبر انهم بعد موته سيكونون اشد تمردا وعصيانا ففي سفر التثنيـــة الاصحاح ٣١ فقرة ٢٤ ـ ٣٠ (٢٤) فعندما كمل موسى كتابة هـــذه التوراة فى كتاب الى تمامها (٢٥) امر موسى

(١) سورة الأعراف : ١٦٧ ـ وتأذن : أعلم .

(٢) سورة الاعراف : ١٦٨ .

اللاويين حاملي التابوت عهد الرب قائلا (٢٦) خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب عهد الرب اليكم ليكون هناك شاهدا عليكم (٢٧) لانى انا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة . هو ذا وانا بعد حي معكم، اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى (٢٨) اجمعوا الي كل شيوخ أسباطكم وعرفائكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات ، وأشهد عليهم السماء والارض (٢٩) لاني عارف انكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به ويصيبكم الشر فى آخر الأيام،لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال ايديكم (٣٠) فنطق موسى فى مسامع كل جماعة اسرائيل بكلمات هذا النشيد الى تمامه » .

وقد جاء القرآن الصادق المهيمن على الكتب السماوية السابقة بتصديق ذلك وأفاض فى ذكر مثالبهم ، وتعداد مساوئهم وتجرئهم وسفاههم على ربهم ، وعلى انبيائه ، وعلى الناس قاطبة ، فالله سبحانه حينما يسلط عليهم من يخزيهم ويذلهم انما يجازيهم بأفعالهم ، ويؤاخذهم بجرائمهم ، وصدق الله حيث يقول : « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض » (١) .

لقد سلط الله عليهم لما طغوا وتجبروا « بختنصر » البابلى فقتلهم ، وخرب ديارهم ، واسر الكثيرين منهم ، واذلهم حينا من الزمان ، ثم لما قووا ، وعلوا فى الارض ، واكثروا من الافساد وقتل الانبياء سلط الله عليهم ايضا من ملوك فارس والروم « كطيطوس » النصراني فأذل كبرياءهم ، واسام وجوههم وتبر ديارهم ، وعاشوا مستذلين حقبا من الزمان .

واليك قول الحق تبارك وتعالى فى هذا : « وقضينا الى بني اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا. ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علو تتبيرا . عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا »(٢) .

فتأمل معي فى قوله سبحانه « وان عدتم عدنا » يعنى ان عدتم الى المعاصى والافساد عدنا الى تسليطنا عليكم من يذلكم فى الدنيا ، هذا عدا ما ندخره لكم من عذاب أليم فى الآخرة .

الاعداء الالداء

هذه بعض جرائمهم(٣) ، وهذه بعض عقوبات الله لهم على يد عباد من عباده قبل مجيء خاتم الانبياء ، فلما جاء الاسلام ، وهاجر النبي عليه الصلاة والسلام الى المدينة أحسن اليهم، وأقرهم على دينهم ودنياهم ، ولكنهم قابلوا الاحسان بالاساءة ، والتسامح بالخديعة ، والعفو بمحاولة القتل ، وألبوا عليه الاعداء ، ونقضوا العهود وأرادوا غير مرة طعنه وأصحابه من الظهر ، وأسفوا اسفافا لا يرتضيه انسان فيه بقية من حياء أو خلق ، فما كان من الرسول والصحابة الا أن أذلوهم وهزموهم شر هزيمة ، وأجلوهم عن الارض الطيبة ـ أرض المدينة ـ الى خيبر وغيرها ، ثم لم يلبث يهود خيبر وما جاورها أن غدروا وأفسدوا ، فحاصرهم المسلمون وأذلوهم ، فلم يجدوا بدا من النزول على حكم الله ورسوله ، وبذلك أدال الله دولتهم ، وأذهب عزهم ، وقضى

---

(١) سورة البقرة : ٢٥١ .
(٢) سورة الاسراء ٤ ـ ٨ .
(٣) ومن أعظم جرائمهم قتل أحد ملوكهم يحيى عليه السلام من اجل امرأة بغي ومحاولتهم قتل عيسى عليه السلام ومكرهم به لولا ان أنجاه الله منهم ورفعه اليه ورميهم السيدة العذراء مريم بالزنا فهل نسيت دول الاستعمار اليوم وهى مسيحية هذه الجرائم .؟!!

على سلطانهم فى الجزيرة العربية، وعاشوا فى خيبر وما جاورها أذلاء صاغرين ، ثم تولى الفاروق عمر بن الخطاب الخلافة ، فأجلاهم عن أرض خيبر وما جاورها ، وبهذا طهر أرض الحجاز من رجسهم ، وغدرهم وخيانتهم ، وشرهم المستطير وكما ابتلى اليهود فى القديم بمن أذلهم ، وشردهم ، ابتلوا فى العصر الحديث بحكام ألمانيا النازية فساموهم سوء العذاب ، وطردهم من بلادهم شر طردة ، وشردوهم فى الآفاق .

أن موعدهم الصبح

وقد لاحت لهم بارقة أمل فى هذا العصر لما احتضنهم المستعمرون ، أعداء الاسلام ، وأعداء العرب ، وأعداء الانسانية ، ووعدوهم بالوطن القومى ، وجمعوهم من الآفاق ، وأسكنوهم فى الأرض المباركة أرض فلسطين الشهيدة ، وأمدوهم بأسلحة الهلاك والدمار ، والغدر والخيانة ، فذبحوا وقتلوا العرب الآمنين ، أهل البلاد الاصليين ، وانتهكوا الأعراض ، واغتصبوا الاموال، ثم كان ما كان من اجلاء العرب أبناء البلاد ، وتمتع المغتصبين بخيرات البلاد وبركاتها ، وبقىأهل البلاد مشردين فى الصحراء والعراء ، يفترشون الارض، ويلتحفون السماء ، وهد من كيانهم الجوع والعرى والبرد والحر ، كل ذلك على مرأى ومسمع من العالم الحر ، عالم القرن العشرين ، ولئن عز عليهم عدل أهل الارض ، فلن ييأسوا من عدل السماء، وصدق الله العظيم : « ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (١) » .

ان الباطل مهما علا وتجبر فلا بد أن يكون مآله الىالعفاء والفناء ، والحقمهما ضعف وتوارى وراء حجب الباطل فلا بد له يوما من الظهور والاستعلاء ، وما يتراءى لاسرائيل اليوم من قوة ومنعة فانما هى فورة قدر ، سرعان ما تزول ، وسحابة صيف عن قريب تقشع ، ودولة الباطل ساعة ، ودولة الحق الى قيام الساعة وهذه سنة الله فى الكون ، ولنتجد لسنة الله تبديلا ، وصدق الله : « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض كذلك يضرب الله الامثال(٢) » « وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا »(٣) « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق »(٤) .

أيها المسلمون : لقد سمعتم فى القرآن الكريم — الذى هو ذكركم وشرفكم — كيف قرن الله سبحانه بين علوهم علوا كبيرا ، وافسادهم فىالارض أفسادا كبيرا ،وسمعتم أناليهود لما علوا واستكبروا فى الارض ، سلط الله عليهم فى كل مرة من أذلهم وتبر ديارهم ، وسمعتم ما أوعد الله به من تسليط من يسومهم سوء العذاب الىيوم القيامة ، وسمعتم قوله : « وان عدتم عدنا » فهل بعد ذلك يشك مؤمن معتز بدينه وعروبته فى أن الله القوى القاهر سيديل — على أيديكم — دولتهم ، ويكسر شوكتهم، ويصيرهم مثلا وعبرة فى الآخرين ؟ لقد وعدنا الله سبحانه ، ووعدهم بلفور وأعوانه ، فأين وعد بلفور المتجنى الآثم . من وعد الله الحق الصادق ؟ لقد سمعتم أن الله سبحانه جرت سنته مع اليهود أن يدعهم حتى يبلغ أفسادهم وظلمهم المدى ، وحينئذ يأخذهم بأيدى عباد له أشداء أخذ عزيز مقتدر ، وان هذا اليوم لقريب ان شاء الله اذا ما سار المسلمون فىالطريق اللاحب(٥)،طريق الوحدة، وجمع الكلمة ، ولم الشمل ، وأخذوا أنفسهم بهدى القرآن من اعداد العدة ، وأخذ الاهبة للاعداء ، وعقد العزم على ارجاع الحق المغتصب وصدق الله : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما

---

(١) سورة ابراهيم ٤٢
(٢) سورة الرعد ١٧
(٣) سورة الاسراء ٨١
(٤) سورة الأنبياء ١٨

لقد لاحت أضواء الفجر ، وبدت بواكير النصر ، وذلك بعقد المؤتمرات والمشاورات بين ملوك العرب ورؤسائهم وقادتهم ، وستؤتى أكلها قريبا بأذن الله سبحانه ، وان غدا لناظره قريب ، انأملنا ورجاءنا كبير أن ينصر الله الفئة المؤمنة على الفئة الكافرة الغادرة،وأن ينصر أهلالحق علىأهل الباطل،وأهل الصلاح على أهل الفساد ، ولكن لذلك ثمنا غاليا، أننعتز باسلامنا كأقوى ما يكون الاعتزاز ، ونهتدى بهدى شريعتنا التى صيرت من العرب خير أمة اخرجت للناس ، واذا تآزر الاسلام والعروبة فقل على المستعمرين والباغين العفاء .

ولا يسعنى الا أن اختم مقالى بهذا الحديث النبوى الشريف « روى الامام مسلم فى صحيحة بسنده عن ابن عمر وأبى هريرة رضى اللــه عنهما ان رسـول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم قال : « لا تقـوم السـاعة حتى يقاتل السلمون اليهود فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبىء اليهود من وراء الحجر ، والشـجر ، فيقـول الحجر او الشجر : يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى خلفي فتعال فاقتله » .

الهجرة الصهيونية

فتحت السلطات اليهودية ابواب فلسطينلليهود بعد عام ١٩٤٨ ، وفيما يلي صورة عن هذه الهجرة بين عامي ١٩٤٨ – ١٩٦٠ حسب البلاد التى قدم منها الهاجرون .

أوروبا

رومانيا	١٤٥ر٠٠٠
بولندة	١٣٠ر٠٠٠
بلغاريا	٠٣٩ر٠٠٠
هنغاريا	٠٢٧ر٠٠٠
تشيكوسلوفاكيا	٠١٨ر٠٠٠
يوغوسلافيا	٠٠٧ر٥٠٠
أقطار أوروبية أخرى	٠٢٥ر٠٠٠
المجموع	٤١٦ر٥٠٠

أميركا

الولايات المتحدة	٠٥ر٠٠٠
أقطار أميركية اخرى	١٠ر٠٠٠
المجموع	١٥ر٠٠٠

آسيا

العــراق	١٢٠ر٠٠٠
اليمن	٠٥٠ر٠٠٠
تركيا	٠٣٦ر٠٠٠
ايران	٠٣٣ر٠٠٠
الهند	٠٠٥ر٥٠٠
المجموع	٢٤٤ر٥٠٠

افريقيا

الجزائر ، تونس ، مراكش	١٥٠ر٠٠٠
ليبيا	٠٣٢ر٠٠٠
ج٠ع٠م٠	٠٢٥ر٠٠٠
المجموع	٢٠٧ر٠٠٠
أقطار لم تحدد	٠٢٢ر٠٠٠
المجموع العام	٩٠٥ر٠٠٠

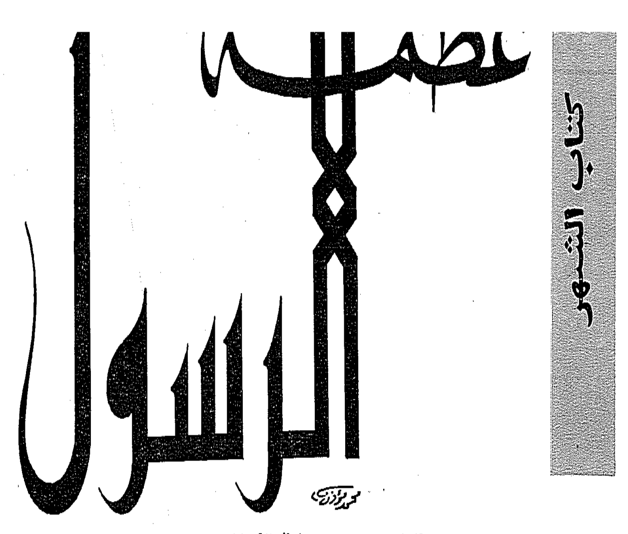
(نقلا عن نشرة فلسطين التى تصدرها وزارة الارشاد والانباء بالكويت)

يقـول الرسـول صلى الله عليه وسلم .

(لا تحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق)

« رواه مسلم »

كتاب الشهر



عظمة الرسول

تأليف ـ محمد عطية الأبراشي
تقديم ـ الأستاذ محمد عبد الله السمان

هذا الكتاب الذى نشرته دار القلم بالقاهرة ، والذى يقع في اكثر من ثلثمائة صفحة ـ دراسة طيبة عن عظمة الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ جاءت فى ثلاثة عشر فصلا :

فى الفصل الأول عرض المؤلف للعرب قبـــل الاسلام ، فقدم صورة واضحة المعالم عن أخلاق العرب فى تلك الفترة ، حيث قامت على أسس من الظلم والأنانية والفساد ، وامتهان العبيد ، وتجاهل المرأة ، وان لم تخل مما طبع عليه العرب من خلق الوفاء والاباء والنجدة والمروءة والكرم .

وفى الفصل الثاني والثالث عرض المؤلف لحياة الرسول عليه السلام قبل البعثة ، فتحدث عــن نشأته طفلا صغيرا ، وشـابا يافعـا ، ورب أسرة مخلصا متفانيا ، كما عرض لوجوده قبيل الرسالة فتحدث عما امتاز به من اخلاق رفيعة ومثل عليا ، وتحدث عن خلوته فى غار ((حراء)) ، وتهيئته لحمل أعباء الرسالة .

وفى الفصلين الرابع والخامس ، عرض المؤلف للموقف بين قريش والرسول ، واحتمال الرسول وصحبه لأذى قريش واضطهادها لهم ، ومؤازرة ابي طالب له ، وهجرة البعض الى الحبشـــة ، واسلام كل من حمزة وعمر ، فأعز الله الاسلام والمسلمين المستضعفين بهما ، كما عرض لحادثة

أما الفصل السادس ، فقد عرض المؤلف فيه لجوانب العظمة فى شخص الرسول ، مستشهدا بالتاريخ من ناحية ، ومن ناحية أخرى بأقوال بعض من كتاب الغرب المنصفين ، كسير وليام موير فى كتابه ((سيرةمحمد)) حيثقال :((لقد امتاز محمد بوضوح كلامه ، ويسر دينه ، وأنه اتم من الأعمال ما يدهش الألباب ، فلم يشهد التاريخ مصـلحا أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة كما فعل محمد)) .

وكاللورد هدلي الذى قرر أن رســالة محمد رسالة الهية صادقة لا ريب فيها ، جاءت مخففة لصرامة احكام التوراة مكملة لكتاب المسيح .

وأما الفصل السابع ، فقد تناول المؤلف أثــر الاسلام فى الحياة العربية ، والحياة غير العربية بعد أن تم له فتح الامبراطوريتين الشاسـعتين ، الرومانية والفارسية ، وأشار الى المبادىء المثالية فى الاسلام ، فى جوانب الاخــلاق والســياسة والاجتماع ، وأكد أن الاسلام انما انتشر بمبادئـه الانسانية وآرائه المنطقية ، وأن المسلمين لم يتخلفوا اليوم فى مضمار الحضارة والتقدم بسبب دينهم ، وانما بسبب انحرافهم عن مثل دينهم الرفيعة ، وقيمه العليا ، فاذا أراد المسلمون اليـــوم أن يستعيدوا مجدهم القديم ، فليس أمامهم الا أن

شاملين ، واخاء قائم على الحب والعدل والمساواة.

أما الفصلان الثامن والتاسع ، فقد عـرض المؤلف لدعائـم الاسـلام الخمس ، وهـي : الشهادتان ، والصلاة،والزكاة ، والصوم،والحج . كما عرض للايمان بالله ، فهو أساس الاسلام وسر القوة الاسلامية ، وأشار الى ما يتطلبه الايمان الحق بالله ، من عبادة خالصـة لوجه الله ، وطهارة وصفاء واخلاص وعمل عن عقيدة صادقة .

ويعرض المؤلف فى الفصل العاشر لمكانة المرأة وحقوقها فى الاسلام ، فيشير أولا الى مكانتها التي لا تحسد عليها قبل الاسلام فى الجزيرة العربية ، حيث لم تكن الا كمًّا مهملا ، ومتاعا هينا ، وجزءا من ميراث الأب والزوج على السواء ، وفى اليونان بلاد الحضارة والمدنية من قديم الزمان ، حيث كانت المرأة فى أثينا سلعة تباع وتشترى ، ورجسا من عمل الشيطان ، وفى دولة الرومان ، حيث كانت المرأة متعة جسدية رخيصة ، وعند اليهود حيث كانت المرأة فى منزلة الخـدم والرقيق ، وعند الفرس ، حيث عاشت المـرأة مجهولـة القدر ، مهضومة الحق ، وجاء الاسلام فأنصف المرأة ، واعترف لها بكيانها كاملا .

وفى الفصول الثلاثة الأخـيرة ، الحادى عشر والثاني عشر ، والثالث عشر ، عـرض المؤلـف لموقف الاسلام من تعدد الزوجات ، ومن الطلاق ، ومن تعليم المرأة ، فأشار الى أن تعدد الزوجات قبل الاسلام كان بغير تحديد ، والى أن الاسـلام لم يأت ولم يبتكر نظام تعدد الزوجات ، وانمـا حدده ، وارتفع به عن الفوضى التي كانت تشمله ، ولقد ناقش المؤلف افتـراء الكاتب المتعصب ادوارد وليم لين فى كتابه « الأخـلاق والعادات للمصريين المحدثين » حيث ذكر فى كتابه أن كثيرين من المصريين يتزوجون فى عشر سنين بأكثر مـن عشرين أو ثلاثين من زوجات صغيرات فى السـن ، وأنه قد سمع عن رجال اعتادوا أن يتزوجوا زوجا جديدة كل شهر تقريبا .. كما فند المؤلف بعد ذلك مطاعن المستشرقين على زواج النبي .

وتحدث المؤلف عن قضية الطلاق ، فأشار الى أن الاسلام قد أباح الطلاق بقيود عادلة ، ثـم

وممن اشتهرن فى علم الحديث ، كريمة المروزية ، وسيدة الوزراء ، وكانتا من أهم راويات أحاديث البخارى ، هذا وقد أشار الى أن الحافظ ابن عساكر ذكر أن عدد شيوخه من النساء ، كـان بضعا وثمانين استاذة .

هذا وقد عرض المؤلف لرأيين متناقضين تجاه تعليم المرأة فى الاسلام ، رأى يقول بتعليم المرأة القرآن والدين ليس غير ، وينهى عـن تعليمها الكتابة والشعر لأنها ناقصة عقل ودين ، ومـن أصحاب هذا الرأى القابسى الفقيه القيرواني ، وهو رأى ـ كما يقول المؤلف ـ يسيء الظـن بالمرأة المسلمة .

أما الرأى الثاني فينادي بتعليم المرأة المسلمة ، وهو رأى سديد يستمد قوة عظيمة من استناده الى أحاديث نبوية تشجع على تعليم المرأة ، وهذا ما حدث فعلا ، يوم أن وصلت المرأة المسلمة الى أسمى درجات العلم والأدب والثقافـة ، وكتب الأدب مزدحمة بشهيرات النساء المسلمات العالمات الأديبات ، واذا تجاوزنا بعض أمهات المؤمنين فان هناك زبيدة زوج هارون الرشيد ، وشهدة الملقبة بفخر النساء فى القرن الخامس الهجرى ، والتي كانت تلقي فى جامع بغداد على الجمهور دروسا فى الأدب والتاريخ ، والخيزران امرأة المهدى الخليفة العباسي الثالث ، وبوران زوجة المأمون ، وقطر الندى زوجة المعتضد بالله وأم المكتفي العالمـة الفذة الخبيرة بالشريعة الاسلامية والقضـاء ، والشاعرة النابغة عليه بنت المهدى ، وغير هؤلاء كثيرات .

وبعـد :

فهذا عرض موجز للكتاب ، ولا نـكران أن فى الكتاب عرضا واسعا لكثير من المعاني الاسلامية ، ولفتات ذهنية خصبة ، مثال ذلك ما أشار اليه المؤلف من أن كل عظيم هو روح عصره ، ومتجاوب بيئته ، ففي الصين وفارس والهند ، حيث أخذت هذه البيئات جميعها بنصيب من حرية الفكر ، ظهر فلاسفـة عظمـاء ، مفكرون أحـرار ، أمثـال كونفشيوس ، وزرادشت ، وغوتاما ، كما ظهر فى

على هذه البيئة ، فقد ظهر والعرب قد سقطوا في هاوية الانحلال الاجتماعي والخلقي ، ولا يمكن أن تنتج مثل هذه البيئة عظيما كمحمد ، ذلك الذى رفع أمة من الحضيض وأنشأ دولة من العدم ، وتلك هي العظمة الحقة ، التي ليس للبيئة أي فضل فى انتاجها .

ولكن اذا أردنا أن نطابق بين عنوان الكتاب وموضوعاته لم نجد مكانا لهذا التطابق الا فى صفحات معدودة من أكثر من ثلثمائة صفحة ، وكان من الممكن أن يكون لهذا الكتاب أى عنوان الا عنوانه هذا ، فالقارىء ينتظر من عنوان ((عظمة الرسول)) تحليلا دقيقا شاملا لسلوك الرسول الشخصي ، لا يتعداه الى غيره من الموضوعات العديدة ، التي يصلح كل منها أن يكون كتابا ، ولو أن هذه الموضوعات من الموضوعات التي لم تطرق أو التي أضيف اليها جديد ، لهان الأمر ، ولكنها موضوعات مطروقة ، تناولتها كتب السيرة القديمة والمؤلفات الحديثة عشرات المرات .

فصل واحد من فصول الكتاب الثلاثة عشر ((عظمة الرسول)) يمكن ـ مع التساهل ـ أن يكون تطبيقا على عنوان الكتاب .

فالمؤلف استغرق اكثر من ثلثي الكتاب فى موضوعات لا ترتبط ارتباطا وثيقا بالعنوان ، كدعائم الاسلام الخمس ، وأثر الاسلام ، والايمان بالله ومكانة المرأة ، والطلاق وتعدد الزوجات .

ثم ان المؤلف ـ وهو أديب عالم ـ جارى كتب السيرة فيما أتخمت نفسها من روايات يجب أن تتنزه عنها الدراسات المتصلة بعظمة الرسول ، ومنها ما حدث فى ليلة ميلاد الرسول ، وفى أثناء ولادته ، وهي روايات لا تستند الى مصدر موثوق به .

هذه ملاحظات لا نضيف اليها الا اغفال المؤلف [illegible]

الحق فى أمرها ، وما من سبيل أقوم الى الايمان الحق سوى القرآن ، ولكن كيف يكون القرآن سبيلا للمعرفة والتوحيد وكيف يسيطر على العقول والفهوم ؟ وكيف تخضع له الافكار وتطمئن له القلوب فى مواجهة النظر الديكارتي ، ان ذلك لن يكون الا اذا ثبت أن القرآن معجز وأنه ليس من كلام البشر ، وثبت ثبوتا قاطعا أنه من عند الله ، عند ذلك يجب أن يكون القرآن هو المصدر الأعلى للايمان والتوحيد لدى المنصفين بل لدى أصحاب الفطر التي لم تزغها الأهواء ولم تصرفها عن مقتضياتها .

انك اليوم حينما تجادل فى أمر العقائد مستندا الى القرآن الكريم فانما يقول لك من تجادلهم : هبنا غير مؤمنين بالقرآن أو هبنا غير مصدقين بانه من عند الله . من أجل ذلك وجب أن نسير أولا فى اثبات أن القرآن من عند الله ، مستندين الى القضايا العقلية والحقائق الواقعية والى الظروف والملابسات التى لابست اعلان القرآن ، فاذا انتهت بنا الى اليقين بأن القرآن من عند الله وأنه ليس من نوع كلام البشر ، وأن حامله الى الناس لا يستطيع الانباء به من عند نفسه ، وأنه ليس له من العلم مثل ما أخبر عنه القرآن فانه يجب بحكم هذا أن يكون القرآن مصدر المعرفة والتوحيد ووجب أن تعنو له جباه العقول والافكار لا لشيء سوى أنه الحق المفروض والواجب المحتوم الذى تتقبله الفطر رضية به منقادة اليه .

ان الرجوع على القرآن بعد الذى قررنا أمر يريحنا من التكلفات العقلية والنظرية والتشككات الفلسفية والسوفسطائية ، ويسد الباب عن ذوى الاغراض الذين يتسترون وراء العقائد التي يبتدعونها لتحقيق هذه الاغراض ، ويسد الطريق على الغرب الذى يجعل من مستشرقيه الطلائع الاولى لانهاك القوى الاسلامية عن طريق التشكيك فى أمر العقيدة باسم الدراسات العلمية الحرة ، وهم لا يريدون الا نقض العقدة الاسلامية التي

الحسينى » وقد زاول نشاطه فى الدعوة للاسلام فى مجموعة جزر صولو « Sulu » التىهى جزء من دولة الفليبين حاليا ، وقد اسلم على يده خلق كثير فى منتصف القرن الرابع عشر الميلادى وقد تبعه داعية آخر من سومطرة يسمى « ابا بكر » وقد نجح فى اقامة سلطنة اسلامية هناك وتوفى عام ١٤٨٠ م ،وكان من هؤلاء الدعاة الناجحين ايضا « الشريف مولانا ابراهيم » وهو ابن الشريف مخدوم ابراهيم الاكبر المذكور آنفا وقد كان لمولانا ابراهيم هذا فضل فى اسلام عدد من امراء الولايات التابعة لامبراطورية « ماجاباهيت » الهندوكية وقد توفى عام ١٤١٩ م ، وكان من بين الولايات التى دخلت فى الاسلام على أثر هزيمة ماجاباهيت دويلة « بروناى Brunai الواقعة على الساحل الغربى لجزيرة بورنيو وقد اسس امير عربي سلطنتها عام ١٥١٠م ولا زالت اسرته تتوالى على عرشها حتى الآن ، وقد كان مفروضا ان تنضم هذه السلطنة الى ملايزيا التى قامت عام ١٩٦٣م ولكن لم يتم ذلك لاسباب سياسية ، فبقيت وحدها محمية انجليزية ، ورغم صغر هذه السلطنة فى مساحتها الا انها ذات ثراء عظيم بسبب آبار البترول الغنية بها .

ومن أهم هؤلاء الدعاة أيضا « الشريف محمد كيبنجسوان kabungsuan» الذى رحل من الملايو الى جزيرة « مندناو Mindanao » بالفيلبين حوالى عام ١٤٧٥ م ونجح فى اقناع خلق كثير من الوثنيين باعتناق الاسلام ، وحفر لهم بئرا فكان لا يقبل اسلام أحد الا بعد أن ينغمس فى الماء ليتطهر ، ويتشهد ، ولا تزال آثار هذه البئر باقية حتى الآن ، كما نجح فى اقامة سلطنة اسلامية عظيمة امتد نفوذها الى انحاء الجزيرة الكبيرة ، ومن مندناو وصولو انتشر الاسلام فى سائر الجزر التي تكون الفيلبين حاليا .

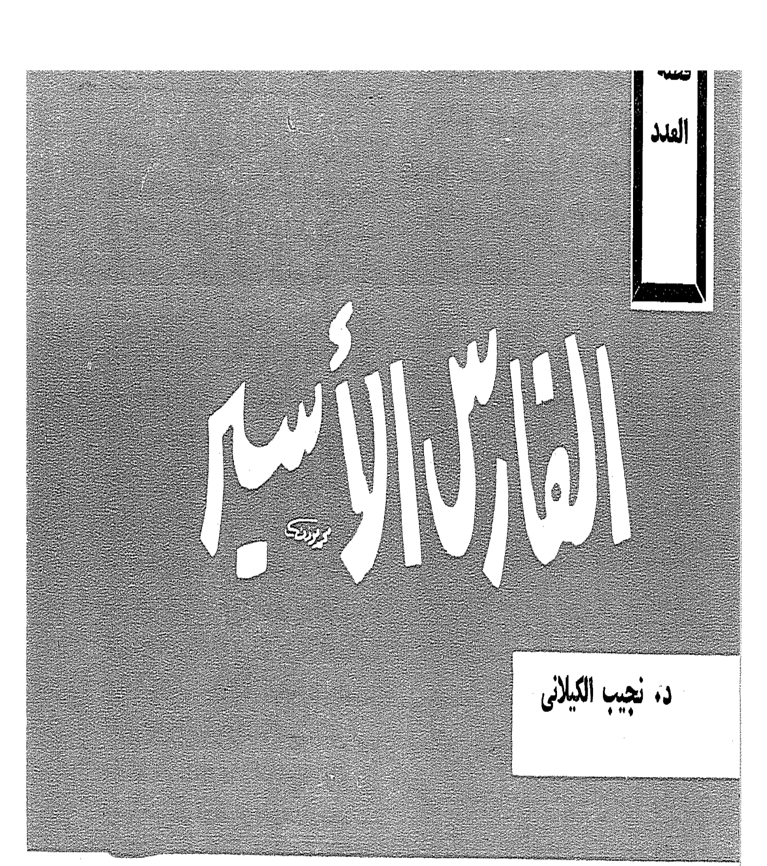
وسوف لا نرهق القارىء بذكر اسماء سائر الجزر والجزيرات وتاريخ انتشار الاسلام فى كل منها ، فحسبنا أن نعلم انه ما كاد ينقضى القرن

والتاسع الهجريين ـ من الوثنية الى التوحيد ، ومن الفوضى والوحشية الى النظام والحضارة والمدنية ، ومن الجهل والامية الى نور الهداية والعلم والعرفان .

سر انتشار الاسلام

وكان من اهم العوامل التي ادت الى هذا الانتشار السلمي السريع بساطة الاسلام وتقدميته ، والف السكان للشعائر الاسلامية التى كان يؤديها من خالطهم من المسلمين على مراى ومسمع منهم ابان القرون الاولى من الهجرة ، ثم ما كان يتمتع به الكثير من هؤلاء المسلمين من شخصية ممتازة ونجاح مرموق فى تجاراتهم ، ثم الهجرة فرارا من ويلات الحروب المغولية والصليبية ، ثم نجاح الدعاة من ذوى النزعات الصوفية فى اقناع الحكام والولاة الذين اثروا على رعيتهم ، وقاموا بدورهم بالدعاية للاسلام مع امثالهم من الحكام عن طريق الدعاة والمصاهرة .

بقي الحديث اذن عن الخصومة حول من كانلهم الفضل فى نشر الاسلام فى ربوع الملايو أهم العرب ام المسلمون من الهند ؟ وهو نزاع أثاره فىالسنوات الاخيرة بعض المستشرقين لنوايا فى انفسهم نشك فى موضوعيتها ، كما بقي الحديث عن الاصلاحات التي احدثها الاسلام فى عالم الملايو ، ثم عن الاستعمار الغربي وموقفه من الاسلام فى الشرق منذ بدأ باحتلال البرتغاليين « جوا Goa » بالهند ، ثم ملقا بالملايو عام ١٥١١ م ، ثم عن أهم التطورات والاحداث منذ ذلك الحين وموقف



دق « الفارس الصليبي » الأرض بقدميه فى جنون ، وأخذ يشد شعره فى عنف ، ثم يضرب رأسه فى الحائط ، ويرفع سيفه ، ثم يهزه هزات عشواء فكأنما كان يطارد أشباحا غير منظورة ، وعاد ينظر الى مرافقه ويقول فى ثورة :

« مستحيل .. مستحيل أن تسقط طرابلس فى أيدى قوات صلاح الدين .. ان حصونها ورجالها الأشداء ، ومجدها الزاهر الذى شيدناه فى ظلال سيوفنا منذ عشرات السنين ، مستحيل أن تدوس ذلك كله أقدام المسلمين » .

طأطأ المرافق رأسه حزينا ، وانسكبت على خده ولحيته الشقراء قطرات من دموع على الرغم منه ، وتمتم :

وها نحن محصورون فى القصر .. فى انتظار السطور الدامية لنهاية المأساة » .

ونظر الفارس العظيم ، والشر يتطاير من عينيه وهتف :

ـ معنى ذلك أننا أسرى الآن ؟؟

ـ « أجـل » .

ـ « وصلاح الدين لن يتركنا أحياء .. آه .. ضاع كل شيء .. لقد قتلنا من المسلمين سبعين ألفا فى بيت المقدس يوم دخلناها فاتحين منذ سنين طويلة .. لم نرحم شيخا ولا طفلا ولا امرأة .. كانت حرب ابادة .. انها قسوة لن ينساها العرب ، وقد حان وقت الأخذ بالثأر .. سيقتلنا صلاح الدين .. يا للمصيبة ! ! زوجتي تنتظرني فى بيت المقدس .. وأولادي ينتظرون .. لا أريد أن أموت » .

ثم أمسك بتلابيب مرافقه وصرخ :

ـ « أتسمعنى ؟؟ لا أريد أن أموت .. لتذهبوا



أن اموت .. ما جئت هنا لكي أبعثر سنوات عمري فى هذه الحرب الطائشة » .

ونظر اليه المرافق فى حنق وقال :

ـ « ليس لنا فى الأمر حيلة .. لقد سقط ملك بيت المقدس فى الأسر .. وسقطكذلكقائد فرسان « الداوية » .. والثغور ، استولى عليها صلاح الدين .. والعرب المتنافرون أصبحوا كتلة واحدة .. ولا ينتظر أن تصلنا أية نجدة .. انها النهاية يا مولاي » .

قال الفارس الأمير وسيما الجنون على محياه :

ـ « لا بد من الهرب » .

ـ « كيف » ؟؟

وعندئذ أطبقت عليهم كوكبة من فرسان المسلمين مدججة بالسلاح ، وشحب وجه الفارس ، وسقط السيف من يده ، وارتعشت مفاصله ،

ـ « أنتم تخدعوننا .. لا تنسوا أنني ملك طرابلس » .

ـ « نحن نعرف .. وثق أننا لا نكذب .. اننا نحمل سيوفنا دفاعا عن الشرف وكرامة الانسان .. ... ومن ثم فمن العار أن نسفح دم الفضيلة ، لم نحارب الا لنسترد أرضنا من أيدى الغزاة الطامعين » .

وبعد فترة صمت قصيرة قال قائد العسكر :

ـ « هيا بنا .. »

قال الفارس مرتجفا :

ـ « الى أين ؟ ؟ »

ـ « صلاح الدين يطلبك » .

ومشى الملك مطأطىء الرأس ، واجم النظرات ، يفكر فى الماضي فى الحروب الصليبية الدامية ، والحملات المتكررة التيقادها ملوكأوروبا وفرسانها ورهبانها ، وكيف احتلوا أغلب أراضي الشام وبيت المقدس ، منتهزين فرصة تشتت العرب وتناحرهم من أجل الأطماع الشخصية .. وكيف اقاموا الممالك والامارات فى أرض العرب ، وغرقوا فى الخيرات والنعيم .. حتى أنهم أيقنوا أن الأرض أرضهم .. وأن خروجهم من هذه الديار أمر مستحيل .. ونظر الفارس الأسير فرأى عساكر العرب يملأون شوارع طرابلس وأزقتها وساحاتها .. ورأى القصور والمقاصر والبساتين التي كان ينعم فيها الغزاة منذ أيام واجمة حزينة .. يجللها أسى عميق .. ورأى جنوده ـ ورموز الصلبان على صدورهم ـ يمضون منكسي الرءوس لا حول لهم ولا قوة .. كل شيء قد تغير بين عشية وضحاها .. انهار المجد الكبير .. تحول الحكام المستبدون والغزاة المتجبرون الى أذلاء أصاغر .. وهمهم « أكذوبة .. أكذوبة كبرى .. تلك الحياة » وعاد الفارس يفكر فى مصيره .. أمن المعقول الا يقتله صلاح الدين ؟ ؟ وماذا ستقول زوجه فى بيت المقدس عندما يبلغها نبأ نهايته المفجعة ؟ ؟ آه .. وأولاده الصغار .. مساكين سينتظرونه حتى يعود .. ولكنه لن يعود .. يا له من غر أحمق .. لماذا أتى من أوروبا ؟ ؟ ولماذا

خدعنا الناس وخاصة جنودنا البلهاء.. مستحيل أن نخدع أنفسنا .. ان هزيمتي قد كشفت القناع .. أزالت كل الأكاذيب والشعارات الجوفـاء التافهة .. لم نكن غير مستعمرين .. سكرنا بخمرة النصر الذى حققناه بأقذر الوسائل والذى حققه أجدادنا .. وما أن جاءتني صفعة صلاح الدين حتى أفقت الى نفسي .. »

كان الفارس الأسير يمضي ذاهلا شاردا ، حينما همس فى أذنه قائد المعسكر قائلا :

ـ « أفق من ذهولك .. أنت فى حضرة صلاح الدين » .

لم يصدق الفارس الأسير عينيه ، وهو يـرى رجلا بسيطا هادئا ، لا أثـر على وجهه لانفعالات الشماتة والحقد ، ولم يصدق أذنيه ، وهو يستمع الى كلمات صلاح الدين التي تفيض بالأمـن والرحمة والايمان ، وخيل اليه أنه فى حلم حينما أجلسه صلاح الدين الى جواره وطلب له المـاء البارد .. لحظات غريبة مرت بالفارس الشدوه ، عاد ـ بعدها ـ اليه الاطمئنـان ، وفكت عقـدة لسانه ، فأخذ يفاوض صلاح الدين ، ويبحث معه أطراف المشكلة . ولم يستمع الى صلاح الديـن بكل حواسه وهو يقول :

ـ « اننا لا نجني من وراء قتل النفوس شيئا ذا بال .. ويؤسفني أن يطول أمد المعركة بـلا مبرر ، وخاصة أن نصرنا قد تدعم ولا جدوى من مقاومتكم فى القدس .. فيا حبذا لو سلمتم حقنا للدماء .. ثـم لا تنسى أننا أصـحاب الأرض الشرعيين .. »

لم يكن الفارس يفكر فى كلمات صلاح الديـن الكبيرة ، بقدر ما يفكر فى خلاص نفسه ، وعجب صلاح الدين حينما سمعه يقول :

ـ « ان لي زوجة وأولادا فى بيت المقدس ، وكل ما أتمناه أن تطلق سراحي ، وتأمر بحمايتي حتى أصل هناك .. وعندما أصل فاني سأجمع أولادي وزوجتي ونرحل الى أوروبا .. وأعدك وعد رجل شريف لرجل شريف ألا أبقى فى بيت المقدس أكثر من ليلة واحدة .. أعرف أن قانون الحرب يعطيك

ـ « ليلة واحدة في بيت المقدس .. »

ـ « أقسم على ذلك .. »

ـ « لك ما شئت .. »

لم تكن « بيت المقدس » قد سـقطت فى يد العرب بعد ، وان كان ملكها قد وقع أسيرا فى يد صلاح الدين قرب عين جالوت ، والصليبيون قد تجمع عدد كبير منهـم داخل المدينـة المقدسـة محتمين بقلاعها وحصونها وما بقى ـ بعد المعركة السابقة ـ مـن جنودها ، وهـرول « الفـارس الصليبي » الى بيت القدس مبتهجا سعيدا ، لـم يكن يصدق أنه قد نجا بجلده ، وكتبت له الحياة من جديد .. ومع ذلك فقد كان يذكر الهزيمة المرة التي منى بها ، ويذكر الأرض الخضراء ـ أرض طرابلس ـ التي أخرج منهـا طريدا شريدا كما طرد ابليس من جنة الله ـ .. فيستشعر الحقـد والمرارة .. لـم يفكر فى مرافقه ولا فى رجالـه وجنوده الذين تركهم وراءه بقدر ما كان يفكر فى لقاء زوجـه وبنيه ..

وتنفس الفارس الصعداء حينما دخل شوارع بيت القدس .. ها هو يحيا من جديد .. لـكن الناس المذعورين يتحلقون حوله ، مستنجديـن مستغيثين وقد عرفوا فيه أمير طرابلس .. لقد شعر الضائعون الذين أسر ملكهم .. أن هـذا الرجل يمكن أن يهبهم الأمن والثقة ، أن يحل محل ملكهم حتى تتغير الأحوال .. وأحـاط بـه خلق كثير ، يتكلمون ويستفسرون ، فقال ورنة الحزن والأسى بادية فى صوته :

« لسوف آخذ أهلي وأرحل ، ولن أبقى بينكم أكثر من ليلة واحدة .. »

ـ « ونحن ماذا نفعل ؟؟ »

ـ « سلوا ملككم »

ـ واين هـو ؟؟

ـ أسير عند صلاح الدين .

وهدر صوت الجموع .. القساوسة والرهبان وفرسان الداوية وبقايا الجنود .. والمتعصبون .. هدروا قائلين :

« أنت ملكنا .. »

ـ « ملك بيت المقدس ؟ ؟ »

الكهوف أو شواهق الجبال ، ويجب أن يعيش معه ايمانه برسالته فوق ظهر البحر الى المجال الذى يراه خصيبا لدعوته ، وبين أحراش افريقيا وأدغالها وصحاريها وبين سهول آسيا وجبالها قبل قراها ومدنها ، كما عاش ذلك الايمان مع أسلافه الدعاة وهم يجتازون المخاطر فى الهند والصين وفيما وراء الهند والصين ، وان الله يحتسب له كل خطوة خطاها ، ويأجره على كل عقبة تخطاها ، ويثيبه على كل مشقة احتملها ، وصبر عليها وكل كلمة قالها ، وعمل أداه ، وهو مصيخ أبدا الى نداء ربه « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » وهو حيث يكشف دعوة الحق ، ويصور سبيلها للخلق ويقف بأرواحهم على مبادىء الاسلام وآدابه وسماحته ، ينادى فيهم « هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله » .

المال

ثم ما أحوج الدعوة الى مال يكفل للدعاة سبل العيش والأسفار ، ويشق للدعوة الطريق بين الارساليات التي ألبستها المسيحية أثواب الدين والعلم ، وبعثتها توطد أقدام الاستعمار ، وتمهد له حيثما كانت أسباب الحياة .

وما أحوج الدعوة الى مال كذلك تشيد به المساجد والمعاهد حيثما لقيت الدعوة الآذان والقلوب .

وان خزائن أثرياء المسلمين فى العالم وخزائن الدول الاسلامية لن تعجز عن امداد الدعوة وامداد منظماتها ـ التي ينبغي أن تكون ـ بالمال

وهذه النفقات هي الصالحات الباقيات . ألا ليت هذه الصيحات تطرق مسامع المسلمين ، فتتجاوب معها القلوب ، وتنتفض المشاعر ، وتهتز الأريحيات للبذل فى سبيل الله .

وليتها تجمع قلوب العاملين للاسلام فى مشارق الارض ومغاربها وتحفزهم الى العمل لا الى الكتابة والخطابة فى عصر انطلقت فيه الوف المبشرين بالمسيحية تعمل لنشرها فى البلاد المتخلفة وجمع القلوب من حولها . ونحن أولى من هؤلاء بالدعوة الى دين الله « ان الدين عند الله الاسلام » .

وان الدعوة الى الله ليست وقفا على العلماء وحدهم والانفاق عليها ليس وقفا على الاثرياء وحدهم بل على كل مسلم ومسلمة تجب الدعوة ويجب الانفاق عليها .

ولقد حمل رسالتها الداعي الأول وحده وبعد ثلاث وعشرين سنة من بدء دعوته تجاوز المؤمنون بها مئات الألوف ، فما لنا ونحن الألوف من الدعاة نهز المنابر ، ونكاد نشق الحناجر ، فلا يستجاب لنا ولا نضيف الى عدد المسلمين فى قرن بل فى قرون قدر ما كسبه الرسول فى قرابة ربع قرن ، ان الدعوة الى الله التي دعا بها محمد صلى الله عليه وسلم هي الدعوة التي ننادى بها ولكن أين ايماننا من ايمانه ؟ وأين اخلاصنا لها من اخلاصه؟ وأين تضحيتنا وتفانينا من تضحياته وتفانيه ؟ وأين المنفقون منا من انفاق أصحابه فى سبيلها ؟ .

اننا يوم نؤمن ونخلص ونضحي وننفق كايمان محمد صلى الله عليه وسلم واخلاصه وتضحيته وانفاقه هو وصحابته ويوم ننتصر على المادية والانحلالية واللادينية سنسود الدنيا كما سادها اسلافنا الأولون ، ونخضع هامات الجبارين كما اخضعوها ، ونقود العالم يومئذ الى ظلال الحق

الفتاوى

« يرحب هذا الباب بأسئلة السادة المستفتين ويرد عليها هنا أو فى ردود خاصة اذا احتاج الامر لذلك »

التخلف عن صلاة الجمعة

السؤال :ـ

أنا طبيب مسلم حريص على أداء الصلوات لاوقاتها ، وأعمل بمستشفى حكومي بالتناوب مع زميل لي ، وقد تقتضي النوبة احيانا أن أعمل في يوم الجمعة من الصباح حتى المساء ولا أستطيع الخروج أثناء النهار لاداء صلاة الجمعة .

فهل يجوز لي ترك صلاة الجمعة وأصلى بدلها ظهرا)

وما الحكم اذا أدركت الامام في الركعة الاخيرة هل أكملها جمعة أم ظهرا ؟

الاجابة :ـ

فرض الله صلاة الجمعة على كل مسلم بالغ اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »،

ولقد نص الفقهاء رحمهم الله على أن خوف الانسان على نفسه او على ماله او عرضه يعتبر من الاعذار المبيحة له للتخلف عن صلاة الجمعة ، فيجوز لمن خشى تعطيل المصالح العامة أو الحاق الاذى او الضرر به أن يتخلف عن أداء صلاةالجمعة ويصلي الظهر بدلا منها ، وعلى هذا فاذا كان خروج السائل لصلاة الجمعة سيترتب عليه ضرر يلحقه فى العمل ، او يخشى حدوث اخطار للمرضى تنجم عن خروجه أو تأخير اسعاف او غير ذلك فقد اباح له الشارع الحكيم التخلف عن صلاة الجمعة واداء الظهر بدلا عنها،فالدين يسر ولايكلف الله نفسا الا وسعها ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا).

واما حكم من فاته ادراك الامام في أول ركعة من الجمعة فان ادرك معه الركعة الثانية اتمهـا جمعة وان لم يدرك معه الركعة الثانية بان أدركه بعد قيامه من الركوع فانه يتم صلاته ظهرا وعند

السؤال :ـ

لي صديق يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ، ويتقي الله في جميع اموره ، ولكنه يتعاطى المخدرات ولما كلمته في ذلك قال: ان المخدرات لم يرد بتحريمها نص من كتاب او سنة فهل قوله صحيح ؟ أرجو بيان ذلك ...

الاجابة :ـ

لقد كرم الله الانسان على كثير من خلقه ، ولم يكرمه من حيث هو جسم فقط ، أو روح فقط ، وانما كرم فيه عقله الذى هو مناط التكليف ، وبه يعرف الخير من الشر ، ويميز الهوى من الضلال فاذا عطل الانسان عقله بوسيلة من الوسائل كان بذلك معطلا لوجوده كانسان .. ومن أجل هذا حرم الله الخمر تحريما قاطعا لا شبهة فيه بأى وجه من الوجوه فقال تعالى ((يأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)) .

والخمر هي كل مادة تخامر العقل وتغلبه ، ولا عبرة بخصوص المادة التي تسبب الاسكار ، فكل ما أسكر يعتبر خمرا ، سواء كان مأخوذا من العنب أو من غيره ، ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (ان من الحنطة خمرا ، ومن العسل خمرا ، وأنا أنهى عن كل مسكر) .. ومن المسلم به شرعا أن تحريم الخمر ليس أمرا تعبديا لا يدرك الانسان سر تكليفه به ، بل السر فى تحريمها يرجع الى المحافظة على العقل الذى يصل الانسان بربه ، ويأخذ بيده الى طريق الله .. وعلى هذا فكل شيء يخامر العقل ويغلبه يعتبره الشارع خمرا مهما كان نوع هذا الشيء ، مشروبا كان أو مأكولا ،

انكاره بحال من الأحوال ..

أما ما يزعمه صديقك من أنه لم يرد نص يحرم هذه المخدرات بأسمائها فهذا ليس بشيء لأن المخدرات لم تكن موجودة بأسمائها فى عهد الرسول أو الصحابة أو التابعين بل ظهرت فى العالم الاسلامي فيما بين المائة السادسة والمائة السابعة من الهجرة .. ولما كان الاسلام قد نهى عن الخمر واعتبر النبي صلى الله عليه وسلم كل مسكر خمرا كانت المخدرات بجميع أنواعها كالخمر يحرم تعاطيها وبيعها وشراؤها .. والله أعلم ....

كفارة اليمين

السؤال :ـ

ما الحكم اذا حلف الانسان وحنث فى يمنيه وتكرر منه الحلف والحنث .

الاجابة :ـ

المسلم حين يقسم بالله تعالى أو بصفة من صفاته العليا ، أو باسم من اسمائه الحسنى يكون مستحضرا عظمة الله وجلاله ، مستشعرا ألوهيته وربوبيته ، فيضع بهذا اليمين الذى يحلفه سدا منيعا بينه وبين المحلوف عليه ، فهو لا يقتحمه ولا يتجاوزه ، خوفا من الله تعالى .

فاذا ما حنث فى يمينه وفعل المحلوف عليه فكأنه قد اقتحم هذا المانع القوى ، وغفل عن مراقبة الاله الحق الذى أقسم به . ولهذا يعتبر الحنث ذنبا وخطيئة تحتاج الى عمل يسترها ويكفرها .

وقد شرع الاسلام الكفارة اذا حنث الانسان فى يمينه ، وهذه الكفارة تطهير للانسان من خطيئته

بآبائكم فمن حالفا فليحلف بالله أو ليصمت) وروى ان ابن عمر رضي الله عنهما سمع رجلا يقول : لا والكعبة فقال ـ لا تحلفوا بغير الله فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من حلف بغير الله فقد أشرك) واليمين بغير الله لا تنعقد ولا كفارة فيها ، ويجب على الانسان أن يحنث فى يمنيه اذا حلف على الامتناع عن فعل الخير ، قال تعالى (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت التي هي خير وليكفر عن يمنيه) .

والكفارة المطلوبة هي اطعام عشرة مساكين وجبتين مشبعتين أو كسوتهم بما يستر أبدانهم أو عتق رقبة مملوكة ، فمن لم يقدر على الاطعام أو الكسوة أو العتق ، فكفارته أن يصوم ثلاثة أيام ، ويكفي صومها متفرقة والأفضل أن تكون متتابعة وتتكرر الكفارة بتكرار اليمين والحنث فيه ... والله أعلم »»

الاصبع الزائدة

السؤال : ـ

ولد لي ولد ، فى كل كف من يديه ست أصابع ، والاصبع الزائدة كالخرقة متدلية وقد أشار علي بعض أصدقائي بقطعها بواسطة الطبيب لأنه لا فائدة فيها فضلا عن أن منظرها يشوه المولود .. فهل يجوز ذلك شرعا .

الاجابة : ـ

ما دامت هذه الاصبع زائدة غير ثابتة وليست متماسكة ، بل هي تتدلى وليس لها عصب يحركها مع الأصابع ومنظرها يشوه الكف ـ فاننا نرى أنه لا بأس من قطعها لعدم فائدتها ولانها تؤذى

ان احلام المجد الذاهب تراوده .. وعار الهزيمة يلاحقه .. حتى عطف صلاح الدين وحدبه عليه أصبح يثير فى نفسه الاحتقار والضيق والمرارة .. ورائحة بساتين طرابلس الثيرة ما زالت تتسلل عبر خياشيمه .. وثورة المطامع والأمجاد تتحرك فى قلبه من جديد .. فيضرب بعهده مع صلاح الدين عرض الحائط ، ويهتف فى جنون .

ـ «لن نستسلم لصلاح الدين.. وسنحارب ..»

ويستغرق فى اعداد الجنود ، وتجهيز الحصون ، مستسلما لنشوة الحقد ، تطغى على قلبه وعقله وشهوة الانتقام ، والأمل الكاذب يراوده من جديد ...

لكن مواقع الصليبيين تتساقط فى يد صلاح الدين واحدا بعد الآخر ، والدائرة تضيق حول بيت المقدس : والملك الأسير يرسل الى أهل المدينة كي يستسلموا حقنا للدماء فيرفضون .. ويتقدم صلاح الدين الى الأسوار الشاهقة .. أسوار المدينة الخالدة .. وسيوف الحق فى أيدى رجاله تلتمع تحت وهج الشمس الساطعة .. وصلاح الدين ينتقل بجواده من مكان الى آخر باحثا عن ثغرة يتسلل منها جنوده .. وما أن يفعل ذلك .. وتكاد المدينة تقع فى قبضته حتى يهرول فارس طرابلس الغادر بارسال المكاتبات والرسل الى صلاح الدين طالبا التسليم .. ويعتذر عن غدره ..

ويبتسم صلاح الدين عندما يلقاه فيهتف الفارس الحزين :

ـ أعترف بجريمتي ..

فيرد صلاح الدين :

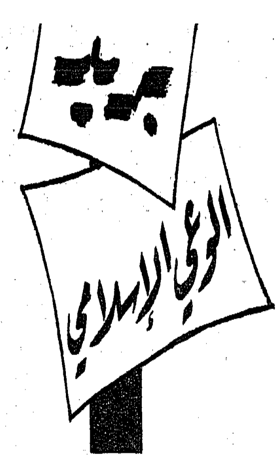
ـ « ها قد التقينا .. »

ـ « نحن رهن يمنيك .. فلتفعل بنا ما شئت » .

ـ « من أراد أن يرحل فليدفع الفدية البسيطة المقررة عشرة دنانير .. ومن أراد ان يبقى فليدفع الجزية .. ومن يثبت عجزه فمنا عنه بالسداد..»

ـ « وأنا ؟ ؟ »

ـ « أأدفع عشرة دنانير وأرحل » .



باشراف ـ محمد أبو غوش

سررنا كثيرا حينما علمنا بصدور مجلة « الوعي الاسلامي » وانها وايم الحق بادرة طيبة يفرح لها كل مسلم غيور يبتغي مرضاة الله ، هذه البادرة الطيبة التي نسأل الله ان يجعلها الدعامة القوية لرفع راية الاسلام ، والعمل على تطبيق شريعته.

نبارك لكم هذه الخطوة سائلين الله ان يكلل مساعيكم بالنجاح ، وان يأخذ بيدكم للعمـــل على مرضاته .

(رئيس جمعية المكتبة الاسلامية ـ البصرة ـ العراق) .

تلقى بريد الوعي الاسلامي مئات الرسائل من السادة القراء فى مختلف الاقطار الاسلامية، وقد أفصحت هذه الرسائل عن ايمان عميق الجذور ، ووعي ناضج ، وأمل كبير فى ان تقوم هـذه المجلة التى ولدت عملاقا بدورها الايجابي الفعال فى التوجيه السليم وجمع كلمة الامـــة .

ويسرنا ان نستعرض مقتطفات من بعض هذه الرسائل ، ومعذرة للاخوة الذين لم تتمكن من نشر رسائلهم لضيق المجال .

المجد الخالد

ارسل الينا السيد احمد أبو المجد عيسى مـن الجمهورية العربية المتحدة .قصيدة بعنوان « المجد الخالد » تقتطف منها هذه الابيات :

جلال الحـق يشرق فى ســـناه ... ونـور اللـــه بـاد فى هـــداه

أطـــل فشـــع في الآفاق فجر ... بـه لمح الســعادة مـــن رآه

ضـــياء من سنا الرحمـن يسعى ... بأرض اللـــه تشـرق صـفحتاه

سرى أمـــلا بهكـــة فى ظـــلام ... مـن الاوهـام قـد أرخى دجـاه

فأحيا أمـــه وأنـــار شـــعبا ... دهـــاه من الضـلالة ما دهاه

محمـد خـير خلق اللـه طـــرا ... وأكـرمهم اذا فخـروا وتاهـوا

لـه ذكـر عـــلى الايـــام باق ... يعطـر صـفحة الدنيـا شذاه

يـردده الزمان نشـيد مجـــد ... أجـل بشاشـــة الدنيـا صداه

ومـن في النـاس أكرم مـن نبي ... بآى الـذكر جبـريل أتـــاه ؟!

بآى مشرقـــات رائعـــات ... تخـر لذكـرها الحلـو الجباه

بها أروى قلـــوبا ظامئـــات ... شجاها مـــن هواها مـا شجاه

سقاها عـــزة فعلت وعـزت ... بملك أدهش الدنيـــا مـداه

علـى الايمـــان أسسها صروحـا ... فعز بنـــاؤها ممـن بنـاه

وليس المجـــد ما يبنيـــه فـرد ... ويهدمـــه عـلى عجـل سواه

« كانت تأتيني الرسائل من القاهرة فأقرأ عن تقدير القراء لمجلتنا ، وحرصهم على اقتنائها وتعبهم فى الحصول عليها ولو بأضعاف ثمنها فكنت أسر وأحمد الله الذى لا يضيع اجر العاملين ، وأحس أن هذه أول مجلة اسلامية تأخذ هذه المكانة بعد العددين الاول والثاني من صدورها ، وأنها بذلك حطمت الاسطورة السائدة عن عدم اقبال القراء على المجلات الاسلامية فكان هذا كله يملا نفوسنا سرورا وشكرا لله ويدفعنا الى مزيد من الجهد والتضحية .. حتى لمست على الطبيعة مكانة المجلة وتلهف القراء على الحصول عليها ، عرفت ذلك من شركات التوزيع هنا .. ومن متعهدى الصحف . من المكتبات . من القراء .. وكان من اعجب ما سمعته ما حدثني به مفتش فى وزارة الداخلية حين كان يفتش فى احدى عواصم الصعيد ، ولجأ الى مأمور المركز كي يساعده لدى متعهد الصحف هناك فى الحصول على العدد الثاني من المجلة .. ومع ذلك لم يحصل عليها لان ما وصل منها قد نفذ ساعة وصوله . ان هذا مما يزيد ثقتنا فى الله ويضاعف من شكرنا له ويحملنا من الاعباء ما نرجو من الله العون عليها والتوفيق للقيام بها .. »

ومن باكستان بعث السيد أ . حسين بمقال تحت عنوان : نحو وحدة اسلامية جاء فى مقدمته :

« رحب العالم اجمع بالمؤتمر الاسلامي العالمي الذى انعقد فى مكة المكرمة فى اعقاب حج هذا العام وقد حضره زعماء المسلمين فى كثير من الدول التي تدافع بقوة عن قضية الوحدة الاسلامية . وكل مسلم غيور يرجو عقد مؤتمر ذروة لكافة الدول التي تدافع بقوة عن قضية الوحدة الاسلامية . وكل مسلم غيور يرجو عقد مؤتمر ذروة لكافة الدول الاسلامية يعمل على تمهيد الطرق لرأب أى صدع فى وحدة العالم الاسلامي . وليس بمستبعد أن يشهد موسم حج العام القادم اجتماعا لرؤساء الدول الاسلامية بغية تحقيق اماني كل مسلم غيور .

ونحن اذ نشكر السيد حسين على اهتمامه بالوعي الاسلامي ، فانا لنرحب بما يصلنا من انتاجه وانتاج الكتاب فى شتى الاقطار الاسلامية .

ردود قصيرة

*** السيد على عبد الرحيم ملكاى ـ الاردن**

ـ يمكنك الكتابة مباشرة الى وزارة التربيةذات الاختصاص فى هذا الموضوع

*** السيد مكرم السيد احمد ـ العراق**

ـ يرجى ارسال المقال كاملا ، اذ يتعذر علينا [illegible]

ـ شكرا على اقتراحك الذى قمنا بتنفيذه ابتداء من هذا العدد .

*** السيد غانم محمود شهاب ـ الموصل العراق**

ـ وكيل التوزيع فى العراق ـ هو السيد قاسم محمد الرجب ـ مكتبة المثنى ـ بغداد .

*** السيد بدر عبد الله المديرس ـ ص.ب ٥٥٨٩ الكويت .**

ـ وصلتنا رسالتك ، وأرسلنا لك الاعداد .

*** السيد عبد الله احمد اسماعيل عبد العال المنامة ـ البحرين .**

ـ المجلة تباع بالاسواق ، ووكيلها بالبحرين السيد فاروق ابراه ـ المكتبة الوطنية وفروعها .

*** السيد محمد كاظم ـ العراق**

ـ ستنشر المجلة فى اعدادها المقبلة تحقيقات مصورة عن الاثار والاماكن الدينية فى العالم الاسلامي ، اما « أخبار العالم الاسلامي » فهي زاوية ثابتة ابتداء من العدد الثالث .

*** السيد عبد الله محمد الحافظ ص.ب ٣٩٠١ كويت : ارسلنا لك المجلة على العنوان المذكور .**

وأما اقتراحك حول الترقيم فقد احلناه الى اسرة التحرير لدراسته .

*** السيد عبد الرحمن قني ـ الاسكندرية .**

ـ يمكنكالاتصال بالموزع لتزويدك مباشرةبالمجلة، ولا داعي لارسالها من الكويت .

*** السيد محمد القاضي ـ راس بعلبك ـ لبنان .**



احتفال وزارة الاوقاف بذكرى المولد النبوى الشريف

احتفلت الكويت حكومة وشعبا فى الشهر الماضى بعيد المولد النبوى الشريف . جريا على عادتها كل عام وشاركت الصحافة والاذاعة والتلفزيون واجهزة الاعلام المختلفة فى هذه الاحتفالات ، وقد اقامت وزارة الاوقاف حفلها فى مسجد السوق الكبير عقب صلاة العشاء يوم الجمعة ١١ من ربيع الاول الموافق ٩ من يولية ، وحضره عدد كبير ، يتقدمهم معالي عبد الله المشارى الروضان وزير الاوقاف ومعالى وزير الصحة وكثير من اعضاء السلك السياسى والعربى ، وقد افتتح الحفل بآيات من الذكر الحكيم ، ثم القى معالى وزير الاوقاف كلمة هنأ فيها العالم الاسلامي بهذه المناسبة الكريمة ودعا فيها الى العمل بكتاب الله والتأسى بالرسول الكريم والتزام سنته والسير على هداه .

ثم تعاقب الخطباء والشعراء فتناولوا تاريخ حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة ، وهدايته للبشرية ، وفضله على الانسانية واهابوا بالمسلمين ان يستمسكوا بمبادىء الاسلام ، ليتصدروا موكب الحضارة ، كما فعل اسلافهم الغر الميامين .

وقد اختتم الحفل بآيات من القرآن الكريم . وقامت الاذاعة والتلفزيون بنقل برنامج الاحتفال، اعاد الله هذه الذكرى المباركة على الامة الاسلامية بالامن والامان .

طهران

غادر طهران فى الشهر الماضي البروفسور بديع الزمان فيروز عميد كلية العلوم الاسلامية فى جامعة طهران قاصدا الكويت فى زيارة استغرقت اسبوعا، وقد زار سيادته وزارة الاوقاف واجتمع بسيادة الاستاذ عبد الرحمن المجحم وكيل الوزارة، وتحدثا فى كثير من القضايا الاسلامية ، وقد استغرق الحديث حول معهد الامامة والخطابة الذىانشأته الوزارة فى العام الماضي وقتا طويلا ، وقد اعجب سيادته بفكرة المعهد ومهمته وتمنى له التقدم والازدهار .

الكويت

زار الكويت فى الشهر الماضي وفد نيجيريا برئاسة السيد احمدو بللو رئيس الوزراء بدعوة الكويتي والنيجيرى ، حول المسائل ذات المصالح المتبادلة بين البلدين وساد المباحثات جو من الصداقة والنوايا الطيبة .

« وتعاونوا على البر والتقوى » .

بغداد

نشرت صحيفة المنار العراقية تصريحا لفخامة المشير الركن عبد السلام محمد عارف جاء فيه ان العلاقات بين البلدين الشقيقين الكويتوالعراق هي علاقات اخوة ومصالح مشتركة وستزداد قوة ورسوخا بمرور الزمن .

الكويت

قام سمو الشيخ صباح السالم الصباح ولى عهد دولة الكويت ورئيس مجلس الوزراء بزيارة

استمرار العمل من اجل كل ما من شأنه ان يدعم الروابط الاخوية القائمة ويزيدها وثوقا .

* تصادر دولة الكويت شهريا عددا كبيرا من الصحف والمجلات الاجنبية التي تقوم بترويج الدعاية الصهيونية ، وقد طالبت مجلة الهدف من دخول البلاد نهائيا .

* وافقت الكويت على الاشتراك بالمركز الثقافي الاسلامي بلندن اسوة ببقية الدول العربية الاسلامية المشتركة فيه . وسيكون نصيب الكويت في هذا المركز مبلغ ٣٠٠ جنيه استرليني تدفع سنويا .

المؤتمر الاسلامي العراقي الاول

عقد المؤتمر العراقي الاسلامي الاول في بغداد في الفترة بين ٢ ربيع الاول ١٣٨٥ الى ٦ منه وقد حضره اكثر من ٥٠٠ عالم من علماء العراق كما دعي اليه فضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر وسماحة مفتي الاردن وسوريا ، وقد القى الشيخ هاشم الاعظمي رسالة السيد عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية في حفل الافتتاح جاء فيها : ـ

يسرني أن ارحب بكم جميعا وارجو النجاح التام لمؤتمركم الاسلامي الاول الذي ينعقد في بغداد عاصمة الرأى والتشريع ويسرني ان يصادف انعقاده يوما خالدا في ذكريات العراق حيث اندلعت ثورة العشرين في مثل هذا اليوم قبل خمسة واربعين عاما وكانت تستند الى الروح الاسلامية التي لا ترضى الهوان ولا تصبر على حكم الظالم المستعمر .

أن الاسلام يستند الى العدل والمساواة ، ومحبة الانسان لاخيه الانسان وجمع الشمل ، ويحترم الاديان جميعها وعلى اسس هذه المثل السامية التي يتحلى الاسلام بها آمل ان تتوج مقررات مؤتمركم بالتوفيق والكمال .

ثم القى سماحة الحاج نجم الدين الواعظ مفتي الجمهورية العراقية كلمة شكر فيها أعضاء المؤتمر على حضورهم ، كما شكرهم على اختياره رئيسا للمؤتمر ، ثم تتابع العلماء ممثلو الالوية العراقية والقوا كلمات مناسبة وفي ختام حفل الافتتاح القى فضيلة الاستاذ الاكبر كلمة أعرب فيها عن سروره بما رأى من الاخوة بين كافة المسلمين في العراق وقال : ان الخلافات الفرعية والجزئية لا يمكن ان تبعد المسلم عن اخيه المسلم ، ودعا فضيلته بالتوفيق للمؤتمر وتحقيق وحدة المسلمين والوفاق فيما بينهم .

قرارات المؤتمر وتوصياته

وقد اتخذ المؤتمر في جلسته الختامية القرارات والتوصيات الاتية : ـ

تأييد الوسائل الاعلامية السلمية والتي تتذرع بها الدول العربية والاسلامية للقضاء على المسخ الصهيوني الذى فرضه الاستعمار على ارضنا الاسلامية . ومؤازرة الكفاح المدني والعماني ضد الاستعمار الانكليزي ، كما قرر العمل على ايقاظ مسلمي القارة الافريقية على خطر التغلغل الصهيوني في مرافقهم العامة وحياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية لايقاف تياره والاجهاز عليه .

وفي مجال الثقافة الدينية قرر المؤتمر : تأليف مجلس اسلامى اعلى لرعاية البحوث الاسلامية يلزم بطبع وترويج الآثار الفكرية التى تخدم التراث الاسلامى ، واستقدام ابرز رجال الفكر الاسلامى من الخارج لالقاء المحاضرات الموسمية عند الحاجة ، وتنظيم بعثات دينية لخريجي معاهد الشريعة الاسلامية في العراق للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه في الفلسفة والشريعة من جامعات البلدان الاسلامية . وقرر المؤتمر ايضا تدعيم علاقات الود والاخوة الصادقة بين علماء الدين في العراق على اختلاف مذاهبهم بتبادل الزيارات ووجهات النظر ليكونوا قدرة حسنة لابناء الشعب ، كما قرر تنسيق الجهود المبذولة لتحقيق التقارب بين المسلمين في جو يسوده الاحترام والتسامح بعيد عن الحقد والتعصب ليكون ذلك ممهدا للتعاون على البر والتقوى .

